محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المحروسة

دار المستقبل العربي

٢٠٠ قرشاً

www.alkottob.com

www.alkottob.com

خطوات على الأرض المحبوسة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المحبوسة

دار المستقبل العربي

www.alkottob.com

صمم الغلاف : سعد عبد الوهاب

دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت • مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٣

www.alkottob.com

اهـــــداء

الى الرجـــل الذى علمنى كيف اتكـــلم وكيف امشى وكيف اكتب وكيف اكون شريفا ٠

الى والذى الذى هجـــر سريره ونام على الأرض طـول فترة نومى على الأرض فى الاسر ٠

محمد حسين يونس

www.alkottob.com

www.alkottob.com

مقـــدمة

بقلم : محسن الخياط

هذا الكتاب ٠٠ وهذا المؤلف

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الأيام الستة التى عرفت بأيام النكسة ٠٠ وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك ٠٠ ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته ، لكثير من السلبيات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للانسان المصرى والعربى على ضوء تخطى السلبيات وتجنب الوقوع فيها ٠٠

واذا كان من سلبيات المعركة عدم التدريب الكافى للقوات المسلحة ونقص المعدات الحربية والزج بالاحتياطى غير المدرب فى المعركة والخلل الذى اصاب القيادة العسكرية نفسها ٠٠ فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن حرب أكتوبر كانت التصحيح لهذا الوضع الذى كانت عليه القوات المسلحة فتصحيح الأوضاع فى القوات المسلحة قد بدأ مباشرة بعد النكسة واتخذت المعركة فى الثلاث سنوات التالية للنكسة طابع الصمود ثم الاستنزاف الذى جاء نتيجة مباشرة لتدريبات مكنته على القتال وعلى عبور القنال بل وتم فى تلك الفترة تدمير أجزاء كبيرة من خط بارليف ٠٠ ومن هنا فان معارك الاستنزاف والتدريبات الشاقة هى التى فتحت الطريق أمام القوات المسلحة لعبور القناة وانهاء خط بارليف ٠

وقد نتفق جميعا مع المؤلف فى أن غيبة الديمقراطية وحرية الرأى قد يكون لهما اثر مباشر فى مسار المعارك الوطنية ٠٠ ولكن الذى حدث أن حرب اكتوبر وعبور القناة قد تم أيضا فى غيبه الديمقراطية ٠

www.alkottob.com

وفى غيبة الديمقراطية أيضا فقدت حرب اكتوبر الكثير من ايجابياتها فقد أثبتت الحرب مقدرة المقاتل المصرى العربى على القتال والصمود وأكدت امكـــانية التحرك من موقع التفوق والقـــوة ولكن الذى حـــدث ترك خلفه من السلبيات ما نعانى من خطورته سواء فى « طابا » أو فى غزو لبنـــان البربرى الذى وضع الأمة العربية فى وضع لا تحسد عليه لقد وضعت هزيمة ٦٧ الشعب المصرى فى موقف الصمود والتصدى بينما لم يحقق انتصـــار أكتوبر فى غيبة الديمقراطية سوى النتائج التى وصلت اليها المفاوضات والتى كان أكثرها بروزا اقدام اسرائيل على تحقيق أطماعها التوسعية بقوة السلاح ·· متجاهلة كل دعاويها للسلام ·

وكل ما تم بعـد عام ١٩٧٣ تم فى غيبة كاملة للديمقراطية بالرغم من وجود المنابر وتحولها الى أحزاب فيما بعد ··

فالديمقراطية الليبرالية لا تقوم بقرارات فوقية ·· ولكنها حق طبيعى لكل الطبقات التى لها الحق فى تشكيل أحزابها والتعبير عن رأيها ·· حـق يكفله دستور ليس من صنع فرد او أفراد ولكنه من صـنع الشـعب المثل فى جمعية تأسيسية منتخبه من اجل وضع دستور يقنن لمكتسبات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ·

وعلى أى حال ، فالمؤلف ـ شأنه شأن أى مقاتل فى صـفوف القـوات المسلحة ـ قد صدمته حقيقة النكسة ·· وهو يسرد الأحداث كما رآها بعينى رأسه ، وهو لا يفقد الأمل فى المقاتل الفرد حين يلتقى بأحد الأبطال الذين فجروا مستودعات للذخيرة فى الأرض المحتلة ـ حتى يرى مع مستقبل الايام كيف تمكن الجندى المصرى الشجاع من اقتحام القناة فى عام ١٩٧٣ ورفع علم مصر على أرض سيناء المحتلة ·

وهو نفسه ·· ذلك الجندى الواعى الذى يفيق من الشـــلل المؤقت ليواجه بشجاعة مأساته ورفاقه فى معتقل « عتليت » الاسرائيلى ·· حديث يتمكن جميع الأسرى من تنظيم صفوفهم فى النهاية فى مواجهة العدو المنتصر المتعجرف ·

ولعل أخطر ما يتعرض له المؤلف فى كتابه هو الفصل الذى يتحدث فيه عن الاستلاب الفكرى الذى مارسته قوى الغزو الاسرائيلى على أسرانا

www.alkottob.com

فى معتقل « عتليت » فقد استفاد الاسرائيليون الوافدون فى كافة أنحاء العالم ٠٠ استفادوا من خبرات كل المعتقلات الفاشية والنازية ٠٠ وبعد دراسة لتلك الخبرات ٠٠ توصلوا الى أن التعذيب البدنى والتهديد بالابادة الشاملة ـ ليس وحده كافيا لاستدراج الاسير الى الاعتراف أو الادلاء بمعلومات هامة ـ ليس وحده كافيا لتحويل الأسرى أو بعضا منهم آلى عملاء لهم فى وطنهم ـ أدركوا أن الاساليب الاكثر ايجابية هى تفريغ العقل العربى من كل المثل والقيم التى عاش لها وآمن بها ـ وتقويض كل ما آمن به من مسلمات عن الوطن والدفاع عن النفس والحرية والديمقراطية ٠

ويدرك القارىء لأحداث معتقل « عتليت » انهم كانوا بارعين فى بذر عدم النمه فى نفس الانسان العربى ، وتشكيكه فى كل شىء ٠٠ فى قيادته ٠٠ فى انتمائه القومى ٠٠ وتجميل وجه العدوان الاسرائيلى الذى يبرره الدفاع عن النفس وليس طرد شعب بأكمله من وطنه ٠٠ فهم يمدونهم بكل ما يزرع فيهم عدم النمه فى كل شىء ٠٠ مستغلين فى ذلك المجلات والكتيبات والنشائعات المكثفة المتقنة الصنع ٠٠ وهم يصطحبون أسراهم بعد فترات ترويض وتخويف نسبية ، فى رحلات استكشافية لحياة الانسان الاسرائيلى ـ ايهاما للاسرى بحضارة مزيفة ٠٠ ومعانى للتحضر والديمقراطية ٠٠ لا يمتلك مفاتيحها فى المنطقة سوى « شعب الله المختار » ٠

ولكنهم فى بعض المواقف ٠٠ يحدث ما يكشف عورتهم ٠٠ فيحسون بأنهم قد أخطاوا الطريق ـ فيغيرون من أساليبهم ٠٠ ويغيرون أيضا خرائط الرحلات المعدة سلفا ـ

ويفضح الكتاب من خلال رؤية صديقنا الراوى خرافة الكيبوتزات الاسرائيلية التى اتخذت مظهرا اشتراكيا ٠٠ ولكنها وضعت أفرادها فى وضع لا يمكنهم الفكاك من الارض والا ماتوا جميعا فاليكن ـ وبهذا يصبحون أداة طيعة فى يد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ـ يشاركون بالأمر وتحت واقع الارتباط الاجبارى بالأرض فى تحقيق الأطماع الصهيونية فى التوسع واحتلال أرض الغير بالقوة ـ وقد كشفت أحداث لبنان المأساوية الأخيرة والغزو الاسرائيلى البربرى لها ٠٠ أن كلمات الدفاع عن النفس التى طالما تحدثوا بها لأسرى ٦٧ لم تكن سوى بعض فقاقيع الهواء فى زجاج مياه غازية ٠٠

ويطرح المؤلف فى روايته لأحداث حرب ٦٧ قضية التحدى الحضارى ـ تلك القضية التى همس له بها أحد الأصدقاء العرب بالناصرة ـ فالتحضر الاسرائيلى المستورد ـ لا يمكن مواجهته بحضارة أخرى مستوردة ـ حضارة لم تستنبت فى واقعنا ٠٠ ولكن من الممكن مواجهتها بحضارة أمة تمتد جذورها

www.alkottob.com

الى تاريخها ·· حضارة تنمو فى جو طبيعى ـ تضع الانسان العربى فى مقدمة الشعوب المتحضرة ·· تدرك أسباب تخلفه من فقر وجهـل وامية وقدرية وتدفع به الى الامام الى مستقبل افضل ، يقف بتحد فى المواجهـة للتحضر الاسرائيلى المزيف ··

ان المؤلف وهو بحق ابن جيل عاش فترة الصراعات الوطنية ، ضد قوى الاستعمار الامبريالية ·· عاش ثورة ٢٣ يوليو ومجانية التعليم ، وخروج الانجليز من مصر وتأميم القناة ـ وبناء مئات المصانع ·· وارتفاع السد العالى وعاش القومية العربية حركة عدم الانحياز ـ عمل فى جيش مصر ـ وعاش يحلم ببناء وطن متحضر يتطور فيه المد الثقافى والفكرى الذى عاش فى الستينات من خـلال الكتاب والفيلم والرواية والمسرحية والأغنية ·· هو نفسه الذى عاش انتكاسات الثورة وقهرته أحيانا السلبية والخوف ·

أن كتاب « خطوات على الأرض المحبوسة » الذى تتقدم على نشره دار المستقبل العربى بالرغم من مرور ١٥ عاما على أحداث ٦٧ يضـع الشـعب المصرى أمام مسئولياته الحقيقية ـ فأحداث ٦٧ وما اصاب الأمة العربيـة بسببها كانت نذيرا بالخطر الذى يتهدد المنطقة بأكملها ·· كما ان نتائج حرب ٧٣ لم تنجح فى ازالة هذا الخطر ·· فالغزو الاسرائيلى للبنان اكـد استمرار الخطر وبشاعته ·· ولا مفر من اعادة صياغة المجتمع العربى بأكمله ·· وهى مهمة ملقاة على عاتق الشعب العربى كله ·· بحيث يمسك المجتمع العربى باسباب التحضر الحقيقى بأوسع معانيه التى تتمثل فى رفع المعاناة ودحر الفقر والأمية والقضاء على السلبية والقدرية ·· مجتمع يخطو بخطى ثابتة نحو آفاق تشيع فيها روح الديمقراطية وتصبح فيها وسيلة للتطور وليست غاية فى حد ذاتها ·· حتى يمكن لهذه الأمة بأصـالتها وتاريخهـا وروحها المتحضرة من الوقوف فى وجه الخطر الزاحف عليهـا ··

اخيرا ، لا يفوتنى أن أنوه أن هذا العمل التسجيلى الروائى قد كتب باحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى ·· وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصـليها ·· ويلفحها بالكرباج ـ حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده ··

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل ·

محسن الخياط

١٩٨٢/١٢/٢٠

www.alkottob.com

الفصل الأول

٥ يونيـــو ١٩٦٧

الفرق بين الانسان والحيوان ٠٠ أن الانسان حيوان قادر على التجريد اي يمكنه ان يحول الرموز الى كائنات ٠٠٠٠ تولد وتنمو وتمرض وتموت فى بعض الأحيان ٠٠٠٠ وكلما كان لدى الانســـان القدرة على التجريد كلما اصبح اكثر انسانية ٠٠ وصديقنا الذى ســـنتكلم عنه كانت لديه قدرات فائقة على التجريد وكانت الكلمات لديه تحمل مذاقا ورائحة ولونا وشـــكلا ترتبط بعلاقات مركبة شديدة التعقيد ٠٠ قد يكون لدراسته اثر فى ذلك فهو مهندس معمارى يبنى القصـــور فى مخيلته ثم يضـــعها رموزا على الورق ثم يراها تنمو وتكمل بالخرسانة والحديد والطوب والزجاج وقد تكون الأحداث التى مر بها قد صقلته فجعلته اكثر انسانية واكثر تفاعلا مع الأحداث ٠٠

فى صباح هذا اليوم وكان يوم اتمام استرجاع ســـيناء ٠٠٠ ورفع اعلام مصر على مدنها الرئيسية عندما قلت له « صباح ســـيناء » امتلأت عيناه بالدموع وسألنى وما هى سيناء بالنسبة لك ؟! ثم اكمل ـ مساحة من الأرض الصحراوية يفصلها عن الوادى خليج وقناة السويس وفى احسن الاحوال مصدر لعديد من المواد الخام !!

كنت أعرف أنه مر بظروف صعبة خلال حرب ٦٧ عندما فقدناها فقـد اسر فى ذلك الوقت واغلب الظن أن تجربة الاسر هذه أثرت فى تكوينه النفسى والعقلى والاجتمـاعى فقد كنت أعرفه من زمن أبعد من ذلك اليـوم الـذى جلس فيه معى يتكلم عن أسباب هزيمة ٥ يونيه ٠ وشـــعرت بالتعـاطف معـــه عنـــدما قـال ان الهـزيمة ليســـت هزيمة جيش وانمـــا هزيمة مجتمع ٠ وتقابلنا بعد ذلك كثيرا ودارت بيننا حوارات عديدة ٠٠٠

www.alkottob.com

أكمل : يا صديقى هل نمت يوما تحت ظلال النخيل على شاطىء ذى رمل أبيض ناعم وأمامك بحر ذو زرقة شـديدة هادىء ·· ويتجول حولك اسراب من الماعز التى ترعى فى سلام ·· ان لم تفعل فأنت لا تعرف سيناء ·

هل قذفت فى يوم بحبل صغير فى نهايته شص لبحر كثير العطاء ·· فمنحك أغلى ما عنده من أسماك ·· هل شاهدت الفجر من خلال أشـجار النخيل أو من خلف جبل وأنت تنحرك على الطريق ·· هل جلست فى يوم تشاهد الشمس وهى تسقط فى البحر وتترك خلفها غلالات صفراء تكسو الافق ·· هل عاشرت بشرا يسهرون طول الليل حولك يحرسـونك لانك تهذى من الحمى حتى تشفى ·· هل عطشت حتى الموت ثم انحفع الى حلقك سرسوب من اللبن الدافىء من ثدى عنزة وهبت لك الحياة ·· هل شممت رائحة زهور البرتقال تلفك من كل جانب ·· هذه هى سيناء ·· هل حلمت بالمستقبل وبنيت المدارس والوحدات الصحية والاجتمـاعية المتناثرة على مسـافات لا تقل عن المائة كيلو بين الواحدة والاخرى وشـاهدت الأطفـال والنساء وهن يملأنها ·

هذه هى سيناء بالنسبة لى ·· ثم صمت قليلا وتابع كلامه فى حزن ··

يا عزيزى ـ سيناء كانت مريضة ·· لقد تركناها وهربنا ·· فحبسوها عنا وحبسونا عنها ·· وداسـوها بالآقدام ·· وعرضوها فى المعارض والمتاحف والكبريهات ···· سيناء مريضة وستبقى مريضة حتى نهتم بعلاجها ··

كان يتكلم كما لو كان يحلم ·· لقد كان يكبرنا قليلا ·· ولكنه كان يشعر بان هناك فارقا ضخما بيننا ·· وكان يصر على ذلك ففى تصوره أن الأحداث التى مرت على العالم ومصر خلال الاربعين عاما الماضية فصـلت الأجيال بشكل تعسفى ·· جعلتها بحيث تصبح لعدد أصابع اليد من السنوات ذات فارق محسوس فى تشكيل البشر وتميزهم ···

ولد صديقنا فى حارة من حوارى القاهرة فى أول ليلة يقصف فيها الالمـان مدينة القاهرة ·· ونقلوا والدته الى المخبأ وهى تلده فاسـتقبل الحياة بين صرخات الزعر والرعب وطلقات المدفعية المضادة للطائرات والاضواء الكاشفة واصوات القنابل والانفجارات وكان مقدمه ايذانا ببدء الازمة الاقتصـادية فى مصر ·· وفى عائلته · وكان يرى الجنود الانجليز ببنطلوناتهم القصيرة

www.alkottob.com

ووجوههم الحمراء وهم جالسون على أفاريز شبابيك ثكناتهم يقذفون المارة بقشر الفاكهة والعلب الفارغة وكان يلحظ بذكاء شديد نفور والده واهله منهم هو الاخر حتى عندما لاعبه احدهم وحاول أن يمنحه قطعة من الشيكولاته رفضـــها ٠٠

وعندما أخلى الانجليز هذه الثكنات رفعه والده فوق كتفيه ليشـــاهد الملك فاروق وهو يرفع علم مصر بدلا من العلم الانجليزى لقد أثر فيه هـذا المشـهد كان يقول لنا : أنتم لم تروا هذا ٠ لقد ولدتم ولم يكن على أرض مصر جندى أنجليزى واحد ٠٠ ومع ذلك لم نستطع أن نحافظ على استقلالنا ٠

قلت له : هل تريد زيارة ســيناء الان ٠

قال : وما جدوى الزيارة المهم أن نحافظ عليها ٠٠ المهم أن نعالجها ٠٠ لا أريد أن أرى اليوم الذى يرفع فيه علم اخر غير علم بلدنا على أى جـــزء من اجزاءها ٠ هل جلست فى يوم على شاطىء القنال وفى مواجهتك علم اسرائيلى يرفرف على الجانب الاخر ولا تستطيع العبور لتنزعه ؟

قبل قيام الثورة كان صديقنا مازال طفلا صغيرا وكان والده يصـحبه معه ليشهد ـ الاجتماعات السياسية التى كانت تقيمها احزاب المعارضة وتعلم القراءة فى صحفها وكان يشترك فى المظاهرات التى تندد بالملك والحكم الفاسد والاحتلال ٠٠ كان لا يستوعب ما يقال حوله ٠٠ ولكنه تعلم كيف انه وفى ظل الديمقراطية والحرية يمكن أن يتحول البشر الى بشر ايجابيين ولو طاردهم جنود بلوكات النظام والبوليس الســياسى ٠

٠ وعندما قامت الثورة ٠٠ تصور أن كل مشاكل بلده قد انتهت ولم يبق الا أن يعمل الجميع بجد لبناء الوطن كان متحمسا الى اقصى درجة لتاميم القناة ٠٠ والدفاع ضد العدوان الثلاثى ٠٠ وبناء السد العالى ٠ وهكذا عندما تخرج من كليته كان تصوره أن دوره الاساسى هو أن يعمل وباخلاص وذكاء تحت راية الثورة فى جيش البناء ٠

لقد كان ابنا للثورة ٠٠ تعلم تحت مظلة مجانية التعليم وتكونت افكاره وعلاقته بالعالم من خـــلال رحيقها ٠

www.alkottob.com

سألته : وما تصورك لكيفية المحافظة على سيناء ٠

رد : دع كل الزهور تتفتح ومائة فكرة تتصارع ٠٠٠ نحن ما زلنا لا ننظر الا تحت أقدامنا ٠٠ رغم أن عصرنا أصبح عصرا للجماهير صانعة الحياة يجب أن نتكلم لغة العصر ٠٠

عندما سأله قائد الكتيبة هل تريد الذهاب لليمن ــ أجاب : ولماذا ؟؟ ليس لدى أولاد فى سن الزواج أو زوجة مريضة اريد علاجها أو منزل لم يتم بنـاؤه واريد اسـتكماله ٠٠٠

سأله : وهل هذه هى الاسباب فقـــط ؟؟ أجاب : هذا ملخص الطلبات المقدمة للمشـــير بغرض السفر لليمن من مئات الطالبين ٠٠٠

لقد كان يلاحظ ما حوله من سلبيات ولكن كعادة أهله يطلق النكات فقط ٠٠٠٠ ولا يقاومها ٠٠ وسافر ٠

وفى اليمن تعلم الكثير ٠

كان أول دروسه عندما سأله زميل أكبر سنا عن طريقة تصرفه فى أول بدل سفر له ٠٠٠٠ عندما أجاب بأنه أشترى نظارة بيرسول ٠٠ رد الآخـر يا خسارة كان لدى الأمل فى جيلكم ثم أردف نحن جيل عاش محروما ومقهورا بواسـطة كرابيج الاقطاع والبشـوات فتلفنا أما أنتم فما عذركم ٠٠ كل الاشياء الكبيرة تبدأ بتنازلات صغيرة ٠٠٠ اليوم اشـتريت نظارة فبدلة فولاعة ٠٠ ثم تغير البوتاجاز لانه صغير ثم الثلاجة لان المستورد أفضـــل ولا مانع من بعض قطع الموازنو والسجاجيد ثم عربة صغيرة تكبر والشقة تصبح فيلا ولا تنتهى الطلعات ونحتاج لنقود فنبيع كل شىء حتى نفسك ٠

كذلك تعلم كيف تفتت الجيش الى قطـع صغيرة غير متجانسـة ٠٠ وانخفضت كميات أسلحته ٠٠ وكيف أصبح الاهتمام الأكبر للرجال هو جمع اكبر قدر من الاموال من خلال بدلات السفر وتهريب العملة واستجلاب البضائع المستوردة ٠٠ وكيف انحطت الكفاءة القتالية للجيش ٠٠

وفى النهاية أدرك أن القيادة قد وقعت فى المصيدة التى نصبت لها لاضعافها وتشتيتها فى حـرب اليمن ٠

www.alkottob.com

ويعود صديقنا محملا بالهموم ويتحدث عما شاهده من تصرفات البعض في تهريب السجاير والسلع والاستهتار بارواح البشر واصدار تعليمات وأوامر غير مدروسة وعقوبة ..

سألته وما لغة العصر .... !!

رد : عندما تكلمنا لغة العصر بعد الهزيمة .. كان معناها .. عمل خطة واستكمال المعدات ... وتدريب الافراد عشرات المرات وتفهم جيد لمهامهم القتالية . ودراسة الموقف سياسيا واقتصاديا .. ثم التطبيق .. فاستطعنا ان نجبر سد بارليف ونحقق موقفا متوازنا امام القوات الاسرائيلية ان لم يكن انتصارا .

هذه هي لغة العصر .. وما تم بعد ذلك من معارك سياسية انتهت بجلاء القوات الاسرائيلية حتى حدودنا الدولية .. هو لغة العصر .. ولكن هل ستستمر هذه اللغة .. يتوقف هذا على هامش الديمقراطية والحرية اللذين سوف يتمتع بهما الشعب المصرى .. وعلى قدر الحرية ستزيد المبادرة الفردية والجماعية .. قد يستغرق هذا أجيالا حتى نسوى حسابنا مع امراض الماضى ولكن هناك املا !! أما فى غيبة الحرية والديمقراطية .. فلا أمل على الاطلاق ..

يوم عاد صديقنا من اليمن .. كان يمثل مقدمة كتيبته التى تقلصت بعد ترك نصف قوتها فى اليمن .. وكانت هناك حركة تنقلات مفاجئة فى القيادات اتت بقائد جديد ورئيس عمليات جديد .. اللذين اجتمعا بهم ليحدثاهم عن سياستهما فى ادارة الكتيبة .. والتى تتلخص فى الحصول على افضل تقدير اثناء التفتيش عليهم من هيئة التدريب .. ولذلك كان عليهم تجهيز فصول للتدريب وملئها بمساعدات التدريب .. ودهان وترميم بناء المعسكر واستكمال بعض المنشئات واهمها بوابة فاخرة وملء نماذج التدريب وتجليد الدفاتر الخ من مهام عديدة تتصل بالظهور بمظهر مناسب امام اللجنة .

وكان على صديقنا بصفته معماريا يقع العبء الاكبر .. على ان يتم قبل ١٥ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم المحدد لزيارة اللجنة . وكان قد تعود على هذه المهام بل اتقنها خلال الفترات السابقة لخدمته لذلك لم يتذمر . حتى كان يوما ينظم مكتبة وحدته يرتبها ويصنفها .. فعثر على كتاب أسمه (كتيبة ومعركة)

www.alkottob.com

قصة سوفيتية حاول استطلاعها فقرأ أول صفحة ثم ثانى صفحة ولم يستطع أن يتوقف حتى حضر الميكروباس الذى ينقلهم لمنازلهم ركبه وهو مستمر فى القراءة صعد الى شقته وهو مازال يقرا ٠٠ جلس على أقرب كرسى وظل يقراء حتى أنهى الكتاب ٠٠ كان يقص قصة كتيبة سوفيتية فى الحرب العالمية الثانية أثناء حصار موسكو بواسطة الالمان وكيف أن قائد الكتيبة استلم جنودها رجالا مدنيين بملابسهم المدنية ثم كيف دربهم حتى تحولوا الى جنود دخل بهم معركة دفاعية وهجومين ٠ يقص من خلال قصة مشوقة للغاية كيف تغلب هؤلاء المدنيون على عقبات لا نهائية فى ميدان القتال ٠

وتغير صديقنا ـ أصبح لا ينام ٠٠ يراجع كل افكاره وموقعه من العالم والحياة ٠٠ ويقارن بين ما تم فى هذه الحرب وما يتم فى الجيش فى ذلك الوقت ٠٠ ان الحرب تحتاج الى تدريب وفهم وعلم ٠٠ ان كل ما يعمله الان هو من قبيل الغش ٠٠ غش فى حياة أفراد ومصير امة وشعب ٠ عندما حمل أفكاره وهمومه لزملائه ٠٠٠٠ سخروا منه ٠٠ عندما ناقش قادته قالوا له اهتم بما هو فى اختصاصك فقط ٠

وكان وكانوا يعللون النفس بانهم لن يشهدوا حربا حقيقية فى يوم ما ٠ ولكن للأسف كان اليوم أقرب مما يتصورون ٠

سألته : ولكن الديمقراطية والحرية تحتاج لشعب متعلم ونحن نسبة الامية لدينا لا تقل عن ثمانين بالمائة ٠

رد : ليس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما لتخلفه ٠٠ علينا أن نتعامل مع مجتمعنا من خلال واقعنا ٠٠ ان الممارسة والعمل الجاد فى الواقع ورفع كفاءة الانتاج عمل يومى ودؤوب ٠٠ ولكن لن يقوم به الا بشر احرار ٠٠ مزيد من الديمقراطية والحرية تنخفض نسبة الامية ٠٠ هل تعلم ان هذه النسبة كانت ستين بالمائه قبل الثورة ٠

فى يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ أعد صديقنا جنود سريته واستعد للذهاب لميدان النار لتدريبهم استعدادا للاختبار ٠ وذهب ليستأذن القائد فوجده مرتبكا أصفر الوجه ٠ ورد عليه باقتضاب ٠٠ لا تخرج للميدان ٠

سأل : هل الغى التفتيش ٠

www.alkottob.com

وكان الرد : لا ... ولكن صدرت الأوامر بفك التخزين واستدعاء الاجازات وكان معنى هذا ان الجيش أصبح فى أقصى درجات الاستعداد والطوارىء .. ساد الكتيبة الوجوم ثم انتشرت الحركه فجاة فى كل اطرافها .. الف أمر وألف شخص يتكلم .. الاصوات عالية .. والاعصاب متوترة .

كان عليهم فك تخزين المعدات المعدة للحرب .. واستكمال نقص العدة .. وفتحت مخازن الجيش أبوابها لاستقبال مندوبى الوحدات واجتمع الضباط أكثر من مرة وملئت عشرات النماذج الخاصة بالصرف والارتجاع واعيد الكتابة فى دفاتر الاسهد .. وخرجت العربات تزمجر .. وتصايح السائقون أريد بطارية .. فردة الاستين نايمة ..

وكان على الكتيبة الانتقال الى مكان الانتشار فى خلال ساعتين .

وازدحمت العربات بالمهمات والكراسى والخيام والمناضد والبضائع المختلفه فى الكانتين واخيرا الجنود وسلاحهم .

وتحركت الكتيبة الى مكان الانتشار . وأوقفت الاجازات والمبيت خارج المعسكر. جلس صديقنا مع زملائه داخل عربة زيل فى ضوء فانوس ميدانى. المطر ينهمر فى الخارج وهم يرتعشون من البرد .. يشعلون سجائرهم ويبحثون من معنى لكل ما يحدث من خلال الاستماع للمذياع .

لا ترجد الا أغانى عادية ....

كانوا يتساءلون .. هل معنى هذا أننا سنحارب !!

كان احدهم سعيدا لالغاء التفتيش . وكان الاخر يحاول أن يجد مبررا او وسيله للذهاب لمنزله .. وكان صديقنا الوحيد المندهش كيف يمكن أن نحارب ونحن نصف كتيبة فقط ...

فى الصباح كانت العناوين الرئيسية فى الجرائد .. اعلان درجة الاستعداد القصوى بالقوات المسلحة ردا على حشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية

سمح لهم بالتنقيب ساعتين لاستكمال مهمات كل منهم .. وفى الشارع .. كانت القاهرة تعيش عيدا .. الكل يشجع رجال القوات المسلحة .. المحلات ترفض أخذ نقود مقابل البضائع التى يشترونها ..

www.alkottob.com

عندما ضمته امه الى صدرها وبكت ·· قال لها ·· لا تخافى سنعود فورا ··· بعد أن نحقق حلم العرب وننهى المشكلة ···

وبعدها تساءل ·· ولكن كيف ·· ! وأصابه الشك !!

وعاد فعلل نفسه بأن يكون الجيش المقابل جيشا متخلفا ·· اليست قواته الرئيسية احتياطية ·· ان القيادة لابد وان تكون قد درست كل شىء ·· والا كيف تخاطر ··

وتصاعدت الاوامر ·· ورحل صديقنا مع وحدته الى سيناء ضمن القوات التى لا أول لها ولا أخر ·· ونشرت فى الجرائد صور دخول الفرقة الرابعة المدرعه سيناء ··· وكان يعجب ·· هل هذه حرب ·· أين السرية والمناورة ·· الجرائد على الطرف الاخر تنشر صور الجنود الاسرائليين يستحمون على البلاج وصور للمجندات الاسرائيليات ونحتها جيش المعاهرات ··· ما هذا ·· من سيحارب من !! ·

ولفت نظر صديقنا خبر صغير فى جريدة الاخبار ·· بأن القادة الانجليز ينصحون بضرب المطارات والطيران المصرى أولا ثم قتل الجيش المصرى فى مقبرة سيناء المهجورة ·· انها نفس خطة ٥٦ ·· ومستحيل تنفيذها مرتين··

سألته : ما معنى ليس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما له ؟ ··

رد : هناك بعض الافراد الذين ينبهرون بما يتم حولهم فى العالم بعضهم انبهر بانجازات الاشتراكية السوفيتية والاخرون بانجازات الرأسمالية الامريكية ···· وحاول كل طرف استجلاب التجربة وتطبيقها فى مصر بدون تصور لواقعنا الذى نعيشه ما الذى حدث ؟ مزيد من الالم والعنف أو السرقات والفجر ·· البعض الاخر تصور أن الاستكانة للتخلف الواقع والعودة الى القديم هو الحل ··· ومعنى هذا ايقاف حركة التقدم والبعض الاخر طالب بالرجوع الى أخلاق القرية ·

ما هى أخلاق القرية تلك التى يتغنون بها ···

وعندما صاحبت القوة فكرة من هذه الافكار أصبحت الضحية هى الحرية والأمل فى التطور ·· اما فى ظل الديمقراطية.وصراع جميع هذه الافكار على

www.alkottob.com

أرضيه الحرية والشرعية فان الديماجوجية والسلفية وكل ما هو غث سيرغض ويبقى للناس ما يفيدهم ٠

عقد الرئيس عبد الناصر فى ذلك الوقت مؤتمرا صحفيا قال أن أمريكا أموى دول العالم وهى لن تتدخل أو نرجو ذلك ونحن كفيلون بارجاع الحق لاصحابه وتاديب اسرائيل ٠٠ وعندما سأله أحد الصحفيين الانجليز بأن مرور عشر سنوات منذ ٥٦ هل أثرت فيه رد : هل تتخيل أننى مثل مستر الخرع ٠

رشدت انتباه صديقنا هذه العبارة ـ ما هذا ـ هل المشكلة مطروحة على بساط الجدية والشهامة والفتونة ٠٠ ليس ممكنا أن تنتهى هذه الاحداث بحرب لابد وأنها مناورة لارهاب اسرائيل فقط وارغامها على عدم الهجوم على سوريا ٠٠٠

عندما عبر الى سيناء قال له قائد كتيبة الكبارى وكان قائده السابق ان شاء الله ستعودون سريعا ٠هذى مناورة ٠كان سكان الاسماعيلية يقابلونهم بالزغاريد والشربات والحلوى والدعاء وكانت العربة تتحرك متوغلة فى عمق سيناء فى الظلام تصدر أصواتا رتيبة وتبعث الدفء والخدر فى جسده فتدور الافكار وتصطدم برأسه ثم تخرج تجول حوله ٠ وتعود له تؤرقه ٠٠ لماذا تم تغيير القيادات قبل الحرب بمدة قليلة ـ اليست القيادات القديمة أبعث للثقة ٠٠ !! هل هى حرب فعلا ٠٠٠ اذن لماذا ينشرون كل هذه الصور والتصريحات ٠٠ ولماذا الطرف الاخر يجلس فى برود يراقب ٠٠ وفى يأس قال لنفسه ماذا سيحدث اقصاها سوف أموت ٠٠ وتذكر قائد كتيبة ومعركة عندما كان يقول لجنوده ٠٠ نحن نحارب لكى نعيش لا لكى نموت ٠٠٠ ما فائدة جندى ميت ولكى نعيش يجب أن نستعد ونتدرب ٠٠ وكان يسأل نفسه ترى هل استعددنا ٠٠ هل تدربنا ٠٠

وظهرت فى الافق الاضواء الحمراء والبرتقالية ايذانا بظهور الفجر ٠ وانشغل فى متابعة اثار الضوء على الموجودات حوله عن افكاره حتى ظهرت الشمس تماما كان جسده قد أصبح جزءا من العربة ولم يعد يشعر بأنه يسافر وكان الجندى السائق بحواره يتململ ٠

سأله : هل أنت خائف ؟!

رد عليه : لماذا ٠٠ ربنا معانا ٠٠ ان شاء الله نرميهم فى البحر ٠

www.alkottob.com

سأله : ولماذا نرميهم فى البحر ٠

رد : دول ولاد كلب كفرة ٠

وتعجب صديقنا من الرد ٠٠ ولكن هذا هو مستوى الاقناع ٠٠ وحاول أن يشرح للجندى القضية ولكنه توقف فقد فات الاوان ٠ وتنبه أنه هو نفسه لم يوجه أحدهم له هذا السؤال ماذا سيكون رده ٠٠ هل هناك أى مبرر مهما كان لأن يقتل انسان آخر أو يرميه فى البحر ٠

سألته : هل ستزور اسرائيل بعد الصلح ؟؟

تردد قليلا ثم رد : وهل يتحتم على أن ازور جميع بلاد العالم ٠

ان ليبيا قريبة جدا ولم أزرها والسودان اقرب وأوربا وباقى أفريقيا ٠

عندما وصل صديقنا الى نهاية رحلته وجد نفسه فى معسكر خان يستعد لاستقبال مندوب هيئة التدريب ٠٠٠ وبسرعة انتشرت العربات وابتدأت البلد وزرات تعمل فى حفر الملاجىء وخنادق الوقاية واقامة الخيام ٠٠واستغرق العمل اليوم بكامله ٠٠ وكان اهم خبر هو انتصار الترسانه على الاهلى وحصولها على الكاس لاول مرة بعد حصول الاسماعيلى على الدورى ٠٠٠٠ واحتد الاهلاويه والزملكاوية ٠٠ وكان هناك مقال فى مجلة صباح الخير بقلم محمود السعدنى أربع صفحات عن الانتصار العظيم للاسماعيلى ٠

استدعى بعض الضباط لحضور مؤتمر يعقده المشير عامر فى مقر شعبة قيادة الفرقة ٠٠

وذهب صديقنا لحضور المؤتمر ٠٠ استقبلهم قائد الفرقة الجديد المعين منذ ايام عثمان نصار بتعليماته قبل حضور المشير ٠٠ لا شكاوى ٠٠ لا طلبات ٠٠ نحن مستعدون للتضحية فقط مفهوم ٠٠٠

وحضر المشير عامر وصدقى محمود قائد الطيران وعبد المحسن كامل مرتجى قائد الجيوش البرية وعديد من قادة الاسلحة والقوات ٠

---

(١) هامش : لم يصدر أى تصريح من اى مسئول مصرى برمى اسرائيل فى البحر ولقد أكد السيد الوزير محمود رياض ذلك اكثر من مرة فى عديد من المؤتمرات وفى هيئة الامم المتحدة ولكن هذا التصريح صرح به الشقيرى فى بداية الازمة ٠

www.alkottob.com

تكلم المشير عن المعركة القادمة بصفتها نزعة عسكرية وطلب من الضباط ايضاح أى استفسارات لهم ...

لم يتكلم أحد .. حسب أوامر قائد الفرقة .

احتد وقال انا عارف انكم بتتكلموا فى الميزات اسمعنى هنا .

أحدهم يسأل : ترى هل نحن مستعدون .

اجاب ـ بالطبع احنا عندنا أقوى طيران فى الشرق الاوسط انتم جهلة قول لهم يا صحفى قول لهم عن السخوى والتوبيلوف ..

رد الاخر : يافندم لن يحتاج المشاة للحرب .. سأنهى المعركة ولن يحتاج جندى المشاة حتى لتطهير الخنادق سأطهرها بالطيران . وخرج الضباط عن وقارهم فصفقوا .

سأل ضابط أخر : يافندم الجيش كله فى سيناء وهذا ما حدث فى ٥٦ ماذا سيحدث لو هاجموا مصر ..

دق المشير المنضدة بعنف بقبضته وقال ... انا المشير عبد الحكيم عامر يقول لكى قادر على حماية مصر وتحقيق نصر فى اليمن وتحقيق نصر فى سيناء ثم انتصب واقفا وغادر القاعة وهو يبتسم ويقول ان شاء الله لن يحدث شىء وكان صديقنا فى حاجة شديدة لهذا الرد .. معنى ذلك ان كل ما يراه فى القوات البرية لا قيمة له .... لان الحرب الحديثة تعتمد على الطيران والقيادة اعدت اقوى طيران فى الشرق الاوسط وشعر بالغيرة وفى نفس الوقت بالاطمئنان .. وكما حدث له .. حدث للآخرين .... ولكنهم اعتمدوا على الكلمة الهامسة المبتسمة ان شاء الله لن يحدث شىء .. وابتدأوا يحسبون موعد الاجازة والزيادة المتوقعة للمرتبات .. ومتى سيبدأ تفتيش هيئة التدريب .

سألته : ولكن اسرائيل ليست اى بلد فى العالم .. لقد زرتها أسيرا ذليلا .. فهل ترغب فى زيارتها ضيفا عزيزا .

أجاب : لقد قال لنا سكرتير الحزب الحاكم فى ذلك الوقت المأباى اننا اليوم أسرى ولكن شئنا أم لم نشأ فسيأتى اليوم الذى نصبح فيه أصدقاء ونزورهم بهذه الصفة . ولكن كيف يحدث هذا وفى اسرائيل وحولها مليونان من العرب الفلسطينيين مطرودين ومشردين كيف أستطيع أن

www.alkottob.com

اواجه ذا العيون الزرقاء والذى قابلنى هناك ·· قد استطيع ذلك يوم أن تحل القضية الفلسطينية ويرتضى الطرفان شكلا مناسبا للعلاقة والتواجد ·

صدرت بعد ذلك الاوامر لكتيبة صديقنا بالتحرك الى موقع جـــديد قرب الحسنة بكيلومترين ·· وجلس صديقنا بجوار سائق جرار ضخم يصدر أصـــواتا عالية وهو يصـــعد المنحدر فى الطريق الى الحسنة ·· كانت الشمس قد قاربت على المغيب ونسمه صـــواء بارده تهب من الشـــباك على يمينه بكابينة الجرار ·· وكان يشعر بحزن لا سبب له عادة ما يصاحبه فى هذه الفترة من اليوم · حان الشمس وهى تسقط غاربة فى الافق تعلن ان يوما آخر من عمره قد انتهى ·· وما العمر الا سقطات متتالية لهـــذه الشمس فى الافق ·· وفى يوم ما تعلن انتهاء حياة الانسـان ككائن على الأرض ··· وكان أمامه فى (القول) عربة محملة بالخشاب لا قيمة لها الا لذا كانت جوانب مرحاض ميدانى ··· وكراسى ومناضـد وخيـام ومكاتب وجراكن وفوق هذه الفوضى يجلس جنديان لفا حول رأسيهما فوطة كاكى اتقاء للبرد · أحدهما يشعل سيجارة ويستند على كرسى عندما دقق صديقنا فيه انفجر ضاحكا فلقد كان كرسيا بثلاث أرجل فقط - عندما لفت نظر السائق الضخم له ···· تساءل بأستغراب ـ والنعبى يافندم الكـــاس دى طالعة تحارب بكرسى بثلاث أرجل ··· استمر الآخر فى الضحك ثم علق ·· عهده حيعملوا ايه ··· ولـكن الموضـــوع لم يكن بسيطا عند صـــديقنا هكذا اذ من الأحق بالمكان فى العربة جندى يجلس مرتاحا أم كرسى بثـــلاث أرجل ؟؟ · لمـاذا نحتقر الانسان هكذا ··· لمـاذا نطلب من ذلك الجندى أن يحارب وهو راقد فوق كومة دن النفايات · الا نستهلك جنودنا هكذا بهذه الطريقة الأبدائية الوحشية ···

واسترسل فى أفكاره ·· هل كل هذا العناء وكل هذه الضجة من اجل الضغط على اسرائيـــل ·· لا بالتأكيد انه للضـــغط على مصر ·· فحرب اليمن وصلت الى قمة مشاكلها ·· والاسـعار فى ارتفاع مضطرد والمشاكل الداخلية تهز البلد هزا وهذه الحرب الصليبية ضجة من اجل الهاء الجياع عن شكوى بطونهم وهكذا تعودنا عندما تتفاقم مشـــاكلنا الداخلية تطلب النصر فى الخارج ··

يوم الانفصال السورى ·· انتصرنا بثورة اليمن ودفعنا بقواتنـــا اليها وقطع السائق تسلسل أفكاره بسؤاله ·· يافندم هل اليهود يعرفون

www.alkottob.com

أين نحن الان ·· اقصد هل يعرفون أننا متجهون الى الحسنة · (ان الخوف الاسطورى من العدو قابع فى نفوسنا ·· رغم كل اساليب الدعاية) ·

رد صديقنا ــ بالتاكيد ان اليهود بشر مثلنا ولهم امكانات لا تقل عن امكاناتنا وبالتاكيد هم يعرفون ماذا يحدث كما نعرف ماذا يفعلون فالاستطلاع والمخابرات هى أعين وآذان الجيوش ويجب ان ندخرك ونحن مبصرون والا وقعنا فى أول بالوعة فاغرة فاهها ···

سألته : ولكن ما هو تصورك للحل العادل للقضية الفلسطينية ·

اجاب : لا يوجد عادل أو غير عادل · نحن فى مواجهة تحدى حضارى اما أن نقبله ونكون ··· او نتجاهله ونزوى ·· وفى حالة قبولنا للتحدى وتطورنا ·· لن تصبح هناك قضايا شكلية ·· الاسرائيلى يقول ماذا نفعل بالأرض ان مصنع ساعات صغير يدر ارباحا وعائدا يوازى مئات الافد المزروعة والاف الافدنة غير المزروعة ·· اذا امتلك العرب عناصر التحدى الحضارى أى امتلكوا لغة العصر · وطوروا امكاناتهم واستغلوها افضل استغلال فستذوب اسرائيل داخل الامة العربية كما ذاب اليهود دائما فى وسط المسلمين والمسيحيين طول التاريخ ·· ان امتلاك العرب للغة الحضارية سينزع من اسرائيل اشواكها ومخالبها المثلة فى تكوينها الاستعمارى ولكن هل نحن لدينا الثقة فى أنفسنا ·· اذا ابتدانا فالزمن فى صالحنا ····

استقرت وحدة صديقنا فى اليوم الأول من يونيو ١٩٦٧ قرب الحسنة وابتدأت باقى القوات تتمركز فى مواقعها ·· استعدادا لمعركة قد تحدث اولا تحدث وكانت اولى المهام التى أوكلت الى صديقنا مشاركة مجموعة استطلاع الفرقة فى تحديد واختيار اماكن الاحتلال للواءات التابعة لها · ممثلا لوجهة النظر الهندسية ·

كان مكان أول اللواءات وهو اللواء ١١٨ سهلا فلقد كان عليه أن يحمى المنطقة من المدق التركى (وهو طريق كانت تستخدمه القوات التركية فى حركتها) الى طريق الحسنة القسيمة · لذلك انطلق فى ثلاث عربات جيب قائد الفرقة ورئيس الاركان ورئيس العمليات وقادة اللواءات ورؤساء اركانهم وضباط العمليات وصديقنا الى منطقة عمل اللواء وحدد مكان

www.alkottob.com

الكتائب ونقط الاتصال مع اللواءات المجاورة ... الخ . كما لو كان الامر يتصـــل بتدريب أو مناورة عادية ..

وفي اليوم التالى ٢ يونيو ثم تحديد مكان اللواء ١٢٠ أى اللواء الثانى وكان قائده عميدا احتياطيا اسمه العميد بركة رجل كبير السن طيب الى درجة كبيرة وأبعد ما يكون لأن يصبح قائدا للواء فى المواجهة حتى ان ضباطه كانوا يسمونه (الضرب من الحركة للعميد بركه) وكانت منطقة عمليـــات لوائه فى مكان موحش يسـمى وادى خرم ولم يكن يعرف مكانها الا قائد استطلاع الجيش وفى محاولته للوصول أخطأ الطريق أكثر من مرة .. حتى اصبح من الصعب لغيره الوصول ثانية خاصة انه فى طريق عودته عاد من طريق اخر مختصر يمر من خـلال مجرى سـيل جاف متشـقق ولا يصلح لمرور العربات الا الصغيرة جدا .

فى اليوم التالى ٣ يونيو طلب رئيس الفرع الهندسى من صـديقنا قيادة مفرزة تأمين تحرك لتطهير وفتح الطريق لتحرك اللواء ١٢٠ ليحتل مكانه .. وعندما واجهة صديقنا تبانه لا يعرف طريق الوصول عدده الآخر بأنه سوف يحاكمه ...

واحتار صديقنا هل يقبل المهمة ويضلل لواءا كامل خلفه ولعله ينجح عن طريق التجربة والخطأ .. ام يقول ويصر على أنه لا يعـرف .. ومن قال لا أعرف فقد أفتى حتى ولو حاكمه رئيسه . واختار الحل الاكثر شرعا . أن يقول لا اعرف ويصر عليه ..

أخذه رئيســه الى العميد بركه يسـتوضح الموقف .. وعندما قال له العميد « والله يا بنى له حق أنا نفسى معرفش أوصل ... ده دوخنا امبارح » تحرك رئيسه بعصبيه وتمتم « يا سيادة الرائد عليك أن توصلهم » ثم ركب عربته وانطلق ..

جلس صديقنا بجوار رئيس مهندسى اللواء مهموما يفكر ماذا يستطيع أن يفعل ... وعندما أسر ذلك لزميله .. أعتاج الاخر .. وابتدأ يتشكى

www.alkottob.com

مما يراه حوله ·· وبهت صديقنا من الموقف المتردى الذى عليه الجيش فقد اتضح أنهم استدعوا الاحتياط على عجل وبملابسهم المدنية ووزعوهم بغض النظر عن تخصصاتهم السابقة على الوحدات الأعجب من ذلك أنهم أحضروهم بواسطة عربات كتيبة النقل .ثم سحبوا العربات وتركوا الجنـود بدون أسلحة كافية أو حتى مياه للشرب ·· وأصيب بالقلق فتحرك فى اتجـاه العميد يستنجد به لعل زميله لا يعرف كل الحقيقة ·· عندما سأل كيف سنقتتلون ·· فاجأه الاخر باعطائه قطعتن من الجيلاتى أحضرتها ثلاجات ضخمة من القاهرة ترفيها للجنود العطشى ·· وقال أولا نأكل الجيـلاتى وبعد ذلك نتفاهم ·· ثم اردف ·· سيحضرون لنا عربات كتيبة النقـل لتوصيلنا قل لى والنبى يا بنى من أين سنحضر المياه ·· يقولون أن هناك بئرا ·· هـل رايته ؟؟

قطع عليهم الحديث وصول قائد الفرقة وضابط اسـتطلاع الجيش الذى نادى على صديقنا ف· ة يا بشمهندس هات معـداتك واتبعنى ·· افتح الطريق وعلمه لعربات اللواء ··· »

··· سألته : وما بعد الاسـتقلال ··

أجاب : فى اللغة العربية عندما تضع بعض الكلمات بين قوسين فمعنى ذلك انها جملة اعتراضية لتوضيح موقف ويمكنك قراءة الجملة متجـاهلا ما بين القوسين ·· ما حدث منذ ٦٧ يمكنك ان تضعه بين قوسين. وتكمل الجملة ·· قبل ٦٧ كانت الجملة هى كيف نتغلب على أزمة اقتصـادية حادة كيف نعمـل ؟ كيف نواجه عالمـا متطررا ؟ ويتطور بسرعة أكبر ·· كيف نقود المنطقة لصالح شعوبها وشعبنا ؟ لتحتل المكان المناسب لهـا وقطعت هذه الجملة بحرب واحتلال واستنزاف وحرب ومفاوضات وصراع ··والان علينا أن نكمل جملتنا كما كان يجب أن نكملها منذ خمسة عشر عاما··

كانت الرحلة مرهقة الى أقصى درجة ·· فان وادى خرم ان لم نكن تعرف أرض زراعية أهملت لمئات السنين ·· فجفت وتشققت ·· واصبح أى خدش لها يثير أتربة ورمالا سائبة · ولعمل طريق حتى ولو مؤقت يستغرق شهورا ·· لذلك فلقد اكتفى صديقنا بتعليم طريق بواسطة طرف سكينة الجريدر ليكون عـلامة للعربات فقط وكانت العربات تتبعه فتزيد من نبش الرمال حتى أصبح من المتعذر أن تتحرك بسرعة أكبر من ٢٠

www.alkottob.com

كيلو متر ساعة وبصعوبة ·· وزعقت موتورات العربات ·· أثارت خلفها عواصف من ابرمان السائبة ·· وتصايح الجنود المعلقرن فوقها ·· وتحول وادى خرم الى سيرك ··· فوضى شاملة كاملة · وفى نهاية اليوم حوالى الخامسه ·· وصلت القافلة الى عايتها ··· بحث قائد الفرقة عن صـديقنا ··· اجاط كتفيه بساعده ثم اشار الى مجرى السيل الجاف ··· وطـلب منه فتح طريق عرضى عبره ليحرك عليه المدفعية التى حتما ســتعجز عن الحركة خلال الطريق الذى اتوامنه ·

كان الرجل يتكلم بصوت هادىء أبوى ·· وقد حاول أن يكسر حدة التعليمات العسكرين الجـــافة ··· وأثر ذلك كثيرا فى صـديقنا ·· فهو كبقية شعبنا يمكن أن تسلب منه حياته بالكلمات الرقيقة التى لم يتعودها··

عندما سأل قائده عن خريطة يتحرك من خلالها ··· قال له الآخر ·· لا توجد الا واحدة ·· ولا يسـتطيع الاسـتغناء عنها انما الطريق المطلوب فى اتجاه النخـــلات البعيدات ·

ذهب صـديقنا متحمسا وطلب من جنوده انزال البلدوزرات من فوق المقطورة ليبدأ فتح الطريق ···

ولكن لماذا ستكون وحدة صديقنا اكثر تنظيما من الآخرين !!

لقد همس السائق فى اذنه ··· بأن الرديراتير مخروم ولا يوجد معه مـــاء ··

وكاد أن يصيح فيه ··· وكاد أن يقول له مثل رئيسه « تصرف » ولكن ماذا يفيد كل هذا ··· كان عليه أن يتأكد من سـلامة معداته قبـل ان يتحرك بها ·· وكان عليه أن يتأكد من وجود ماء ··· .

وعاد لقائد الفرقة حزينـا ومتوترا فوجده راقدا على الارض ينظـر الى السماء يتأمل ··· عندما لاحظه سأله « مش حتقدر ··· طيب بكـره ان شاء الله تحضر معداتك وتفتـــح الطريق » · وبأحساس بالذنب أجاب صديقنا فورا وبدون أى حسابات « لا يا افندم انشاء الله سيفتح الطريق اليوم » وعاد الى رجاله يفكر كيف سيوفى وعدا قطعـه على نفسـه بدون تفكير أو حســـاب ·

www.alkottob.com

كان جنوده يشعرون بمدى الحرج والاحباط اللذين تسببوا فيهما لقائدهم فجلسوا واضعين أيديهم تحت رءوسهم فى انتظار الفرج ... وكان قد توصل الى خطة ابتدائية بأرسال عربة محملة بجراكن مياه الى الحسنه فتملأها وتعود بها حتى ولو كانت الساعة العاشرة مساء فيبدأ العمل فى الصباح .

ولكن رقيب سريته عاد مهللا ... كما لو كان ارشميدس ينادى لفيناه يافندم ... لفيناه ... فلقد وجدوا بئر مياه على بعد أمتار .. اندمعوا جميعا فى فرح حقيقى تجاه البئر ... ولكن كيف .. !! كيف يحضرون المياه منه ... وتفجرت طاقات لم تكن فى الحسبان ... فك سائق حبل شبكة التمويه .. وأحضر اخرون جراكن ربطت بالحبل وملأوا كل الجراكن بالمياه ... وفى وسط الفرحة ... تنبه صديقنا الى أن الوقت يجرى وستغيب الشمس بعد مدة قصيرة ... ولن يستطيع تحديد اتجاهه ...

أخذ رجاله وتحرك بسرعة فى الخرر ينثرهم وبين كل واحد وأخر حوالى مائة متر ... فى الاتجاه الذى حدده له قائد الفرقة . وبعد دقائق دار البلدوزر وعلى ضوء كشافات العربات والجرارات ازال التربة المكسرة فى عرض مجرى السيل .. ساعات .. وساعات .. وساعات .. حتى وصل الى أخر جندى .. ولم يظهر طريق القسيمة الحسنة كانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحا ... قسم جنوده الى قسمين احدهما مستيقظ للحراسه وآخر ينام ..

ظهرت الشمس ثانية ... واضاءت المكان ... لم يتعجل فى يوم ظهورها كما تعجله فى هذا اليوم ... ولم يفرح بالضوء قدر فرحه بهذا الضوء ... لقد كان الطريق على بعد أمتار منه ...

فى التاسعة صباحا كان صديقنا يقف أمام خيمة القائد ... وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه ... ابتسم وسأله ... هل ستذهب لفتح الطريق ياباشمهندس ... رد الاخر .. لا .. بل أنا عائد من خلاله .. صحبه قائد الفرقة معه الى ميز الضباط القادة .. لتناول افطاره .. بعد قليل حضر رئيس المهندسين نظر له بغضب ثم همس . ما الذى أتى بك هنا .. الم اقل لكم الا تتصلوا بأحد الا من خلالى ..

انقذه قائد الفرقة وقال . الحقيقة الباشمهندس قام بعمل رجولى لقد فتح لنا الطريق العرضى ويمكننا ان ننقل الدفعية اليوم .. من فضلك وجه له خطاب شكر بأسمى على كتيبته .

www.alkottob.com

غير رئيس المهندسين لهجته وعقب على كلام القائد « فى الحقيقـــه هو ضابط ممتاز » • خارج الميز كان يقف قائد الكتيبة عندما شاهد صديقنا فى صحبة رئيس المهندســـين بادرة « ايه يا بنى انت كنت فين !! •• هو فيه نسوان هنا والا ايه » •

رد رئيس المهندسين بعد ان وقف انتباه وقال :

يا سيادة المقدم يشرفنى أن ابلغك بأن قائد الفرقة يقدم شـــكره لسيادة الرائد والكتيبة على العمل الرجولى الذى قامت به سريته فى فتـــح الطريق العرضى لتحرك المدفعية •

رد قائد الكتيبه « وانا كمان يافندم سأذهب بنفسى لاصلاح للطريق الاخر » رد الاخر « لا المهم احضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ونقله الى اللواء ١٢٠ ـ فى خرم » •

سألته : ولكن ما تم خلال خمسة عشر عاما لا يمكن أن يوضـــع بين قوسين •• لقد كان له تأثيرات ايجابية وسلبية فى كل شىء ••

أجاب : عندك حق •• ان الاطفال الذين ولدوا فى ٦٧ أصـــبحوا الان شبابا ••• والشباب أصبحوا فى منتصف العمر • ولكن المشكلة مازالت قائمة التحدى المطروح مازال قائما كيف نستطيع أن نجتاز الهوة الواسـعة بين عالم متقدم ويتقدم بسرعة فائقة وبين توقفنا •• لا تهتم بأن المجارى والمياه والطرق والكهرباء والتليفونات •••• الخ • تحتاج لاصـــلاح •• فهذه سيتم اصلاحها ••• ولكن الانســـان نفسه هو موضـــوع التحدى يا صديقى •• كيف يعيش •• كيف يفكر •• كيف يعمل •• ما هى قيمه •• ما هى علاقاته •• الانسان المصرى خلال الازمة تشوه كثيرا ولكنه أيضـــا احتمل كثيرا وفى اســـتطاعته مع التنظيم أن يخلق المعجزة •• الانســـان المصرى لا يقل عن الالمانى او اليابانى الذى استطاع بعد الحرب العالميـــة ورغم اقتصاده المدمر والتشـــوهات الواضـــحة التى حدثت له أن يخلق المعجـزة ••••

www.alkottob.com

- عندما عاد صديقنا الى وحدته وجد رئيس العمليات يطلبه ·· فلقد أحضروا لهم مائتى جندى احتيـــاط يثيرون الاضـــطراب فى كل شىء ·· وطلب منه ان يقول لهم كلمتين ليسكنوا ·· اليس مسئول التوجيه المعنوى بالكتيبة · جلس بينهم يتاملهم كلهم تجاوزا الثلاثين ·· رجال مدنيون رغم الاوفرولات الواسعة التى يرتدونها · قابلوه بعاصفة من الطلبات ··

الماهية يا سعادة البيه ·· القضية يا سعادة البيه ·· قضيته فشل ·· مراتى بتولد ·· امى بتموت ·

ظل ساكنا حتى انتهوا وصمتوا ·· أطال فترة سكوته مستمتعا بالسلطات التى منحه اياها المشير عامر يوم وضع على كتفه رتبة العسكرية·

أخيرا قال لهم بصوت هادىء ·· هل تريدون أن تحاربوا !!

ردوا فى صوت واحد ·· آه ·· آه ·· نموت فى سبيل فلسطين ·

رد متحيلا نفسه قائد (كتيبه ومعركة) ·· لماذا تموتون ·· جندى ميت لا قيمة له ثم صمت قليلا وأكمل من يستطيع منكم أن يرص لغما ؟ ·· لم يرد أحد ـ من عمل فى سرية طرق ؟ ·· من حفر بالمفرقعات ؟ · لم يرد أحد ـ أكمل ·· حماسكم أكبر من قدراتكم ·· وبالتالى فالعمل العظيم الذى تستطيعون أن تقوموا به هو أن تتركونا نعمل ولا تزيدوا مشاكلنا ·· الاكل سنحاول أن نقتسمه ·· الماء ســـنحاول ان نحضره · ولكن ارجوكم تذكروا ان حماسكم أكبر من قدراتكم وعليكم ان تقـوموا بواجبكم بأن تتركونا نعمل بهدوء ·

الشىء الغريب بعد ذلك أنهم قاموا بواجبهم وتكون منهم ما يُشـبه الحكم الذاتى وظيفته المحافظه على العهد الذى قطعوه على انفسهم ·

كانت مشكلة الجنود الاحتياط سهلة ·· ولكن الاكثر صعوبة كانت الضباط الاحتياط الذين انضموا الى الكتيبة لتعويض نصفها المفقود فى اليمن ·· لقد كان معظمهم قد حضر سيناء لاول مرة وبعضهم كان ـ ابسـ مدة طويلة عن القوات المسلحة ···· كأساتذة فى الجامعة ·· أو مسئولين بوحدات مدنية ·· وكان كل منهم يحمل فى يده لسيناء خريطة صـغيرة

www.alkottob.com

مرسوم عليها الطرق الاساسية ٠٠ التفوا حول صديقنا يسألونه عن تفاصيلها ٠٠ عندما طلبه قائد الكتيبة وهو مذعور ٠٠ ان قائد الفرقة يطلبك بالاسم لأمر هام أسرع لمقابلته ٠

قال له : أنا انتدبتك لهذه المهمة للاسباب الآتية أولا : لانك موثوق منك ويعتمد عليك ٠ ثانيا : لانك تعرف الطريق جيدا ٠٠ ثالثا : لانك مهندس ٠٠٠ ستذهب لخرم هناك احتل اللواء ١١٦ بدلا من اللواء ١٢٠ الذى سحبناه ولقد وصلوا منذ ساعات فقط ستقابل العميد خيرى قائد اللواء وستقول له ان سيادة المشير سيحضر باكر ٥ يونيو صباحا للتفتيش على التجهيزات الهندسية ودفاعات اللواء ٠ وبالمرة تعد ثلاثة مطارات لثلاث طائرات هليوكبتر فى مكان ظاهر تحيطه بالجير الابيض كى تنزل الطائرات فيها لا تتأخر الساعة الان السابعة يجب أن تصل قبل التاسعة ٠

خرج صديقنا مندهشا ٠٠ كعادته فى هذه الايام ٠٠ كل الاشياء التى حوله غير منطقية ٠٠ كيف يسحب اللواء ١٢٠ ويحتل مكانه ١١٦ رغم أن الأول لم يمض على احتلاله لموقعه أكثر من ساعات ٠٠ يفتش المشير على لواء لم يمض أكثر من ساعات على احتلاله لموقعه ٠

ولكن عليه أن يبلغ الرسالة ٠٠ فما اداه ٠٠ قد تكون هذه هى طبيعة الامور ٠٠ والانسان الذى ينظر للتفاصيل قد لا يرى الصورة العامة جيدا ـ جمع مجموعة من الجنود فى عربة ومعهم مهماتهم ٠٠ وتأكد فى هذه المرة من أن المهمات كاملة ٠٠٠٠ واتجه الى مقر اللواء ١١٦ ٠٠٠٠

الطريق فى الصباح لعنة ٠٠ فما بالك ليلا ٠٠ والحركه فى الصحراء بدون خريطة أو اضاءة معجزة حتى لو كنت تعرف المكان فما بالك وهو لا يعرف أين احتل اللواء الجديد مكانه ٠٠

تحرك فى الطريق المعروف لديه حتى وصل الى نهايته وهناك ظل يدور بالعربة فى دوائر ضيقة لساعات عديدة ٠

وفى كل لحظه يوقفه جنود الحراسه ٠٠ ويسألونه عن كلمة سر الليل التى هى كلمة خاصة بهذا اللواء ابتكرها على عجل ٠٠

www.alkottob.com

دخل السريه الطبيه وسرايا الخدمة ·· حتى عثر على سرية المهندسين بالصـــدفة ·

كان قائدها صديقا له ·· قابله بالاحضـــان · عندما عرف مهمته نصحه بأن ينام حتى الصباح ·· ولكن الاخر كان لابد وأن يبلغ الرسالة ·· دله صديقه على المكان التقريبى لقائد اللواء وهناك اوقفه جندى الحراسة اثبت ·· طفى النور ·· خلمه مر الليل عايز مين ·

ـ سيادة العميد خيرى ·

ـ نقوله مين ·

ـ ضابط من طرف قائد الفرقه ·

وجه حديثه للعربه ـ يافندم ـ يافندم ·· سيادة الرائد عايزك ··

صوت اجش من داخل العربه ·

ـ عايز أيه ·

ـ أنا يافندم ضابط من طرف سيادة قائد الفرقة ومعى رســـالة ·

يرد من الداخل أيه الرسالة ·

ـ أكلم سيادتك لانها سرية جدا ··

يستيقظ بتأفف ويمسح نور البادبوس ويفتح الكبوت من الخلف · فيظهر فى الضوء الخافت شخص سمين جدا · اسـمر ـ شرس ··

ـ ايه ياسيدى الرسالة السرية جدا اللى جايبها الساعة أتنين · دى

ـ سيادة المشـــير سيحضر باكر للتفتيش على تجهيزات الدفـــاع الهندسى ·

ـ وأنا حعمل أيه الساعة اتنين (وكأنما شعر بأنه تجاوز فأردف) طيب اتفضل أنت ··· علم ياسيدى ·

أدى صديقنا مهمته وأنهى قلقه ·· وترك الاخر ساهرا ·

فى الخامسة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومع ظهور أول ضوء للشمس يسمح لصديقنا بتمييز ما حوله ·· وقف فوق ظهر عربته ·· وحدد أماكن ظاهرة تستطيع أن تنزل فيها الطائرات ·· وكون ثلاثة مربعات تصـــلح

www.alkottob.com

الى خيمة صـــديقه قائد سرية المهندسين فوجـــدهم يعدون العــدة لرص الى خيمة صـديقة قائد سرية المهندســين فوجدهم يعـدون العـدة لرص حقول الغام فى مواجهة اللواء الجديد ..

بعد قليل هبطت طائرة فى مكان من المطارات الثلاثة لتتأكد من صلاحيته قبل حضـــور المشير .. ثم عادت ثانية .. وجلس صـــديقنا مسترخيا قبل أن يستعد للعودة . كان يفكر .. وهكذا كانت نظرته ضيقة للامور عندما اعترض على احتلال اللواء ١٢٠ ـ الاحتياطى للموقع ..

ان هذا اللواء بالتأكيد افضل كثيرا .. وقطع عليه سلسلة تفكيره ضابط يدخل مندفعا الى الخيمة ...

مسمعتوش وقعنا عشرين طيارة ..

ـ اية

ـ وقعنا عشرين طيارة اسرائيلية .

ـ مين . ؟؟

ـ احنـــا .

ـ فـــين ؟ !

ـ فى مصر !!

ـ امـــتى ؟؟

ـ الان ....

ـ مين قال كده ..

ـ فى الاذاعة .... فتح الراديو بسرعة .

كان صوت المذيع يجلجل ... وقعت اسرائيل فى المصيدة .. هـذا يومك يا عربى ايها المواطنون .. [أستمع بانتباه شديد ثم التفت لصديقه] .

ـ معنى كده ان القاهرة دمرت ...

ـ ليـــه .

ـ ذوقـع عشرين طائرة فى اول موجة .. معناه انهم هجموا بمائتى طائرة على الاقـل .

www.alkottob.com

ـ آه ٠

صيحات من الخـارج والجنود يرقصـــون بقوا اربعين يافندم ٠ عواطفه تغلب على عقله ويبكى ٠٠ اربعون ٠٠ اذن شبكة الصواريخ قامت بالواجب ٠٠ احتمال الاصابه ٩٠٪ فى روسيا لو الضابط لم يصب الطائرة بالصاروخ يعدمونه ٠٠ هكذا يقولون ٠٠ !!

ـ يرد صديقه ـ ياعم ده كلام اذاعة تلاقيهم عشرة أو خمستاشر ٠

يدخل رئيس المهندسين مهرولا ٠٠ وبدون تحية ٠٠ يسأل صديقنا ـ أين قائد الكتيبه ٠٠ خرج منذ الصباح لاحضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ولم يحضر حتى الان ٠٠٠٠

طائرة منخفضه جدا تطير فوق الوادى ٠٠ طائرة ميراج اسرائيلية ٠٠

اسمع خيرى يهرول ويشتم ٠٠ كل العربات تنتشر ٠٠ انتشر ٠٠ هذ الحيه دى ٠٠ حاس مؤذيا جدا ٠٠٠ ونقل توتره للاخرين ٠٠

ويعود صـــديقنا الى كتيبته من الطـريق الذى فتحه بالامس ٠٠٠ المدافع المضادة للطيران فى حالة تأهب ٠٠ طلقات متباعدة تسمع من بعيد ٠٠

قائد الكتيبة يقابله ٠٠ ويسأله : ألم تر الحفار ٠

يرد : حفار أيه ياافندم الحرب قامت ٠٠٠

www.alkottob.com

الفصل الثانى

الحـــرب

سألت صديقنا : هل تتصور أن تقوم حرب أخرى مع اسرائيل ..

أجـاب : كل شىء ممكن .. دعنا اولا نحلل أسباب الحروب ومنها نستطيع الاجابة على سؤالك .. فى الغالب يكون سبب الحرب هو فرض ارادة سياسية واقتصادية من طرف على طرف آخر .. فخلال صراعنا مع اسرائيل .. قبل ٤٨ وأثناءها .. كانت مجموعة من الصهيونيين يحاولون عمـل وطن قومى لهم يهربون فيه من اضـــطهاد دول العـــالم ـ كما يقولون ـ لهم .. أى فرض ارادة سياسية .. تطور هـذا الموقف بعد ذلك عندما عرضت اسرائيل نفسها على بريطانيا كأداة لحماية مصالحها بمنطقة الشرق الأوسط وتأمين قناة السويس .. ثم على فرنسا .. لضرب ثورة الجزائر عن طريق كسر شوكة مصر .. وفى ٦٧ كانت الحرب هى تتويج لخطة امريكية هدفها الانهـاء على الروح والخط الثورى المتحرر فى المنطقـة والذى كان يقوده عبد الناصر .. فى البداية استهلكت القوات المســلحة فى اليمن ثم هدت الاقتصاد القومى بالمقاطعة والحصار .. ثم أكملت على ما تبقى فى حرب ٦٧ .. لتفرض ارادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة .. ومن جهة أخرى فان الاقتصـــاد المصرى والرأسمالية المصرية .. هما المنافســـان الوحيـــدان والمعـــطلان لتقـــدم الرأســـمالية والصـــناعة الاسرائيليه وتغلغلها فى أســـواق المنطقة .. حرب ٧٣ كانت رفض الاستسلام للواقع الذى فرضـته اسرائيل وامريكا .. وفى جوهره بالطبـع فرض ارادة ... سياسية .. أهداف اسرائيل من الصلح هو التجارة أولا واخيرا .. وهم لا ينكرون ذلك .. أى التغلب على الازمة الاقتصادية الاسرائيلية عن طريق سوق يضـم مائتى مليون عربى .. فى المنطقة .. ان لم تحقق امريكـــا واسرائيل أهدافهما .. فستقوم حرب ... ولكن هل يوجـــد عاقل واحـد فى مصر يستطيع أن يغامر بكل اقتصاد البلد بدخوله معركة أخرى ...

www.alkottob.com

أنظر يا صديقى قناة السويس ·· كل البترول المكتشف فى مصر ·· اصـــلاح الأراضى والزراعة ·· السياحة ·· المواد الخام ·· كلها البوم فى منطقة ميدان المعركة التقليدية ·· من الذى يستطيع أن يدمر اقتصـاد مصر بتعطيله قبل وأثناء وبعد حرب مهما كانت أهدافها أو أسبابها ···

عاد صديقنا الى كتيبته ·· اذن فقد بدأت المعركه وقبلت اسرائيل التحدى بدلا من أن تقبل الضغط عليها وتسحب جنودها من امام سوريا ·· وانقطعت الاخبار ·· ترى ما الذى يحدث الان ·· الشمس فى كبد السماء ·· ولا توجد سحابة واحدة ·· والارض لم تتغير ·· والبشر يتحركون يبحثون عن المياه والأكل ···

ومن الراديو يأتى صوت أم كلثوم ·· جيش العروبة يا بطل ·· الله معـك ·· ما اشجعك ما اروعك ·· يشـعر بأنزعاج من كلمات الاغنية ولحنها ··· ما الذى حدث ·· أين أغانى ٥٦ ·· الشعب بيزحف زى النور ·· الشـعب جبال ·· الشـعب بحور ··

رقد على سريره يفكر ·· ترى كم طائرة هاجمت القاهرة ·· وترى هل رد طيراننا بنفس القوة ·· وكم طائرة سقطت لنا ·· فى صباح اليوم التـالى · كانت الامور هادئه ·· اين الحـرب لا شىء الا بعض الاغانى والشعارات والبيانات وفى صوت اسرائيل كان ليفى اشكول يقول لجنوده ·· معكم السلاح ولديكم القيادة المدربة جيدا ·· ولقد تدربتم واسيوعبتم دوركم وما عليكم الا ان تدافعوا عن انفسكم وتنتصروا لتعيشـــوا · ومن القاهرة كان أحمد سعيد يقول ·· كلها دقائق ونصل تل أبيب ·· سنشنق موسى ديان على أقرب شجرة ···· اقتلوهم ·· اذبحوهم ·· انه يرم العروبة ·· الجيش الاردنى فى المعركة ·· الجيش السورى فى المعركة ·· الجيش الكويتى فى المعركة ·· الجيش · الجيش ····

رئيس الفرع الهندسى يخرج مهرولا ومعه قائد السريه الاولى ليرص الغاما أمام اللواء ١١٤ (اللواء الثالث فى الفرقة) ويعود ثانية ليطلب من صديقنا الذهاب الى قيادة الجيش لاحضار خطة نسف الطرق من رئيس مهندسى الجيش العميد « عبد الستار مجاهد » · فى قيادة الجيش والتى تم اعداها فى خمس ســنوات تحت الأرض لتتحمل انفجار قنبله ذريه فوقهـا مباشرة كان العميد عبد الســتار يجلس اصــفر الوجه جاحظ العينين ··

www.alkottob.com

أمامه قروصتا سجائر كليوباترا والطفايات ممتلئة بأعقاب السجائر ..
وحوله مساعدوه .. عقداء ومقدمين ورواد ....

سأل صديقنا : هل أنت قادم من الحسنة .. هل يضربونهـا الان بالطيران ... عندما أجاب صديقنا بالنفى . رد الاخر : الان يضربونها .. انتظر قليلا ... كان حوله فى غرفة العمليات معلق خطط الجيش ملونة بالاحمر والازرق والاسهم والاشارات تحدد أماكن القوات وموقف العدو ..
وكان صديقنا يتأملها .. عندما دخل أحد الرواد قادما بأحدث المعلومات ...

ـ لقد اخترقوا الخط الدفاعى الرئيسى وسـقطت العريش وبئر لحفن وابو عجيلة ورفح والشيخ زويد ..

وذهل صديقنا انها أول معلـومات حقيقية يعرفها عن الحرب .. معنى ذلك ان الاسرائيليين فى طريقهم الى مواقع قواتهم فى الحسـنه اذا أستمر الموقف هكذا فستكون المعركة فى اليوم التالى ..ـ أى ٧ يونيو .

ركز عينيه على الاوراق .. أين هذه القوات وأين الهجمات المضادة .. لقد كان بناء على ورق .. ومن الورق .. انهار مع أول نسمة هواء .. وتجمعت كل الخفافيش تصدمه فى الظلام .. شريط بدأ بانكرسى دى الارجل الثلاث .. وخبط المشير على المنضدة بقبضة يده .. واللواء الاحتيـاطى المهمل بدون مياه أو حتى عربات . واللواء الآخر الذى أحتل أماكنه خـلال ساعات .. وقائد كتيبته الذى مازال يبحث عن الحفـار . كانت العربة تتحرك به بعيدا عن قيادة الجيش فى اتجاه الحسنه .. وكانت سحابات الدخان تتصاعد من المواقع القريبة من وحدته .. وهكذا يعمل الاسرائيليون يدكون بالطيران ثم يهجمون بالمدرعات والمشـاه بعد ذلك .. وبالتـالى فالمعركة انتهت بهذه السرعة سقطت ابو عجيله والتى كانوا يسمونها مركز سيناء لقد صمدت فى ٥٦ عدة أيام رغم أنها لم تكن محصنة بنفس الدرجة التى عليها الان ... انه يعرفها جيدا فقد شارك فى اقامة هذه التحصينات فى يوم ما .. لقد كان لكل بندقية دشمة خرسانية .. وكاد يشك فى صحة هذه المعلومات .. ولكنها معلومات هيئة العمليات .. على أعلى مستوى .. آه .. هل انهزم الجيش وشعر بالقشعريرة . لا يمكن ان لدينا أقوى طيران فى الشـرق الاوسـط ...

ولاذ صديقنا بالصمت يرقب ما سوف يحدث .. خوفا من ان ينشر الدعر والبلبلة بين الزملاء .. واختفى عن الاعين فى حفرة بعيدة يبكى ..

www.alkottob.com

ويجتر الالم ·· حتى افاق على جحيم نيران الطيـــران المعـــادى ـ كانت الطـائرات الاسرائيلية قد ملكت الجو تســـقط عليهم مطلقة دفعات متتالية من الرشاشات ·· ومن بعد كان يسمع صوت انفجارات مكتومة وفرقعات متبـــاعدة ···

ويسقط بجواره سائق عربته ·· رآه وهو يسقط اصفر وجهه بشدة وجحظت عيناه متسائلة ما الذى حدث !! ··! ثم التوت قدماه ·· وترنح لليمين ثم لليسار ودفع يديه للامام ممسكا بالهواء وسقط على وجهه معلنا صوت اصطدامه بالأرض ·· موت اول رجل ·· من وحدة صـــديقنا ·· كانت المعدات الضخمة الظاهرة ···· هدفا سهلا للطائرات اغرت الطيارين بان يلهوا بوصاصاتهم كانهم فى تدريب ·

سقط الطيار منقضا بطائرته مرة اخرى بعد أن دار دورة كاملة ·· وعاد ليكمل تدمير المعدات ··! اقترب جدا من الأرض ·· كان قادما فى مواجهة صديقنا ينثر الموت حتى انه رآه ·· كاد يلمسه ·· وجهه كان واضـحا من خلال زجاج كابينتة تخيل انه يبتسم متشفيا ·· وجه منتفـخ ابيض شديد الاحمرار يدل على ضخامته يخفى عينيه خلف نظارة مستديرة قابضة على وجهه وطاقية جلد قابضة على راسه واذنيه وامطر الموقع بالرصاص ·· كان من الممكن اصطياده ببندقية صيد ·· لا بل بطوبة ولكن بندقيته رقدت عاقرا بين يديه لسبب لا يدريه ··

وكأنما مـر هـذا الخاطر برءوس أخرى ترقب ·· ولكنها كانت اكثر فاعلية اذ أنه سمع طلقـــات بنادق قـــادمة من الطرف الاخـر للموقع ·· طلقات يائسة متباعدة · أخرجت القائد من مكمنه يصرخ ·· من الذى ضرب على الطيار ·· ؟؟ اجاب أحد الجنود ـ انها طيارة اسرائيلية ·

رد الاخـر ـ م · أنا عارف ·· عايز تلفت النظـر له ·· تثيره ·· سيعود لك ثانيا · هل تستطيع مقاومته ببندقيتك هـذه ·

ـ رد جندى ـ انها تسقط الطائرات فى فيتنام ·

ـ اجاب القائد بصورة قاطعة ـ وحياة أبوك بلاش فلسفة ·· فيتنام حاجة وهنا حاجة ثانية متضربش الا بأوامر ·

ذهب صديقنا بعد ذلك ليرى الضحايا ·· كان اولهم سائق عربته ·· ولد أذ لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاب · فبرغم تجاوزه العشرين الا أن

www.alkottob.com

جسمه كان ضئيلا أنهكه سوء التغذية والفقر ·· كان قادما لتوه من أعماق الصـــعيد يحمل معه جهله وسذاجته ·· وبيضا طاعته الابوية ·· التي لا تسـمح له بأى تصرف ذاتى ·· ثم درب على أن يكون سـائقا لعـربة قيمتها الاف الجنيهـات ···

ولقد كان من الممكن الا يموت لو لم يتذكر فجأة أثنـــاء القصف أنه تسى خوذته فى العربة ·· وهذا مخالف للأوامر فانطلق من خندقه فى اتجاه العربة وفتح الباب وأخذ الخوذة ليعود بها وهنا تنقض الطـــائرة وهدفها بركة الدماء ·· وكان له زملاء كثيرون فى أطراف المعسكر ومعسكرات أخرى ·· سقطوا ·· دون كلمة عطف أو تشجيع ·· ماتوا وقد كانت حياتهم ليست بخـير من مماتهـم ·

جفف دموعه ·· وتماسك ثم همس لنفسه ·· قد تكون هذه هى الحرب ·· الا يجوز أن يكون طيراننا مشغولا فى ضرب مطارات العدو ·· الا يجوز أن نقوم بهجوم مضاد نستعيد به أرضـــنا ·· وقد يستطيع مع رجاله أن يقدم عمـلا · أى عمـل يوقف الهـزيمة ··

كان القائد يصيح فى التليفون ·· يا فندم الطائرات تلقى شراكا خداعية ·· أرجو تبليغ الوحدات بألا يمسها أحد حتى ننسفها ·

واستدعى اقدم صف ضـــابط واشار له فى اتجاه جثه السـائق · لقد وجدنا شركا بجواز الجثة اذهب وانسفه ·· يصدر أوامره بعصـــبية فلتبتعدوا جميعا ٥٠ مترا على الأقل ·· يتكلم ثانية فى التليفون الميدانى ·· يافندم سننسف الشرك بعد نصف ساعة ·· يلىوا الوحدات حتى لا يحدث رد فعل غير مطلوب ·

وتكونت نصف دائرة بعيدة بالقدر الكافى يرقبون الصف ضـابط وهو يزحف تجاه الشرك بين اعجاب الجنود واشفاق الضباط ·· حتى وصـل الى مكان الشرك راقدا ·· ثم فجأة وقف متحديا لكل الاوامر ·· وأمسك بالشرك ورفعه لاعلى ثم عاد ضـــاحكا رغم المأساة التى يعيشها وصـــاح من بعد ·· فلقد كان الشرك خوذة الجندى الميت بعد أن اخترقها الرصاص فأخرج باطنها واصبح منظرها غريبا ·

www.alkottob.com

وهكذا مر اليوم الثانى للقتـــال ولم ير صـــديقنا الا تلك الطائرات النزقة ·· وصوت المذيع الثرثار الذى لا يزال يتكلم عن الخطوات الباقية المرتقبة والشنق على أقرب شجرة ·· قرب نهاية اليوم انشا مقبرة للشهداء ليدفن فيها الموتى ·· وعلى ارتفاع منخفض كانت تطير طائرتان ميج ١٧ ·· هلل لهما الجنود والضباط ·· وعلق احدهم ··· الم اقل لكم لقد صـــدرت الأوامر للطيران بالتدخل ·· وكان قائد الفرقة يمر سريعـــا بعربته وخلفه عدد أخر من العربات الجيب عائدا من معركة قرب العريش ·

ومع غياب شمس ذلك اليوم حضر رئيس الفرع ليبلغ قائد الكتيبة بأن الفرقة ستنسحب ٣ كيلو مترات الى مدينة الحسنة للدفاع عنها ·· أثناء حديثه يعود أحد الضباط من مأمورية توصيل الغام « لخرم » اصفر الوجه ويتكلم دون أن يطلب أحد منه ·· خرم محروقة الجثث مضروبة بالنابلم ·· ولا أحد هناك كل الناس انسحبت المنظر مرعب ·· اكوام اكوام من الجثث السوداء راقدة فوق بعضها البعض ·· عندما سأله قائد الكتيبة عن أحد الضباط الاحتياط الذين يعاونونه ·

أجاب : لقد كانت عربته أخر عربه فى القول والظاهر انه خاف وهرب ·

رئيس المهندسين يثـــور هل نحن نلعب ؟ ·· يا حضرات لا توجـد أوامر بالانسحاب واذا انسحب أى فرد ففى الاسماعيلية الشرطة العسكرية ستضربه بالنارفورا ··· ويساله صديقنا : ولكن كيف سندافع عن الحسنة ونحن قوات معاونة لا تحارب ·

يرد – أوامر ·· والأوامر صادرة من قيادة الجيش ·

– من الذى سيحارب نصف كتيبة مهندسين أم سرية الخـــدمة أم الشرطة العسكرية ·

يرد – سيدعمنا الفوج المدرع ·

فكر قليلا ·· وقال لنفسه لابد وأن القيادة تفكر أفضل ·· آن الاوان لعمل ما ·· ثم تكلم كما لو كان يكمل حديثا سأشترك فى المفرزة يافندم ·

ابتسم رئيس المهندسين ·· ثم لف ساعده حول كتفيه فلقد كان يعرفه منذ أن درس له فى مدرسة المهندسين شابا لا يقبل الا المنطق ويناقش كثيرا ولكنه ملتزم الى أقصى درجة ·· ويؤدى واجبه بفهم ·

www.alkottob.com

قال له : انا أعرف أنك لن تهدأ الا اذا فهمت ٠٠ خطة سيادة الفريق محسن هو أن تتحول الهزيمة الى نصر بتكوين نقط قوية قابلة للحصـــار تدافع عن مناطق محدودة ويترك الجيش الاسرائيلى يدخل المنطقة ويفرد قواته فى مسافات واســعة ٠٠ وبذلك يســهل على الفرقة المدرعة أن تفــك الحصــار وتحول الهزيمة الى نصر ٠

ــ رد صديقنا ــ لكن يافندم دى المريش والشيخ زويد وابو عجيله ٠

ــ أجاب ــ أيوه فاهم ٠٠ فاهم ٠٠ ووصــلوا الى الكيلو ١٦١ ترب المكان الذى كنا فيه لكن اللواء ١١٤ المدرع أرجعهم ٠٠ لا تكن لحوحا ٠

أسرع الجنود فى تحميــل العربات ولكن العربات لم تكن تكفى فلقد ســحب بعضــها لتحميل الالغــام وتوصــيلها للواءات المعــاونة لذلك فلقــد أصــدر القــائد أوامره بتــرك ما يزيد حتى ولــو كانت اجهــزة اللاسلكى ٠٠٠ ركب صديقنا بجوار قائد الكتيبه فى عربته وترك الراديو الخاص به بجوار السائق وانطلقنا لتنظيم تحرك قوة الانسحاب ٠

أحد الجنود الاحتياط تكسر ساقه لقد أصــطدم جــرار بالعربة التى يركبها ٠ زملاؤه يحاولون اسعافه وهو يبكى « ياخيبتكم ياولادى من بعدى ،٠

قوات أخرى تنسحب من القسيمة على الطريق متجهة الى ثمادة ٠٠ الجنود يبتسمون لمــاذا ؟؟ ٠٠ سيدافعون عن خط الدفاع الثانى معنى هــذا أن خط الدفاع الاول قد ســقط ٠

همســات بين قائد الكتيبة ورئيس العمليات ٠٠ لا تعنى أحدا ٠٠

يصلون الى المكان الجديد المحدد لهم ٠٠ توزع العربات ٠٠ تتخندق ٠٠٠ توزع الحراسة ٠٠ ويجد صديقنا نفسه منفردا بعد طول تعب حوالى الثانيه صباحا يحاول أن يجمع كل المعلومات التى اســتطاع أن يحصــل عليها وكل ملاحظاته ويربطها فى اطار منطقى ٠٠ أذن ٠٠ فان هناك هزيمة ٠٠ ولكنها هزيمة تكتيكية ٠٠ ان دور الطيران والمدرعات لم يبدأ حتى الان ٠٠ وبالتالى فان القوات تنسحب لتتمسك بأرض أخرى ينطلق منها قوات الهجوم المضاد ٠٠ هكذا حدث فى روسيا ٠٠ لقد وصل الالمان الى مشــارف موسكو ٠٠ وحاصروها ٠٠ وفك الحصــار وانطلق الجيش حتى برلين ٠

www.alkottob.com

وبالتالى فعليه الا يهلع من الظواهر ·· ويتمسك بالارض مع جنوده ·· حتى يفك الحصار ·· الحصار ·· معنى ذلك أن الموقف الحاكم الان هو المياه ·· وجرى فى اتجاه فناطيس المياه ·· احضر أهم صف ضـــابط وقال له ·· أنت المسئول عن هذه الفناطيس ·· لا تصرف منها الا بتعليمات منى شخصيا·

كل المطلوب هو الثقة فى القيادة ·· لابد وانهم تعلموا من حرب ٤٨ ، ٥٦ ·· بالاضافة للخبراء الروس ·· ان باكر هو يوم المواجهة مع العدو ·· وتذكر أنه لم ينم منذ مدة ·· وقرر أن يجبر نفسه على النوم ولو لساعات قليلة ·· حتى يكون قادرا على مواجهة العدو ·· كانت أضواء طلقات أضاءة ارض المعركة تلمع من بعد ·· لابد وأن هناك معركة على بعد عشرات الكيلو مترات فقـــط ··

وأجبر صديقنا نفسه على النوم داخل كابينة العربة ·· واســتيقظ على أصوات جنوده يضربون شبابيك كابينة العربة بقبضاتهم ·· لقـد ابتدأ الاله حورس يظهر فى طرف السماء ناشرا حوله دماء أفاعى الشر التى تقف على بوابة العالم الاخر ···· منتصرا على الظلام ·· كان الجنود يتكلمون فى صوت واحد ·· دبابات العدو يافندم وقفز من مكانه مسرعا ·· صعد الى أعلى التبة ·· ثم ضـــحك ·· لا هذه دبابات الفوج المدرع التى ستدافع معنا عن المدينه ·

وجاء دوره للرد على تساؤلات الجنود ·· مثلما رد رئيس المهندسين عليه

ـ لكن المعركة دائرة طول الليل يافندم ···

ـ اثبتوا ·· كونوا رجـالا ··· واســتدار يبحث عن الراديو ·· وتذكر أنه نسيه فى عربة قائد الكتيبة ···

سـائل : أين القـائد

: غير موجود نحن نبحث عنه ·· كذلك رئيس العمليات اختفى ·· تجمع عـدد من الضباط يتسـاءلون ···

لعلهما يأخذان أوامر جديدة ·· لعلهما فى رئاسـة الفرقة ·· وتفرق الضباط والصف ضابط يبحثون عن قيادة الكتيبة ·· عن القائد ورئيس العمليات ثم رجعوا بأخبار غريبة ·· لا وجود لقيـادة الفرقة ·· لا وجـود للوحدات الاخرى ·· القائد ورئيس العمليات هربا ····

www.alkottob.com

ثم تجمعت اشتات من الكتائب والسرايا الاخرى التى لم تجد رئاستها حولهم ... ودار حوار بين الجميع لا فارق بين ضابط او صف ضابط أو جندى ...

- فلنمش نحن ايضا .
- لنا دور ياحضرات .
- القيادة انسحبت .
- ولكن الجنود موجودون .
- العدو على بعد خطوات .
- نقاوم .
- نقاوم فى الخلف مع الفسق الثانى .

... وقطع الحوار هجوم الدبابات السوداء .

وزعق الجنود من أعلى التباب .. اليهود يافندم .. دبابات اليهود .. وفى هذه المرة عبرت الدبابات عن نفسها بإطلاق النيران . وجرى الجميع تجاه العربات ... بعضها محمل بالالغام .. الضباط يتجمعون فى كابينه عربة .. خمس ضباط ... الجنود يقفزون الى ظهور العربات .. العربات تجرى بسرعة .. طلقات الدبابات تطاردهم .. العربات تجرى أسرع .. توقفت الطلقات .. أصبحوا بعيدا عن مداها .. وفوجىء صدقنا فجأة بانه قد هرب .. وشعر بالعار .. كيف لم يؤد واجبه .. أى واجب خلال هذه الفوضى .. لم يكن يتصور فى يوم أن يهرب وبهذه الصورة وبدون أن ينذر الاخرين .. أصبحت قضية حياته أهم .. وتساءل كيف سأعيش بعد الان .. وكيف سأواجه الاخرين ... حتى حياته أصبح مشكوك فيها .. ان العربة التى يركبونها محمله بالالغام .. عندما صرح بذلك تنبه زملاؤه فقال أحدهم ذرميها علق آخر .. لو ضربتها طائرة ستدمرنا جميعا

قال هو .. نعمرها ونرميها تعطل القوات القادمه خلفنا .

قال آخر .. وما ادراك قد تتعثر فيها قواتنا نحن ..

واستقر رأيهم على أن يقذفوا بالالغام كما هى .. فأصدروا تعليماتهم للجنود المتعلقين بظهر العربة يقذفوا .

وبعد أن أطمأنوا على تأمين حياتهم فهم الان بعيدون الى حد ما .. وبعد أن تخلصوا من الالغام .. ابتدا السؤال المخالد يطرح نفسه عليهم

www.alkottob.com

وبعد ... ماذا سنفعل .. لاول مرة عليهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم بعد ان انهارت القيادة هل يستكملون الحرب !! فيلجأون الى الجبل ومن هناك يشكلون مقاومة ما ... هل يستمرون فى الحركة بالمربة حتى يصلوا الى مكان آمن .. هل يتحركون فى الجبل .. وأستبعدوا الحل الاول .. ثم الحل الثانى لخطورة الطيران على العربات المتحركة .. وقرروا أن يتحركوا فى الجبل ولكن بعد أن تطوع أحدهم يملء العربة والجراكن بالمياه والحصول على طعام من العربات المضروبة على الطريق واللحاق بهم .

نزلوا جميعا من العربة الا واحدا منهم ومعه جنديان .. الذى تحرك الى الطريق ثم أختفى عن نظرهم والى الابد ...

وأصبح عليهم الان السير .. الحركة أو الموت .. ولا يهم الماء .. ولا يهم الطعام .. ولا يهم أى شيء سوى الحركة .. وكلما توغلوا فى حضن الجبل .. كلما حافظوا على حياتهم أكثر .

سألت صديقنا : هل تتصور ان العرب سوف يعودون لمصر أو أن مصر سوف تعود للعرب ...

أجاب : الامور لا تؤخذ هكذا ببساطة ياصديقى .. انا لست منجما ولا أطمع فى أن أكون منجما .. أنما فلنستقرىء الاحداث .. ما الذى تحتاجه مصر من العرب وما الذى يحتاجونه منها .. وعلى اساسه سيتحدد ما الذى سوف يحدث .. العرب ومصر .. يحتاجون لان يصبحوا قوى اقتصادية وعسكرية وثقافية وحضارية .. فى مواجهة القوى المختلفة فى العالم . والذى أصبحت فيه الشراذم لا تستطيع العيش .. العالم يتجه الى الوحدة .. لا التجزئة .. وبدون ذلك ستحاول العراق عمل القنبلة الذرية وليبيا شراءها والسعودية اتقاءها .. وهكذا .. ومصر تفصل الوطن العربى الى نصفين شرقى وغربى .. وهى القلب وبحكم كثافتها السكانية وتجاربها الحضارية هى الثقل .. ولكن عليها أن تعدل فى علاقتها بأخوتها .. فهى لم تعد الواحد والباقى أصفار على الشمال .. كما كان يقال .. بل هى تزداد بتماسك قوى أخرى معها وعلى الاخرين انهاء شكل البطولة الفردية والزعماء الأواحد وتحويل بلادهم أن حكومات عصرية .. قادرة على مواكبة العصر ... وهناك أمل .. ولكن بهدوء .. ودون تعجل .

شمس يونيو ... وصعود الجبل ... وارهاق عشرين يوما .. ونقص المياه والطعام ..... عذاب .

www.alkottob.com

وهـروب الجندى من ميدان القتال ومن الدور الذى اعـد له نفسـه سنين طويلة وخيبة امله فى نفسه ٠٠ وفى كتيبته ٠٠ وفى جيشه وقومه ٠٠ عذاب ٠ وفقدان الطريق ٠٠ والامـل ٠٠ والهدف ٠٠ والمـاضى والحـاضر والمستقبل عذاب ٠٠ ولكن أكثر درجات العـذاب هو الرعب من قوى غـير منظورة ٠٠ وغير متوقعة ٠٠ وغير مسـتعد لهـا ٠٠ اكثر درجات العـذاب لان الانسان يشعر فى هذه اللحظات بمدى ضئالته ٠٠ لان الانسان يعـود الى عصور الجهل فيما قبل التاريخ عندما كانت تحيطه الغوامض من كل اتجاه وتحاصره الاعداء فى كل خطواته ٠٠ وهكذا كان أصدقاؤنا ٠٠ مجموعة من الضباط والصـف ضباط والجنود بعضهم يعـرف البعض ٠٠ والبعض الاخر رمت به الاقدار قبل المعركه بأيام جندى من جنود الاحتياط والبعض الاخر وجد الامن فى أن يتحرك مع جمع أى جمع ٠٠ حتى ولو لم يكن يعرفهم ٠٠

الان انتهت كل الفوارق ٠٠ الا قوة الاحتمال ٠٠ من يسـتطع المثابرة والحركة للوصول للهدف سيبقى حتى ولو كان جندى أحتياط علاقته بالجيش بدأت منذ أسابيع ومن يسـقط ٠٠ فسيسقط للابد ٠ حتى ولو كان أقدم الضباط جميعا ٠٠ وتفجرت الطاقات ٠٠ تفجرت الطاقات المختزنه امام الرغبة فى الحياة التى لا يقف أمامها أى عائق ٠٠٠٠

وتحرك الرجال رغم فقد جميع الاحتمالات النظرية للنجاة ٠٠ ولكن الامل دفعهم لبذل المزيد من الجهد ٠٠ والعرق ٠٠ والتحمل ٠٠

يقول صديقنا وهو صادق فى ذلك ٠٠ لم أكن أتصور أبدا أى احتمال عدا أننى سـوف أعود ٠٠ الى الوطن ٠٠ الى الارض ٠٠ الى المنـزل ٠٠ الى الاهل ٠٠ الى الراحة ٠٠ لم اتصور ابدا أننى سأموت أو اأسر ٠٠ رغم أن كل الظروف كانت ضدى واليهود ضدى ٠٠ وبنى وطنى ضدى وانا نفسى ٠٠ ضد نفسى ٠٠ الا أن خيال الفناء لم يراودنى أبدا طول رحلة السير ٠٠

ونفذت الطاقة ٠٠ ونفذت المياه ٠٠ وابتدأت الخيالات المرعبة تغزو بعض الافراد ٠٠ وظهر تأثير الضعف الناتج من قله المـاء والطعام وحرارة الشـمس على بعض الافراد ٠٠ وتخيل البعض انه لا نهاية لهذا العذاب وأنهم سوف يموتون ٠٠ ولكن لا وجود للثبات فى الحياة وانما هى فى حركة مستمرة متجددة متغيرة ٠٠ كل لحظة تختلف عن التى قبلها ٠٠ حتى فى جبل قفر ٠٠ فعندما قارب الجميع على التوقف نتيجة لقلة المياه ٠٠ وظهرت بعض الاصوات التى ادانتهم لصعودهم الجبل ٠٠ وجدوا من يجرى خلفهم وينادى

www.alkottob.com

•• يا مصرى •• يا مصرى •• وإذا هم مجموعة من عرب سيناء الهاربين الى الجبل خوفا من رصاصات الطرفين •• ومعهم مـاء •••

لحظات خاف الأخـــوة بعضـــهم من بعض •• وقفزت الى مخيلتهم الاســاطير التى نسجت عن استغلال عرب سيناء للموقف • وعن تسـليمهم المصريين للاسرائيليين ••• ولكن العطش والخوف من الموت شجعهم على حوارهم •• ولم يندموا •• فلقد شربوا جميعا حتى الارتواء وملأوا الاوانى التى معهم •• ودلوهم على الطريق من خـلال مسارب الجبل •• وأهدوهم ما هو أغلى من ذلك جميعا •• اهدوهم النصيحة •• قالوا لهم لماذا أنتم ملتاعون هكذا •• الستم رجالا •• سيروا فى الجبل لا تنزلوا للطرق الرئيسية •• وفى الجبل ستجدون المـاء والمـاعز اذبحوا واحدة أو اثنتين ؛• اشووها •• وكلوها •• يوم •• اثنين •• وستصلون ان شـاء الله فقط لا تنزلوا للطرق الرئيسية •• لقد كانوا رجالا حقيقيين •• صليهم الجبل والحياة •• لم تذللهم المدينة وتتلفهم وتحولهم لحيوانات مدللة صغيرة تموت أن لم تطعمها •••

بمرور الوقت اكتشف الجمع أنه فى حاجة الى قيادة حقيقية تحـافظ على قطرات المـاء التى يحملونها •• ويعرف الاتجاه والمنطقه ويحدد خـط السير •• ويتحمل المسئولية •• الان لا داعى للرتب انما مطلوب قائد حاسم •• غير متردد •• يفهم الموقف •• ويستطيع أن يقود •• وتكون تلقائيـا طاقم قيادة •• فرض نفسه لامكانياته وأطاعه الاخرون رغم أن منهم من هو أقدم رتبة •• وحدد الطاقم الطريق •• لو تحركنا فى اتجاه الغرب فسنصل باكر الى طريق البحيرات نخترقه بسرعة •• ونصعد للجبل ثانية بعـد باكر لوسرنا بنفس المعدل سنكون على ضـفاف القنال ؛ •

وحمل أخرون زمازم المياه بحيث يتم توزيعها فى حضـور الجميـع وبنفس القدر ••• وفى وقفات خاصـة ••

واستطاع الجمع بذلك أن يصـمد ويتحرك فى وسـط السـكون •• لا تقعـات •• ولا رصـاص •• ولا مدرعـات •• ولا دمـاء •• ولا مـوت •• ولا حتى أحاديث •• اصرار على الحركة فقط •• كان كل شـبر يقطعه الجمع •• لا يستطيع العودة اليه •• فلقد كان اسفل الجبل وعلى طـريق تم يتحرك قول من المدرعات الاسرائيلية وكأنها فى طابور اسـتعراضى

www.alkottob.com

يسير أمام المنصة الرئيسية فى ثقة شديدة ·· اعداد لا نهائية من المدرعات المتجاورة يحرم عليهم العودة ·· أرض مصر ·· يحتلها الاسرائيليون ·· ويمنعون المصريين من الحركة ·· آه ·· آه ·· وانتهى المـاء المحافظ عليه وابتدأت المعدات تطالب بالطعام ·· وفقد الرجال طاقتهم وأبتدأ الاله آمون يترك مكانه فى مملكة النهار ليدنف الى مملكة الظلمات بعد أن كبر وشـــاخ خلال رحلته عبر السماء ·· وقبل أن يغيب أهدى الجمع قطيعا من المـاعز ·· يرعى فى سـلام ·· وجرى كل اثنين خلف معزة ·· كانت المـاعز تحاورهم وتجرى منهم وكلما تصوروا أنهم قابضون عليها افلتت ··

وأمسك صديقنا وآخر باحدى المعاز ووضـــع فمه على ضرعها ·· ياللذة ·· سرســوب من اللبن الدافىء يصطدم بحلقه الجاف فيرطبه ويرويه ·· المـاعز مستسلمة ·· بل تنظر اليهما بحنان شديد ··

يقول صديقنا « كانت تنظر لى بحنان أم وحبيبة ·· وانهلت عليها أقبلها بين العينين ·· يالأنسانية هذة المعزة ·· يالأمومتها تركتنا نشرب لبنها فى محبة وسـلام · لقد حطمت حياتى بعد ذلك تلك المعزة ·· فأنا مازلت أبحث عن نظرات عينيها بين النسـاء حتى الان وأفتقدها ·· لن انساها ما حييت » ·

كان آمون قد انهى وظيفته فى هذا اليوم وهده الكدر بعد ما شـاهده على ارض الكنانة ·· وقرر دخول مملكة الظلمات وكان أصدقاؤنا يستغيثون به ·· أن أبق قليلا ولكنه لم يكن فى حنان المـاعز · لقد كان قاسيا للغاية وتركهم فى ظـلام ·· وأصبح الطريق غامضا ·· لا يرون شيئا الا جبـالا تكسوها المهابة ·· والسـواد ·· وتجمع داخلها المتناقضات ·· السـلام والهدوء ·· والغموض والرعلا ·· وابتدأ الهواء يفقد حرارته · ويلسـعهم فلا تحميهم ملابسهم الصيفية ·· وقفز الدفء ليصبح هو حاجتهم الاساسية ·· ولكن كيف !! وقد فقدوا كل ترث البشرية العلمى فى بعث الدفء ·· ان الانسـان فى عصرنا بدون أدوات حضارية ضـعيف جدا ·· ترى كيف عاش أجدادنا فى العصور المتوحشة فى هذا البرد عراة ·· وتحرك العقـل البشرى يحميهم ويذود عنهم كما ذاد من قبل عن اجدادهم فمنعهم من الانقراض ·· عليكم أن تتكيفوا مع الوضع الجديد ·· وهكذا ابتكروا طريقة للدفء بأن يحتضن بعضـهم بعضـا فيبعث كل منهم الدفء فى الاخرين ويتمتـع هو الآخر بدفء مقابل ·· وناموا فوق الجبل أجسادا ملتصقة لا فارق بين

www.alkottob.com

جسد ضابط أو جندى أو صف ضابط فكلها باعثة للدفء ·· وفى وحدتها نجاة للجميـــع ·

وظهر حورس فى الافق متجدد النشـــاط فايقظ النيام باعثا الامـل فى نفوسهم مستكشفا ما حدث ·· ليحكى القصة التى لا يزال يراعا منذ بدء التاريخ ·· ظلم الانسان لاخيه الانسان ·· تجبر القوى ·· وحيرة الضعيف·

ومع الضوء ·· جاء السؤال ·· ما العمل ؟؟ ·· هل سيصلون ·· هل ضـلوا الطريق ·· لابد وأن يكون قريبا من هنـا ·· وجلس البعض فى يأس مكانه ·· وتحرك اخرون ··

وتساءل صديقنا كيف يمكنه المحافظة على قـدرته وحركته ·· لابد وأن ياكل ··· وأدار بصره حوله فلم يجد شيئا ·· الا بعض القواقع تركت فى مجرى سيل ·· وفكر قليلا لابد وإنها تحوى بعض البروتين ·· فمـا المـانع من أكلها ·· شكلها كريه ·· ومع ذلك مد يده وأخذ يكسر بعض القواقع يمتص ما بداخلها ·· ليس طعمها كريها ··· وابتدأوا يتسـابقون بعد ذلك فى العثور عليها حتى تحدث المعجزة · فى بعض الاحيان تكون المعجزة أن تكسب شهادة استثمار ·· أو أن يموت لك قريب فى الارجنتين أو أن تكون الفتاة التى تحبها لم ترضع عليك ·· هكذا علمتنا السينما المصرية والجريدة ·· والقصة ·· ولكن أن تكون المعجزة أثرا لسير عربة ·· فهذا شىء جـــديد ··

لقـــد وجد الجمع ·· أثارا حديثة لعربة ·· معنى هذا انهم بتتبعهم له سيصـــلون الى مكان ماهول أو طريق يحدد لهم حركتهم ·

وساروا على هداه ·· حتى وصلوا الى عدة عربات مضروبة بالصواريخ هل بهامناء · ولم يجدوا الا قليلا من المياه الصدئة فى الرديراتيرات تخاطفوها سريعـــا ··

وتتبع اخرون مسارات أخرى ·· ثم عادوا يصيحون الطريق· الطريق··

سألت صديقى : الا زلت تحلم بأن نكون قوة كبرى باتحادنا ·· الم يكفنا ما حـدث لنـــا !!

www.alkottob.com

أجاب وما الذى حدث لنا ٠٠ اربعون عاما من المعاناة ٠٠ مائة عام ٠٠ ان عمر الشعوب يا صديقى لا يحسب بالاعوام القليلة هذه ٠٠ ولا بد أن نحلم واقدامنا على أرض الواقع الصلبة لنطوره ونبنيه على اسـاسات قوية تحتمل بناءا شـامخا ٠٠ ان الاجيال القادمة تطالبنا بما لم يحققه لنا الاباء وعلينا أن نزرع شجرة الزيتون التى لن يأكل ثمارها الا الاحفاد ٠٠

اندفعوا فى اتجاه الطريق ٠٠ لقد كان طريق البحيرات فعـلا ٠٠ بالتالى لم يضلوا كثيرا ٠٠ يصبح الباقى للوصول للقنال حوالى سـتين كيلومترا أى يمكنهم الوصول خـلال يومين ٠٠ وتجدد الامل مع صياح أخرين المـاء ٠٠ الماء ٠٠ لقد كان هناك عربات محملة بفناطيس وجراكن ممتلئة بالماء ومعطلة على الطريق ٠٠ شربوا حتى ارتوا ٠٠ وحملوا كل ما استطاعوا حمله من أوعية ممتلئة ٠٠ واستعدوا للحركة ٠٠ واختلفوا ٠٠ جزء منهم رأى السير بمحازاة الطريق ٠٠ وجزء أخر رأى اختراق الوادى وجـزء قال فلنصعد ثانية الى الجبل ٠٠ كان الرعب من الجبل أقوى من الرعب من طائرات العـدو وقولاته ٠٠٠ خاصـة أن ذلك المذيـع المثرثار كان لا يزال يتلكم عن القتـل والخنق والضرب ٠٠ وأن القوات المصرية قد حصرت القـوات الاسرائيلية على الطريق الاوسط ٠٠ وهم على الطريق الجنوبى ٠٠ هم اذن فى امان ٠٠ المشكلة فقط مشكلة وقت وانتصر الرأى الذى يقول أن يخترقوا الوادى فهو حل متوسط بعيدا عن مغامرة الجبل ٠ وبعيدا عن اغراء الطريق للطيران المعادى ٠ وكما تضع بلورة سكر صغيرة فى محلول مركز فتتجمع حولها بلورات اخرى وتكبر كذلك حدث لهم ٠٠ تجمع حولهم أعداد كبيرة من الجنود والضباط الشاردين فى الجبل ٠٠ وزاد عددهم حتى قارب المائه ٠

حاولوا التفرق لمجموعات صغيرة ٠٠ ولكن كل المحاولات باءت بالفشل أمام غريزة القطيع ٠٠ وتنبه صديقنا الى عامل جديد استجد ٠٠ نظـرات كراهية اطلت من أعين بعض الجنود الجدد للضـباط وكأنهم يحملونهـم مسئولية ما حدث لهم ٠٠ وتوقع أى تصرف خال من الحكمة ٠٠ كان صديقنا يحمل مبلغا من المـال حوالى مائتى جنيها هى حصيلة بضـائع بيعت من كانتين الوحدة ٠٠ ورغم أن النقود لا قيمة لها فى مثل هذه المواقف ٠٠ ولا يمكن استخدامها الا أن الأمل فى شراء مفاجىء قد يدفع أحدهم ومن خلال هـذه

www.alkottob.com

الفوضى لسلبها ولو على جثة صـــديقنا ·· فاخفى النقود بين ملابسه الداخلية وجسده ···

كان الجمع يتحرك يحدوه الامل فى النجاة ويغذيه بدلا من الطعام ·· بعضهم يحلم والبعض الاخر يسخط والبعض يتحامل على نفسه حتى سمعوا صوت محركات طائرة التفتوا جميعا لها ·· كانت طائرة اسرائيلية ذات محركات تســـير بمنتهى الامان تستكشف المنطقة · كانت نجمـــة داود واضحة عليها ··

زعق أحدهم ارقدوا جميعا ·· كان الامل ألا تراهم · ولكنها استدارت لتعود ثانيا فوقهم ·· ليرقدوا ·· وهكذا حدث حوار غريب بينهم وبين طائرة الاستطلاع ·· كلما أعطتهم الطائره مؤخرتها ساروا ·· وكلما عادت رقدوا على الارض ·· ولكن بعض الجنود لم يشعروا بالمسئولية · خاصـــة بعدما فقدوا احترامهم لقادتهم فكانوا يتحركون بغض النظر عن مكان الطائرة ·· وابتدأ يدور بينهم حوار آخر ثرى هل لا حظتهم ·· هل سترمى جنود مظلات ؟؟ هل هى طائرة استطلاع ··· !! هل هى ناقلة جنود ! لماذا تتحرك بأمان هكذا رغم بيانات الاذاعة بأن الطريق الجنوبى مؤمن · وقطـع حديثهم عثورهم على عربة زيل معطلة فى وسط الوادى ·· عندما اداروها وجدوها سليمة ··· ووجدوا بها بعض الطعام علب اكل محفوظ ·· كانوا ياكلون ويحلمون حول العربة ··

ببعضهم كان رأيه أن يركبوا العربة ويتحركوا بها فى اتجاه القنال · باقى حوالى أربعين كيلو مترا تستغرق ساعة ·· فى نهاية اليوم يصبحون فى الاسماعيلية ··

البعض الاخر كان يرى أن القوات الاسرائيلية بعيدة ولا خطر الا من الطيران فلينتظروا حتى غروب الشمس ويتحركوا بالعربة · ونصـــحهم احدهم بالابتعاد عن العربة كى لا يلفتوا النظر اليهم ·· وكان صديقنا قد اطمأن ·· بعد ساعات سيصل الى البر الغربى ·· سيرسل لاهله تلغرافا من كلمتين « لازلت أعيش » وبعدها سيذهب لرؤيتهم ·· سيصل ·· سيصل ·· يا للمغامرة ·· رائعة خصوصا لو انتهت بسـلام · كان يعجب كيف

www.alkottob.com

أستطاعوا أن ينجوا من الموت ·· ينجوا من الموت وصدمته هذه الفكرة والجيش ·· والحرب ·· والهدف ·· والقضاء على اسرائيل والدفاع عن العروبة ·· ماذا حدث ·· !! كان يريد أن يأكل ·· أن ينام · ترى ما سبب الهزيمة ؟؟ هل اصبحت هزيمة ؟ من ادراه فهو لا يرى الا جزءا صغيرا داميا من الصورة ·· وشعر بالخدر فاسترسل فى أحلامه ·· كان يريد أن يستحم ··· أن يحلق ···

وفجأة وبنظرة للأفق البعيد تبددت كل الاحلام ·· لقد ظهرت طائرة حربية تطير على ارتفاع منخفض ·· وخلفها أشباح سوداء تتحرك على الارض ·

سألته : وهل ستتركنا الدول الكبرى ننمو ونناطحها ·· الن تطالبنا بالثمن ··

رد : هى دائما تطالبنا بالثمن وهى دائما لا تتركنا ننمو ولكن هل تتصور أن الحياة مفروشة بالزهور دائما ·· وهل كانت الدول الكبرى منذ الازل دولا كبرى ·· !!

الساعة حوالى السادسة مساء ٨ يونيو والشمس تميل للمغيب وأصدقاؤنا مجموعة من الضباط والجنود المنسحبين عبر سيناء فى طريقهم الى مصر ·· حوالى المائه رجل على يمينهم جبل لا يعرفون ماذا وراءه ·· وعلى يسارهم واد رملى فسيح جاءوا من خلاله ·· وخلفهم يمتد الوادى فى اتجاه مجهول قادم منه أشباح مكدات سوداء تتقدمها طائرة تطير على أرتفاع منخفض ·· وعلى بعد عشرات الامتار منهم عربة زيل معطلة ولكنها أملهم فى أن يتحركوا بها الى القنال ·· وبين الكودى الحشيشية البرية المنخفضة يرقدون فى انتظار الظلام ـ اللحظات تمر ببطء كأنها دهور وهم يكتمون انفاسهم فى انتظار القادمين ·· ترى هل هم جيشهم جاء متصورا أنهم مجامبع اسرائيلية هابطة فى الوادى !! أم ترى هم اسرائيليون قادمون للتخلص منهم!

ولاول مرة يكتشف صديقنا انه من الممكن ان يموت فان الاشباح القادمة ستطلق عليهم النار حتى يتعرفوا عليهم ·· وعلى هذا قد يقتل بعضنا بعضا · الموت ·· الموت لاول مرة ·· وفجأة صاح ··

www.alkottob.com

ـ اليهود ·· دبابات اسرائيلية ··

ـ لا ·· انهـا دباباتنا ·

ـ انها ·· لليهود ··· وأنهت المناقشة · اصوات طلقات رشاشـات ومدافع دبابات ·· ومرت عن يمينهم ويسـارهم دبابتان تليهمـا عربتان مدرعتان ·· وارتفعت الطائرة الى أعلى ·· لتدور دورة كاملة فى السماء ·· فلقد أدت دورها ·· وتصاعد من الجمع المختفى بين كدى الحشائش التصبرة أصـوات عديدة ···

ـ نحن عرب ··· احنا مسـلمين ·

ـ اسـكت ··· دول يهـود ·

ـ يا حبيبتى ··· يا بنتى مين حيربيكى بعدى ·

ـ متنا خلاص ··· أشهد أن لا الله الا الله ···

ـ سـلم يا مخمـود ·

ـ ارفـع المنديـل ·

ـ مظلومين والله مظلومين ·

ـ سـلم يارب ·· سـلم يارب ·· سـلم ·

ـ احدهم يجرى نحو العربة فى محاولة يائسة للهرب بها ··

ـ ابعد عن العربة ·· يعقبها طلقة مباشرة تصـيب العربة فتحولها الى كتلة نار ···

طلقات الرصاص ترسمهم ·· أصوات جنازير العربات المدرعة قريبة ومتلاحقة كأنها تسرع متلهفة لتنوس على الاجساد الملتصقة بالارض ···

يقول صـديقنا « كنت احـاول ان اغوص فى الارض كى تحمينى ·· ولكنها كانت تلفظنى فوقها كأنها أم مجنونة قاسية قذفت بأبنها على شريط للسكة الحديد وهى واقفة تضحك لترى هل سيمر القطار القادم فوق ابنها ام على الشريط المقـابل ··· »

تجاوزتهم العربات والتفت امامهم مكونة نصف دائرة اطلقوا عليهم دفعات متتالية من الطلقات ·· ثم قفز الجنود الاسرائيليون من العربات

www.alkottob.com

ينادون بعربية ركيكة « سلم يا مصرى ·· قومى ·· مفيش حد حضربه · »
فى الوقت الذى يصبح فيه الانسان وجها لوجه امام الموت ينتابه شعور غير عادى ·· الحقيقة مجردة من جميع الاخفاءات التى يحاول أن يخفيها بها فى الظروف الطبيعية ·· ويتصرف كل منا ولاول مرة على سجيته وتأخذ الاشياء حجمها ·· الطموح ·· الرغبة ·· الامتلاك · الفخر ·· حتى الحياة نفسها ·· وهكذا تجرد اصدقاؤنا جميعا واصبحوا عرايا امام انفسهم وامام الاخرين وتحول رجال منهم الى اطفال ينهنهون وتحول بشر شـــامخون الى خرق مهلهلة ·· وتحول بعض الصامتين الى جبال صلدة شـــامخة ···

كان احدهم يبكى أطفاله الذين سـوف يتيتمون ·

وآخر يستجدى عطف آسريه باطلاق مجموعة من الشتائم فى كل من يحلو لهم سماع شتائمه فيهم ·

وآخر لم يبق له الا تراثه الفكرى المتمثل فى الدين فأخذ يقرأ سـورا من القرآن ويصلى نائبا عن ذنوبه ··

ورابع أخرج صورة زوجته وأخذ يكلمها ويقبلها ·· أحضرت لك الشقة · والسيارة ·· وكل ما طلبت وذهبت أنا ··· معاشى سيجعلك ···

وخامس خلع رتبه العسكرية وانهمك فى حفر حفرة ليدفنها فيها وبسرعة خلع سترته لكى يخلع الفانلة والكلسون فاليهود يعرفون الضـــباط من ملابسهم الداخلية ·

ودار فى نفس صديقنا سؤال عجيب لا يدرى كيف قفز الى قشرة شعوره . ماذا فعل بملابسه المكدسة فى دولابه وبالاجهزة العصرية التى فى منزله ·· ومغامراته العاطفية المتعددة ·· وقراءاته ·· وتعلمه عشرات السـنين ·· وسهر الليالى فى الرسم والتصميم حتى حصوله على البكالوريوس ·· ودموع الفراق ·· وساعات الانتظار ·· وصراعه وعنفه ·· ثم تنهد وقال ··· « مسكينه يا أمى ترى كيف تستقبلين خبر موت ابنك » ··· كل الاشياء أصبح لا قيمة لها الان وكل الساعات التى قضاها هباء ·· وكل الليـالى تبخرت ·· ولن يبقى الا بعض الكتابات التى قد يهتم بها انسان ما ··

www.alkottob.com

آه لو كان له عمر فسيهبه ليتركك اثرا فى الحيـــاة ... سـيغير حياته بالكامل حتى ...

« ســـلم يا مصرى .. قومى مفيش حد حنضربه .. احنـــا مش متوحشين .. قومى » وقام صـــديقنا مع من قاموا .. الان هو امـــام الاسرائيليين وجها لوجه .. ها هى ذى اللحظة .. ولكن فى موقف مخزى يستجدى حيـــاته فى نظرات الاعـداء .. ها هى ذى اللحظـة .. ولكن يالهفتها .. تشجع يا فتى انه القـــدر الذى كتبه عليك ذوو الكـــابات الحمراء ... تشجع فان مت فلتمت شجاعا .. تشجع لو ضعفت فستندم طول عمرك .. تشجع فلن يجدى أنهيارك شيئا الا لذة عدوك .

سألت صديقنا : هل أنت راض عما حدث حتى الان !!

أجاب : لقد قمنا بأقصى ما نستطيع ... ان الحرب عمل لا انسانى مرعب .. التدمير .. والقتل .. والتشوهات البدنية والنفســـية .. شىء لا يحتمل .. واذا كان من الممكن أن تسترد حقوقك دون تفريط بالســـلم فبالتاكيد هو أفضل من الحرب ...

سألت : هل لتجربتك الشخصية دخل فى وجهة نظرك هذه !!

أجاب : بالتأكيد لا يعرف الوجد الا من يكابده ... ولا الصـــبابة الامن يعانيها ...

www.alkottob.com

الفصل الثالث

الاســـر

عندما عاد صديقنا من الاسر كان قد استقر فى روعه من خلال المعاناة الطويلة بأن الهزيمة التى تمت كانت هزيمة مجتمع ·· وأنه لابد من حدوث تغييرات أساسية فى هذا المجتمع لمواجهة الهزيمة ·· وأنها كافية جدا لتجعل كل القوى تتكاتف وتفيق من غيبوبتها ·· كان يقول دائما « لقد كنا نعيش ونحن نتخيل أننا نستند الى حائط صلب ونقف على أرضية متماسكة ·· وكنا نرمى بكل ثقلنا على القيادة ·· متصورين أنها تصنع المعجزات ·· هكذا علمونا ·· لذلك أخذنا موقف المتفرج وفى أفضل الاحيـــان المتعاطف الساذج ولم نتحمل ابدا مسئولية اتخاذ قرار استنادا على أن القيادة أفضل وتعرف صالحنا أكثر ·· وقرارها سيكون الاصوب وتغاضينا عن اشـــياء كثيرة وسلبيات حادة تراكمت ونخرت فى البناء حتى أصبح بناء من قش طار مع أول صدمة »

ولم يستطع ما حدث أن يمحو حماسه وثقته بالثـــورة ·· بل كان يتخيل أنه انحراف أو خطأ حدث ويمكن تعديله ·· بتكاتف كل القوى ·· ولكن صدمته كانت كبيرة ··· عندما عاد فوجـــد أن المصريين هربوا من المواجهة ·· جزء منهم هرب عن طريق الامراض الهســـتيرية ·· أى تحول مرض نفسى الى جسدى ··فمرضوا بالضغط والسكرو أمراض القلب والمعدة ·· وجزء أخر هرب بالهجرة ·· وجـــزء هرب بالتجـــائه الى التطرف الدينى أو التطرف العبثى والاستهتار والغرق فى اللذات الحســـية ·· وحتى الذين لم يهربوا وحاولوا اتخاذ موقف ايجابى لجأوا الى أنماط جـــاهزة تعلموها من الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفيتى ·· وأنقســـموا الى شراذم صغيرة تتخفى تحت الارض ويدور بينها وبين بعضها صراعات مرعبـــة ·· وبينها وبين الحكومة ثقة مفقودة ···

www.alkottob.com

وهكذا عندما تخلخل البناء بحث كل منا عن وسيلته الخاصة للنجاة تماما كما حدث لحظة أسرهم ·· عندما تحقق الجميع أنهم أصبحوا أسرى ·· انطلقت الاصوات مليش دعـوة ·· ملعون أبو الحرب ·· احنا مسالمين ··

وكان الاخرون يصيحون ايضا « ايدك على رأسـك » ·· مين اللى زعى القنبلة على المدبابة ···

واقترب منه شاب فى حدود الخامسة والعشرين أبيض ذو شـعر محمد طويل يلبس أوفرول أخضر مزركش ويسير بكبرياء وخيلاء شديدين ·· وفى نفس الوقت حذر من المفاجآت ·

وسـأله : « انت ضـابط » ·

سأله وفى نفس الوقت مد يده نحوه فاختطف النظارة البيرسـول وقذف بها لزميل له وقف بعيدا · فتشه ولم يكن معه شىء ذو بال سـوى النقود التى أخفاها ولم يعثر الآخـر عليها · سحبه بعيدا وقال : ارتد ·· ايدك قدامك ·· اخفض راسـك ·

جمعوا الجنود فى مكان والضباط فى مكان اخر كانا صديقنا وضـابط اخـر ثم ابتدأوا يحضرون رشـاشـاتهم لاطـلاقها على الجنـود وقف باقى الضباط وكانوا قد تخلصوا من رتبهم مذعورين ·· منبئين عن انهم ضباط ·· عرضوهم على صديقنا فأقر ورصوهم بجواره · وزعوا المياه لكل فرد رشـفة من زمزمية معدنية مثلجة ·· مـاء ذو طعـم خـاص مخلوط بالماغنيسيوم او ما شابه ذلك ··

سأله أحدهم باللغة العربية وهو راقد : ماذا تعمل ·

رد عليه صديقنا بالانجليزية : مهندس معمـارى ·

ثم ابتدأ يتكلم بالانجليزية ·· لم يكن يدرى لماذا فعل ذلك ·· كل ما شـعر به أنه انطلق يتحدث بالانجليزية ·· هل كان يتصـور فى ذلك الوقت انهم لن يفهموا العربية ·· أم لانهم اغراب كلمهم بلغة غريبة ·· أم أنه حاول لا شـعوريا أن يفهمهم أنه مثقف مختلف عن الاخـرين ويجب ألا يقتلوه بدون سبب ···

www.alkottob.com

ولكن لم يدم هذا الحال طويلا فقد زعق بالعربية ·· وكأن الصوت قادم من انسان اخر غريب عنه · « حرام عليـــكم ·· حتعملوا ايه فيهم » عندما شاهدهم يجهزون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود ·

التفتوا لصاحب الصياح ليؤدبوه ·· ولم ينقذه منهم الا قدوم عربة جيب مركب بها جهاز لاسلكى وضابط كلمهم بالعبرية ·· فتركوا الجميع · الا واحدا منهم اراد ان ينتهز الفرصة ليأخذ لنفسه بعض الاسلاب ·· فمد يده لينزع خواتم الزواج من الايدى ولكن لسـوء حظه انه قد ابتدأ بذلك الضابط الذى أخرج صورة زوجته يقبلها أثناء الموقف فصاح فيه هذه ليست ملكى انهـا ملك المدام وخوفا من الفضيحة تنازل عن رغبته فى الاســلاب ··

قوموا ··· أقدم ضابط يدير الطـابور ·

وتقدم أقدمهم ليدير الطابور ·· طابور من الاسرى !! ومع ذلك فلقد كان يديره كما لو كان فى استعراض ·· بالطبع لم يقصد هـذا ·· ولكنه تعود أن ينادى على الجنود بنفس الطريقة خصوصا لو كان ذلك امام قائد كبير يريد ارضاءه ·· وهو هنا يحاول ارضاء آسريه ·

الاسرى متعبون ·· خائفون لدى أى بادرة غير عادية تصدر من الجانب الاخر فهم لا يأمنون لهؤلاء السائرين خلفهم ·· أعدائهم · وجنود الاعـداء فرحون كأنهم مجموعة من أرستقراطى العصور الوسطى خرجوا للصـــيد وعادوا بمجموعة نادرة من الحيوانات سليمة ··

ظل صديقنا يتفحصهم ·· هؤلاء الاعـداء ·· هـــؤلاء المنتصرون الاسرون المتحـكمون فى حيـاتهم ·· لا يمكن أن يضـم جيش كـل هـذه المتناقضات فى الملبس والسلاح والشكل واللغة والحركة والتصرف ·

ملابسهم : مايوه ·· (أى والله مايوه) قميص أحمـــر وبنطلـــون كاكى ·· أوفرول أخضر وحـذاء مظـلات ·· أوفارول رمـادى ·· أوفرول أصفر ·

أغطية رؤسهم : طاقية صوف مشغولة ·· برنيطه رعاة بقر أمريكية ·· طاقية مصرى ·

www.alkottob.com

أسلحتهم : خنجر ـ رشاش عوزى اسرائيلى ـ رشاش بور سعيد ـ بندقية بلجيكى ـ بندقية تشيكى ـ بندقية رش (أى والله رش) ٠

مجموعة متنافرة لا أساس لها ٠٠ ولا تكوين ٠٠ غريب ٠٠ حل هؤلاء هم أسروهم أبيض أسـود ٠٠ أسـمر ٠٠ شـامى ٠٠ عـراقى ٠٠ مغربى ٠٠ يمنى ٠٠ مصرى ٠٠ تأمل صديقنا ثم ضحك وربت على كتفه ٠٠ سـائله :

ـ ألست من الظاهر ؟؟

ـ نعـم

ـ مدرسة الالهامية ٠

ـ نعـم

ـ لقد كنت معك فى المدرسة ٠

ـ ماذا ستفعلون بنا ٠

حظكم رائع ٠٠ صدرت الأوامر الآن فقط بوقف اطلاق النار واخذ أسرى قبل ذلك بدقائق كانت الاوامر اقتل ولا أسرى الا فى أضيق الحـدود ٠ ثم دار حوار سريع بين الطرفين ٠٠ كل منهم كان يريد أن يتعرف على الطرف الآخر ٠٠ حاول الاسرائيليون فى البداية تهدئة الاسرى ٠٠ « لا تخافوا نحن لسنا متوحشين ٠٠ ماذا تظنون بنا » ٠

بعد ذلك ابتدات الاسـئلة ٠٠ لو كان الوضـع بالعكس ماذا كنتم بنا فاعلين ٠ ثم ابتدأت نغمة الفرح والتعالى ٠٠ ما رأيكم فى طيراننا ؟؟

كانت فرحة النصر تتلألأ فى اعينهم وفى نبرات صوتهم ٠٠ لا يستطيعون اخفاءها ٠ ولا يستطيعون تصديق أنهم نجوا من رميهم فى البحر ٠

كانوا يريدون أن يتلذذوا برؤية رعب اسراهم وخوفهم وضـياعهم ٠ لحظات غريبة تلك فى حياة الانسان التى يصـبح فيها بلا ثمن ويمكن قتله بسهولة لنزوة فى راس مجنون ٠ أو للتسلية ٠٠ لو أن جنديين مهوسين

www.alkottob.com

من ضغط الموقف والارهاق تراهنا على أن يصيب أحدهما عين احد أسراهم اليمنى فى مقابل زجاجة كازوزة ·· لكان من حقهما · عندما كنا نسمع عن ابأطره لهم السلطة للاطـاحة برأس أى انســـان لسبب واه او بدون سبب كانت أجسادنا تقشعر ·· فما بالك بأصدقائنا هؤلاء ·· الذين أصـبحوا بدون ثمن ·· جردوا فجأة من الحصـــانة التى يتمتعون بها طول عمرهم ولم يشعروا بنعمتها وهى الا يموت أى منهم بدون مبرر · وبدون أن يدافع عن نفسه ···

كان صديقنا يحلم وهو يتحرك فى طابور الاسرى ·· آه لو كان الأمر بيدى لفرضت الحق والعدل دون دماء ·· ثم أبتسـم ·· عدنا للاســاطير والخرافات الشرقية عندما يحلم كل منا بخـــاتم سليمان يحركه فيتحقق له أمانيه ·· لا عدل الا مع القوة ·· وفى الوحدة ·· والتدريب ·· والعمل المستمر ·· والقيادة الواعية ·· والانتصار يحتـاج لعرق وتعب وتضحية وايثار وعقـل وبذل وتخطيط ووعى وتجانس بين المحـاربين فى الحيـــاة والمعيشة والهدف والمرمى والايمان بالقضـــية التى يحاربون من أجلهـــا وهذا حدث لهم فانتصروا وافتقدناه فها نحن نسير فى طابور الاسرى ·

عندما قامت أول مظاهرة فى القاهرة بعد الهزيمة ·· وكان صـــديقنا قد عاد من الاسر ·· كانت مظاهرة احتجاج على الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران ·· اندهش صديقنا ·· فلقد كانت أول مظاهرة يشـــهدها منذ أن قامت الثورة ·· أى احتاج الأمر لستة عشر عاما وهزيمة عســـكرية حتى يستطيع الانسان المصرى أن يحتـــج ويعلن احتجـــاجه فى مظـاهرة جماهيرية ·· وودلو أنه انضم لها ولكنه خاف ·· خاف عليها من أن يقبض عليه فيقال أن المخابرات الاسرائيلية هى المحركة للمظاهرة فيفسد الهـدف منها ويفسد اسمه أيضا ·· ان هذا الخوف فى نفسه وفى نفوس الاخرين كان يغريه بالتأمل ·· وكان يقول هـذا لجنـوده ·· أنتم تخافوننى وأقصى ما استطيع أن أفعله هو أن أسجنكم لكن ماذا ســتفعلون مع اعدائكم وهم يســتطيعون ما هو الأن ·· أن يقتلوكم ·· لا تخف منى ·· كى لاتخاف من عدوك فتستطيع أن تحارب ·· الانسان القادر هو الانسان الحر المتحرر من المخاوف ·· الآمن على حيـــاته ولقمة عيشـــه وعمله وحريته ·· فيدافع عنها ··

www.alkottob.com

أحضروا لهم عربة مغلقة وركبوا فيها ·· أو ركب من تبقى من المجزرة حوالى الخمسين ·· والبـاقى تركوهم جثثـا أو أشـباه جثث بين كودى الحشيش · قفلت العربة من الخلف بأنزال الكبود المشمع واظلمت الدنيا ·· وأصبح كل منهم مع نفسه وفى مواجهتها وتصاعدت الاحداث لا يعرف من القاتل ومن المتلقى ···

ـ ابعد يا أخ شـويه ·

ـ يا بنى هنا مكان الضباط

ـ هو هنا كمان ضباط ومش ضباط ·· كلنا أسرى فى ايديهم ومفيش حد أرجل من حد ·

ـ آه لك حق الراجل كان ورانا نفسـه ·

ـ الوحيد اللى فيكم الرائد الذى صرخ علشانا · يا اخى راجل فعلا لا قال كلام فارغ ولا اتهز زى الثانيين ·

ـ لولاه كنـا متنـا ··

كانت هذه الكلمات نياشين علقت على صدر صديقنا رغم أن قائلهـا لا ينتظر مكافأة على ذلك ورغم أنه لم يتصنع لتقال له ·· وأبتسم ·· حتى فى أحلك الظروف يستطيع الانسان أن يرضى عن نفسه ·· ولكن ماذا فعـل ليرضى عن نفسه ·· لم يخلع رتبه وينكرها ·· ثم يعود ليتمسح بها · دافع عن الجنود بأضعف الايمان وهو الصراخ ·· لم يتكلم بدون سـبب ولم يسمع آسريه ما يحلو لهم ·· وتعلم من ذلك درسا ألا يتخلى عن قيمه حتى أمام الموت وليمت رافع الرأس ويتحدثون عنه ويستمدون من صمودة قوة ·· خير من أن يبقى ويرى نظرات الاستياء والاحتقار فى عيون الاخرين ·· ان العيون ترصد كل العيون وتقوى وتضعف بها · وعليه أن يكون مصدر قوة لنفسه وللاخرين فى أزمتهـم ·· ووجد يده تمتـد لتربت على رأس ما تبكى ·· لا تبك يا رجل ·· لا تحزن ·· لقد اديت واجبك · ولنسـتفد من الدرس ·· ان جبن وقذارة واستهتار الاخرين تهمنا جميعا لان حياتنـا مرتبطة بهم وبتصرفاتهم ·· فلا نتركهم يلعبوا باقدارنا بعد الان ·· لو ·· لو قدرت لنا الحياة ·

وقفت السيارة أمام مبنى ·· ضوء الشمس اختفى تماما وحـل الظلام مجموعة من الجنود الاسرائيليين وأمامهم برميل ممتلىء بالمـاء وكوز ·· قفز

www.alkottob.com

الاسرى بالتتالى من العربة ·· وتم تفتيش كل منهم ·· جيوبه ·· ملابسه ·· ويخلع حذاءه وشرابه ·· ثم يشرب كوز ماء ·· ويدخل المبنى · الاضواء خافتة ·· ونسمة هواء باردة تلفح كل من ينزل من العربة فيرتعش ·· اصوات تنطق لغة غريبة على الاذن ·· كأنه كابوس او احد أفلام فلليني ·· يفرك عينيه لعله نائم ·· ثم يتيقن أنه يعيش هذا الحدث عندما تلمسه أيدى حقيقية لتفتيشه ·· يشعر بالارهاق الشديد أمله فى الحياة الان أن يرقد لينام ·· لا يعثر المفتشون على النقود هذه المرة أيضا ··· يدخل الى المبنى ·· الاضاءه قوية ·· يطلب مقابلة ضابط ···

ـ · · · · · · ·

ـ عندى أقوال خاصة ·

ـ · · · · · · · ·

ـ معى مائتان من الجنيهات المصرية أريد أن احتفظ بها معك ·

ـ · · · · · · · ·

ـ انها مرتبى عن شهرين ·

ـ · · · · · · · ·

ـ هل تريد الحق أم كلاما يناسب الموقف

ـ · · · · · · · ·

ـ نعم أحبه لقد فعل لنا الكثير ·· ابتداء من الاستقلال وتأميم القنال ·· حتى بناء السد العالى ·

ـ فعلا عبد الناصر لا نستطيع أن ننكر أنه زعيم عظيم ·· ولكن غلطته الوحيدة أنه أغلق مضيق تيران ·

لماذا قال هذا الكلام فى هذا الموقف بالذات ··· وبعد أسره بمدة بسيطة ··· لا يدرى ·· هل هو عناد قومى لم يكبح ·· هل هو رد فعل للشعور بالنقص ··· هل عن ايمان ساحق ·· هل ليكتسب احترام عدوه بشجاعته أم كان للكلمات التى قيلت عنه فى ظلام العربة أثر · أم لجميع هذه الاعتبارات ·

اشار له الضابط للمكان الذى سينام فيه ·· كان صالة اسكوائش راكت فى مبنى بسيناء لا بد وانه مطار ·· فلا يلعب الاسكوائش فى سيناء الا الطيارون ·· وفيه يوجد منصة أو بلكون للمراقبة معلق بها كشافات

www.alkottob.com

قوية مسلطة على عدد من الاسرى المصريين الراقدين على الارض كل اثنين منهم ملتفان ببطانية والحراس اليهود بجوار الكشافات ممسكون برشاشاتهم ينادون « كله ينام » بتهديد ·· ولم يكن الاسرى فى حاجة لهذا التهديد فسرعان ما أستغرق الجميع فى النوم ··

يقولون فى المثل الشعبى الجوعان يحلم بسوق العيش ·· كان صديقنا يحلم بأنه ينام على سريره بالقاهرة مريضا يتأوه ·· ووالدته تضع كفها على جبهته ·· عندما هزه زميله او شريكه فى بطانيته ليستيقظ ·· كان الضوء الطبيعى يملأ المكان ··· وكان معظم النائمين قد استيقظوا واستطاع أن يتبينهم جيدا ·· كان معظمهم من الضباط برتب مختلفه رواد ونقباء وملازمون ·· وبعض المقدمين كانوا يجلسون على الارض مقرفصين فى استسلام ·· انتهت نظرات الرعب من أعينهم ·· وحل محلها نظرات هى خليط من الاستسلام والترقب ·· وكان جندى اسرائيلى طويل الشعر على موضه البيتلز قوى يرتدى ملابس ملتصقة بجسده ويتصرف كنجوم السينما ·· يجمع البطاطين ويزجر الاسرى آمرا اياهم بالجلوس بجوار الحائط · وكان أخذ يمر عليهم بقطع من البسكويت والجبن الذى استولوا عليه من مخازن الجيش المصرى كوجبة أفطار ·

ورغم أن معظمهم لم يتناول طعاما منذ مدة الا أن اغلبهم اعاد الاكل كماهو ورفض المزيد ·· كانهم متفقون على الا ياكلوا ·· الاعناق تتجه لاعلى ·· فى المنصة نساء ·· لم يروا نساء منذ شهر مجندات اسرائيل يطللن عليهم ·· كانهن ينظرن الى حيوانات غريبة مجموعة قرود فى أقفاص بحديقة الحيوان ·· او تل قرود بجبلاية القرود ·

لا بل الآخرون هم الذين يتفرجون عليهن كانهن ممثلات سينما خارجات من عند الكوافير لتوهن ·· أحمر الشفاه ·· الملابس الملتصقه بالجسد ·· الصدور النافرة المتمردة على قمصانهن ·· المينى جيب ·· آه هذا جيش العاهرات ·· لقد كان الامل فى امتلاك واحدة منهن سببا قويا للحرب لعديد من الضباط والجنود ··

ها هن يتسللن بالفرجة على رجال مصر الاشاوس ·· لا بل وايضا يقذفن قطع الشكولاته لهم ·· تماما كما نفعل مع قردة حديقة الحيوان ··

www.alkottob.com

العجيب أن بعض الاسرى أخذ الحلوى وفكها وابتلعها بين نظرات زملائه ... حتى الانسان عندما يحبس يمكن أن يتصرف كالقرد ...

رقيب أسرائيلى يسأل .. هل هناك من يحتاج لطبيب .. وأجاب بالايجاب أكثر من شخص .. وحضر الطبيب .. كشف عليهم .. تأدية واجب .. وواجب ثقيل فهم من ساعات كانوا قاتليه ... أعطاهم بعض الاقراص المسكنة أو المهدئة .. كى يترك انطباعا بانسانيتهم ولكنه للاسف كان طبيبا وليس ممثلا فلم يجد الدور ...

انتصف النهار .. ثم نودى على صديقنا .. أعطاه رقيب اسرائيلى نقوده .. كان يعدهم له بالعبرية آحاد .. أشنين .. ثالوث . مائتى ليره .. ليكتشف لاول مرة قرب اللغة العبرية من العربية .

سأله .. ماذا سافعل بها .. رد الاخر . اعطيها لمن سيستلمكم فى المعسكر الاخر ..

عربات لورى محوزة من الداخل بمقاعد للجلوس .. ركبها أسرانا وعندما طالبوا بالماء قالوا لهم هناك .. عندما طالبوا بالطعام .. قالوا لهم أيضا هناك .. أقفلت العربات من الخلف كعادتهم فى نقل الاسرى أصبح الضوء قليلا .. المقاعد متقاربة لدرجة أصطدام أرجل الجالسين متقابلين .. صديقنا يواجه رائدا .. يبتسم ابتسامة خفيفة .. قسمات وجهه تقول « عزيز قوم ذل » .. صامت كأنه لم يتكلم أبدا .... سأله :

ـ سيادتك منين

ـ مدفعيه (باختصار شديد)

ـ زعلان

ـ لا فرحان قالها بقرف وتهكم ـ

وشعر صديقنا بأنه كان سخيفا .. ولكن الرد كان اقسى .. وأصبح السكوت ـ أفضل عمل .. ولكن السكة طالت ـ سأله :

ـ الى اين

ـ علمى علمك

www.alkottob.com

وكان هذا الرد نهاية لاى محاولة لفتح حديث أخر فسكت ثم سرح ثم هاجمته أفكاره ·· ترى ماذا سيفعلون بهم ·· نزع الاظافر ·· تكسير الاسنان ·· شد الشعر ·

هكذا على الأقل يفعلون فى معارضيهم فى مصر ··· وخصوصا من يقع منهم بين أيدى رجال السجن الحربى ··

حقا اذا كانوا فى مصر يفعلون هـذا فى المعارضين مجرد معارضين فماذا سيفعل اليهود بأسراهم ·· أو قل أعدائهم ·· ونزع نفسه من أفكاره ·· أين يستطيع الانسان أن يعيش ·· كل العالم تحول الى غابة مرعبة ·· أكثر ضراوة من غابات الانسان الاول ·

وحك ذقنه فهو لم يتعود على اطلاقها بهذه الطريقة ·· شعره أيضا اتسخ واصبح متربا ·· يريد أن يستحم أن ينظف نفسه ·

ترى ماذا سيقولون عنه أهله ·· أصدقاؤه ·· قائد الكتيبة ·· ورئيس العمليات الهاربان ·· وشعر بمرارة ·· ترى هل سيعبر اليهود القنال ·· هل سيصلون للقاهرة ·· يقولون وقف اطلاق نار ·· ترى الى أى حد وقف القتال ···

كشف غطاء العربة ·· غابت الشمس وعم الظلام ·· قفز من العربة ·· تناولته لفحه البرد نفسها ·· الى أين !! يضع يده فى جيب بنطلونه ويتحرك بكسل ··· على الجانبين يقف جنود اسرائيليون أحدهم يزعق ويطوح برجله فى الهواء ليضربه بالشلوت يجرى فتصدم قدمه بمن يأتى فى الطابور بعده ·· يضحك رغم المأساة · كعكة ضخمة على الارض ملتفة مثل أصبع الكنافة ·· تتكون من رجال نائمين على الأرض عشرات ·· متاث الاسرى ·· حتى ليخيل لك أن كل الجيش المصرى تم اسره يأخذ دوره فى الكعكه ·· المكان محاط بكشافات ضخمة من كل اتجاه ·· كأنها تضىء حلقة سيرك ·· وصوت الموتورات عال والخراس يطلقون الرصاص فوق مستوى الرءوس الراقدة مباشرة وهم يصيحون « ناموا كلكم »

ان الناظر لهذا المنظر يتخيل أنها ابادة جماعية فى معسكر من معسكرات النازى وان اليهود ينفسون عن عقدهم القديمة ··

www.alkottob.com

ولكن لم يمنع هذا بعض الهمسات التى تجاوبت من أطراف الكمكه ..

ـ . . . . . .

ـ طـر مطـرحـك .

ـ أريد أن أشـرب .

ـ مـا فى ميـه ..

ـ آه ... آه ...

ـ اسـكتى ....

ووجد صديقنا فوق رجليه المثنيتين من البرد رأسـا صفراء تتـأوه ربت على الرأس .. فوجد وجها متورما من الضرب ..

فقال ـ عطشـان حمـوت

ـ اسكت الا ترى الرصـاص .

آه .. آه .. آه .. آه .

كان الصوت يؤلـه .. حتى فقد رغبته فى الحياة . فصاح ليخفـف عنـه ...

ـ يوجد مريض هنـا ...

وكان الرد ـ اسكتى ..

ـ انه يموت .. كمحاولة اخيرة متسترا بالظلام ..

. وجاء الرد ـ تعالى . بلهجة التوعد والتهديد .

وذهب صديقنا للحارس فى نوبه شجاعة مفاجئة .. أو قل فى محاولة دفينة للانتحار والتخلص من قسوة الحياة . ولكن وللعجب اشار الاخر الى دورق مياه وقال :

ـ خذى من هنـا ميـه

ـ لا يوجد به الا قليـل

ـ خذى من هنا الباقى .. واشـار لدورق أخر ..

اخذ الكمية المتوفرة فى الدورقين فلم يكفيا ملء نصف كوب .. وذهب للراس الصفراء يسقيها . رفع راسه على رجليه وابتدأ يسقيه .. وفجأة امتدت يد اخرى تخطف الكوب .. صرخ ابعد ايدك الرجل يموت .. فهل كان من المعقل ان يضحى ويغامر لكى يسرق انتهازى الماء ويحرم منه المريض.

www.alkottob.com

وهكذا مضت ليلة كئيبة يعجب كل من عاشها كيف مضت٠حقا ان الانسان آلة رائعة متكاملة ٠٠ ففى الاوقات التى تصبح فيها حياته مهددة بالفناء ٠٠ تنبعث من داخله قوى خفية تحميه وتمده بقوة لا نهائية من التحمل والتكيف ٠٠ منها الاحـلام ٠

الفجر يبزغ ثانية ٠٠ أشعة الشمس تدفء الاجساد ٠٠ وهم هم يرون بأعينهم ماكانوا يلمسونه فقط ليلا ٠٠ الرأس الصـفراء غـلام لم يتجاوز العشرين ٠٠ زملاءه مازالوا يلهـون أمام الامريكين وجروبى وفى حلقات الرقص وجهه كله كدمات كأنما هو قد أنهى لتوه ماتش ملاكمة وفى نحافته وشعره الاصـــفر الطويل وذقنه التى مازالت بكرا أحساس بالشـــقاوة واللامبـــالاة ٠٠

على الجانب الاخر نتوء عال هو كرش مقدم مازال نائما ٠ من الناحية الاخرى زميل نقص وزنه خلال هذه الايام بصورة ملفته ٠٠ ماذا حدث ؟؟ ٠

شعور طويلة ٠٠ ذقون غير حليقة ٠٠ تراب يكسو الوجوه والملابس والشـــعر ٠٠٠٠ كأنها أشباح خرجت من قبور السنين تلعن العالم ٠٠

وهؤلاء لم يكفهم ما أصاب جنود مصر ٠٠ فاحضروا مجنداتهم المزوقات ليتفرجن عليهم الغريب أن القلوب الرقيقة والعيون الحساسة لم تدمع لسحق الانسان لاخيه الانسان واذلاله ٠٠٠

ترى لو أتيحت لهن الفرصة لحضور حفل فى نادى الضباط ٠٠ هل كن يرين فى هـؤلاء الرجال شيئا يدعو للتسلية ٠٠٠ !!

ارتفعت الشمس الى منتصف السماء ٠٠ وازدادت الحرارة ٠٠ وتصبب العرق ٠٠ وجفت الحلوق ٠٠ وفقد الرجال اتزانهم فهتفوا ٠

٠٠٠ يحيا أشكول (أخص ٠٠ أخص) ٠٠

٠٠٠ يحيا موشى ديان (مش معقـــول) ٠٠

٠٠٠ نريد أن نشرب (آه ٠٠) ٠٠

النسوة يسالن ٠٠ النسوة يبتسمن ٠٠ الرجال يضحكون ٠٠ فناطيس المياه تحضر ٠٠ المياه البـــاردة تمـــلأ الحلوق ٠٠ تضغط على الانوف ٠٠ تختلط بالرمال لتكون طينا على الجباة ٠٠ والوجوه ٠٠

www.alkottob.com

ـ أصـعدوا للعـرابات ٠
عربات لورى مكشوفة مثل التي تستخدم فى نقل الرمل والزلط

أبتدأوا يرصـــون الاسرى داخلها بأن يجلس صف فرفصاء ثم يأخذ كل فرد فى الصف زميلا أخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا آخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا أخر ٠٠ وهكذا وضع غريب وطريقة أغرب للنقل يصـعب ان تستخدم حتى فى شحن الحيوانات فقد يهتم صاحبها بالاتفق على الاقل ٠

ـ انزل اركب الاتوبيس ٠

أتوبيس سياحى فاخر ٠٠ شىء غريب من الضد للضد مباشرة ما معنى هذا ؟؟ واصبح أصدقاؤنا سياحا ٠٠ مع ســائق أنيق يتكلم الانجليزية ووظيفته مهندس معمارى ٠٠٠ مثل صديقنا ٠

أعطاه علبة سـجائر ٠٠ أخذ سيجارة منهـا ثم امتدت يد من الخلف فاختطفت العلبة ٠٠ رائد ذو عينين زرقاوين نارى ٠٠ يحتفظ بالعلبة لنفسه ٠

السـائق يلاحـظ ما حدث ٠٠ فيعطيه لبانا يفرقه على من حـوله من الزملاء فى حذر من ذى العينين الزرقاوين ٠

زجاجة ويسكى صغيرة ٠٠ رشـفة منها قد تدفئ ٠٠ الزجاجة يتم تداولهـا بسـرعة ٠

ـ نحن نحب السـلام « آه يا عقرب اى سـلام هـذا »

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ـ انا جميع أعمالى متوقفه بسبب الحرب « ونحن ماذا فعلتم بنا ٠٠ »

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ـ بلدنا متقدمة « بالمـدفع والطـائرة ٠٠٠ »

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وابتدأ غسيل المـخ ٠٠ بأحدث الطرق العلميه ٠٠ القسوة الشديدة ٠ يعقبها اللين والاعتذار بقلة الامكانيات والمحافظة على الامن ٠٠ هكذا نفذها الالمـان

www.alkottob.com

.. وهكذا قام بها أدوات التعذيب فى المعتقلات السياسية .. الدعاية نصف الحرب . واستجاب البعض احدهم قال بسعادة غير متوقعة ....

ـ اليهود فى الراديو كانوا دائما ما يقولون .. سينقض الاسرى عندنا اجمل صيف على ضفف البحر المتوسط فى حيفا .

ـ والله ناس محترمين ينقلوننا فى أتوبيسات سياحية .

وانفرجت الستائر قليلا .. أطل منها صديقنا .. انه يعرف هذا الطريق انه الطريق الى العريش .. وها هى محطة الابطال ونصب الجندى المجهول .. بجوار النصب عربة جيب مضروبة تتدلى منها جثة متفحمة سـوداء من فعل النابلم .. أكيد هذه جثة ضابط فجراب الطبنجة يتدلى من وسطه .. الكلاب تنهش الجثة .. فطار مضروب بالنابلم .. جثث لا أول لهـا ولا أخر وجوه محروقة يكسوها الرعب .. الرائحة النتنة تزكم الانوف المرانق يلاحظ الامتعاض الذى على الوجه .. يقفل الستائر ويتكلم ....

ـ نحن لا نريد الا أن نعيش فقط

ـ . . . . . (الخنادق ممتلئه بالجثث .)

ـ نحن نحب السـلام .

ـ . . . . . (دبابات معطلة داخل حقول الغام)

ـ لماذا تكرهوننا نحن نحبكم

ـ . . . . . (عربات مشتعلة حتى اللحظة .)

ـ اقفل السـتائر ...

ـ لمـاذا . . . . ؟؟

ـ أوامر . . . .

ولكن حب الاستطلاع تغلب على الخوف قفلوا الستائر وتركوا اجزاء منها تسمح بمشاهدة محدودة .. قرب الشيخ زويد .. كانت خسائرهم .. دبابات محروقة .. سيارات منتعلة وقطارا محملا بالخسائر ..

الحرب على الجانبين .. ولكنهم يحطمون اسراهم بالسماح لهم برؤية خسـائر الجيش المصرى .. ويمنعونهم من رؤية خسـائر الجيش الاسرائيلى ليتخيلوا أن الحرب قد حدثت بدون خسائر من جانبهم .

www.alkottob.com

لقد بدأ غســـيل المخ فعلا احذروا أيها الاحباب احذروا .. رفح .. غـزه ويتجه الاتوبيس الى الطريق الممنوع طالمـا نظروا اليه من قبل وتساءلوا ترى ما الذى خلف هذا الطريق .. لقد أصبحوا الان فى اسرائيل .. الليـل يرخى سدوله ويخفى المعــالم .. العربة تسـير بسرعة .. الدفء والكراسى المريحة .. والنوم يهاجم معظم أصدقائنا بعد معاناة طويلة فى الليالى السابقة .

عندما عاد صديقنا من الأسر ووجد ان معظم اهله المصرين قـــد هـربو من المواجهة سواء بالمرض أو الهجرة او التطرف أو اللامبالاه والتملل .. اهتز ... كانت صدمته فى بلده أكبر كثيرا من صدمته فى أسره .. وكاد أن يفقد الأمل ... فأصبح يجرى خلف أى هاتف .. حتى ولو كان شاعرا او منشـدا يلتف حوله بعض الشـباب يصخبون وينفثون عن مشـاعرهم أو مجموعة من الشباب الصغير الذين تخيلوا أنهم قادرون على تعديل ما اعوج بالخطب والشعارات .. وغاص .. لاذنيه يشاهد .. ويتكلم . ويناقش .. حتى اكتشف أن هذا أيضا هروب .. ولكن ما كان يحزنه ويضنيه .. هو الى اين .. وكيف يمكن اجتيـاز الازمة .. وهرب هو ايضـا .. هرب بدخوله مستشفى القوات المسلحة قسم الامراض العصبية .. كل ما فعـله أن أخرج ما بداخله للاطباء قال لهم الحقيقة وما يشعر به من أزمة .. فحجزوه للعـلاج وهناك عرفته .. (شاب رومانسى) .. يرتدى روب دى شامبر أحمر .. وبيده راديو ترانزستور يستمع من خلاله الى الموسيقى وبجواره عشرات الكتب يقرأها ليفهم .. كتب فى علم النفس .. والتاريخ .. والادب .. والسياسة .. كان لا يتكلم الا قليـــلا . وينصت كثيرا .. وفى بعض الاحيان يكتب .. وأعطانى ما كتب ورقات متناثرات أثارتنى الى درجة كبيرة .. وكان لابد من استكمال أحداثها .. لذلك فلقد داومت على الجلوس معه واستثارته بأسئلتى ودونت ملاحظاتى على هذه الاسئلة .. حتى تم الجلاء .. فزرته لاعرف ماذا تغير فيه بعد أن جلا آخر جندى اسرائيلى ـ وهكذا ولدت هذه القصة ..

صحا أصدقاؤنا على ضجة .. فوجدوا أن الاتوبيس يتحرك فى مدينة ما ... عرفوا بعد ذلك انها بئر سبع .. مبانى صغيرة ذات أسقف منحدرة مغطاة بالقرميد الاحمر على الطريقة الانجليزية .. أو الأوروبية من كل منزل تظهر مدخنة بعضها يخرج منها الدخان دليل على أن بداخلها عائلات تتمتع بالدفء والطعام الساخن سينما ملصق عليها افيشات أفـلام حديثة تشبه

www.alkottob.com

الافيشات التى كانت ملصقة أمام سينما كايرو وكان الفيلم المعروض « صوت الموسيقى » ·· الأولاد والبنات حول السينما فى انتظار الدخول أو الخروج ·· البنات يرتدين الميكروجيب ويصففن شعرهن بطريقة ديل الحصان ·· نفس المناظر والملامح التى يمكنك مشاهدتها فى مدينة ما فى أى بلد فى أى مكان من العالم ··.

الاتوبيس يقف داخل محطه بنزين ·· يدخلون من الشباك خرطوما من مياه تتخاطفه الايدى ·· مريض يئن راقد بقاع العربة ·· فقد شرب بوله ثم شرب ويسكى لتسكين الالم ·· ويطلب ماء بالحاح ··

الحارس يسبه ·· أحد الضباط يحاول تهدئته اسكت يا شيخ محمد الحارس يضربه بكعب البندقية ·· يحاول أحدهم اعطاءه خرطوم المياه لفض المشكلة الحارس يضرب الاخر أيضا بكعب البندقية ·· يسود السكون العربة بعد ذلك ·· السائق يعود ومعه علبة سجائر توزع ـ العربة تتقدم ·· ثم تقف ثانية ·· المدينة فى مهرجان وسعادة · يلتف حول العربة مجموعة من البنات يصحن ·· واحدة منهن تدخل من الباب تبصق على الراكبين · فيبعدها الحارس ·

العربة تتحرك على طريق صحراوى حوله معسكرات··ثم تقف أمام معسكر منها عبارة عن مربعات من الارض الفضاء تحيطها الاسلاك الشائكة وتفصل المربعات طرق مخططة على شكل رقعة شطرنج ·· يدخلهم الحراس أحد المربعات ويعيدون تفتيشهم ولاول مره يسجل أسماء الاسرى ·

(أسمك ـ تاريخ ميلادك ـ وحدتك ـ هل معك امانات ···)

ينقلون الى مربع من المربعات الفارغة ·· الهواء أكثر برودة ·· ثم يظهر الفجر سريعا ··· فالنهار بحرارته ·

قائد المعسكر قصير متغطرس ·· ابيض ·· يدق الأرض بقدميه بقوة اله من آلهة الرومان ·· أو جنرال المانى نازى ·· كلماته مقتضبة ولكن لها تأثير السحر ···

ـ ماذا تريدون ··· آآ

www.alkottob.com

ـ خيـــام ٠
ـ خيمه للضبـاط فقط ٠
ـ مياه ـ اكل ـ دورة مياه ٠
٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

حرارة الشمس تزداد ٠٠ والعطش ٠٠ والجوع ٠٠ والتصرفات النازية أعطت انطباعا بأن الهدف من هذا المعسكر هو افناء الاسرى وتمر الساعات ٠٠ نريد طبيبا لمكان الجنود يسرع أحد الاطباء ويعود ويضحك بسخرية ٠٠٠

ـ أحدهم غرق ٠٠ فى وسط الصحراء ٠٠ فلقد وضع رأسه فى الجردل وضغط عليه زملاؤه فغرق ٠٠

هتافات من مربعات الجنود ٠٠ يحيا موشى ديان ٠٠ كان الحراس يقذفون السجائر والبرتقال ٠٠ والجنـود تتخاطفها وتتصـارع عليها ٠٠ كل حارس كان معه آله تصوير يسجل هذه الكوميديا ٠٠ أو قل تراجيديا هزيمة الانسان ٠ والضباط أيضا ٠٠ أعدوا رتبهم فى مقابل السـجائر والصابون واللبان والشيكولاته ٠٠ بعضهم تمادى فسمح بالتقاط صـور له مع الاعداء ٠٠٠

أحضر الاسرون بعـد ذلك الطعـام ٠٠ قوالب جبنه وأنابيب مربى وأرغفه عيش ضخمه كالسيجار ٠٠ وكلها أسرائيلية فى هذه المرة ٠ وتطوع بعض الضباط لتوزيع الطعام على الجنود ٠٠ وبعدها تعالت الشـتائم ٠٠ كل ما لم يستطع الجنود أن يقولوه لضباطهم من قبل قالوه فى ذلك اليوم ٠٠ ياحرامية تسرقون أكلنا حتى هنا ٠٠٠ ابتعدوا عنا ٠٠ اليهود أكثر عدلا ٠٠ ولم يستطع الاخرون الرد ٠٠ أولا لانه لا يوجد سـجن أو حجز فشـلاق أو ضرب أو حرمان من الاجازات ٠٠ وثانيا : لانها حقائق فان بعض الضباط كونوا وسريعا شلة منتفعين تخفى كل ما تستطيع توفيره أو الحصـول عليه من طعام ثم تتقاسمه فى الخفاء ٠٠٠ ياللحسرة ٠٠ لقد هزمنا ٠٠

مر النهار ببطء شديد ٠٠ وجاء الليل وفى هذه الايام تلاحظ أشـياء لم تكن لتلاحظها من قبل ٠٠ مواقع الشمس فى السماء وحركة الظـلال ٠٠ اختلاف درجات الحـرارة ٠٠ وهكذا ٠٠ وكان الجنود الاسرائيليون قد

www.alkottob.com

مدوا خطوط مياه حتى كل مربع بواسطة مواسير فى نهايتها مجموعة حنفيات • وحفر الجنود المصريون حفره غطيت جوانبها بالخشب والخيش واستعملت كدورة مياه •• وفرشوا خيمة كبيرة للضباط ••• فأصبحوا يعيشون فى مربع ٢٠ x ٢٠ متر محاط بالسلك الشائك والاعداء •

ونام الضباط من الارهاق •• وجوههم مغطاة بطبقة كثيفة من التراب مغلوبون على امرهم استسلموا • وتصاعدت رائحة دخان سجائر غريبة تشبه السجائر العربية وملأت الخيمة •• فتتبعها بعض الضباط •• حتى وجدوا مصدرها •••

ـ من أين •

ـ أعطانى اياها الحارس •

ـ نفس من فضلك

ـ خدوا حلام واحده وابتعدوا عنى ••

والتف عشرة من الضباط حول سيجارة كريهة الرائحة •• يدخنون •• الهذه الدرجة تستعبد العادة الانسان ••

أحدهم يهمس •• سننتقل الى معسكر أخر •

ـ كيف عرفت •

من الحارس صديقى •• لقد كان كومسيونجى فى مصر •• ويحب المصريين وكرمهم ويتكلم عن الفطير المشلتت والعسل النحل والزبدة ••

ـ وماذا قال لك صديقك هذا •• !!

سننقل الى معسكر جديد ـ فى مكان ما ـ به حجرات ومياه ساخنة وبارده وسراير وملايات والاكل فى ميز •• وسجائر •• وكل ما سنطلبه سيجاب •

ـ اليهود قالوا هذا الكلام فى أذاعتهم أثناء الحرب •

ـ انهم لا يكرهوننا •• انهم يكرهون نظام الحكم •

ورد اخر بأستفزاز ـ ماذا حدث لكم هل نسيتم اننا بين ايدي أعداء وهم سيفعلون بنا ما يشاءون • هذا جزء من مخطط • واسكته أكثر من

www.alkottob.com

صـوت ـ بلاش دوشـه ·· ألم تكفينا محـاضراتكم وكلامكم المزوق ·· ألم تربعينيك الاتوبيسات ومستوى الاكل ···

واحتار صديقنا ·· أى الأطراف صحيحة · ثم تنبه أنه متشـدد لا يقبل أى نقاش والأعجب من ذلك أنه يحكم أحكاما مسبقة على هؤلاء القوم ·· الا يجوز أنهم بشر فعـلا وانسـانيون ·· الا يجوز أنهم واقعون تحت تأثير دعاية وفكر غير صحيح ·· هل يضع نفسه فى قوقعة ويغلقها عليه فلا يرى أو يسمع أو يفهم ·· الا يجب أن ينتهز فرصـة قربه من اعدائه ويتعرف عليهم بشكل أفضل ومن خلال ملاحظاته الذاتيه ·

كل ما فى الأمر أنه اعتاد أن يتلقى من القيادة ·· ماذا يضر لو أنه تلقى من راسه هو ·· أليس هذا الحارس يشـبه والده ·· انه يبتسم بود لماذا تحول هذا البرىء الى أداة فى أيدى مجموعة من الاستعماريين مثل موشى ديان يسـتخدمونه لضربهم وقهرهم وأقنع صـديقنا نفسه بأن يخوض التجربة يرى ويسمع ويفهم ولا يحكم احكاما مسبقة على الجميع ولكن يحذر فهو بين أيدى اعدائه ·

طلبه أحدهم من معسكر الجنود بواسطة الحراس ·· فذهب لرؤيته ·· كان أحد صف ضباطه ··

ـ سـلامتك ·

ـ سأموت يا فندم

ـ لا كلها كام يوم وتبقى زى الحصان

ـ وصيتك اولادى

ـ سترجع لهم بالسلامة ·

ـ مش معقول حيموتونا ·

ـ أصمد سير حلونا قريبا لمعسكر افضل وستعالج هناك ·

ـ ربنا يسمع منك ·· أولادى وصيتك ·

وجاءت أول وجبة سـاخنة يذوقونها منذ شـهر ·· جردل ممتلىء بالبطاطس واللحم كل عشره لهم جزء ·· الطعـام لذيذ ولكنه قليـل ··! واسترخى أصدقاؤنا ··· وابتداوا يتكلمون ·

www.alkottob.com

ـ الناس دى بتموتنا ببطء ·· صـباحا وانتم نائمون على الأرض تأملت وجوهكم فشعرت برعب من المنظر ·· التراب والأرض والشعر الطويل والذقون غير الحليقة والعيشة اللاأدمية ···

ـ وهل تظن أنهم سيلفوننا بحرير ·

ـ العساكر مبسوطة ···

ـ والله غلابة · على الأقل لدينا خيمة ·· وهم لهم الشمس والهواء والحر نهارا والبرد والندى ليلا ··· ـ

ـ لم يحدث تغيير كبير فى حياتهم ·· هذه عيشتهم دائما ·· المهم اننا لم نتعود على ذلك ·

ـ بهذا الشكل سنموت ولن يحدث لهم شىء ·

ـ ألسنا رجالا مثلهم ·· يجب أن نعيش ·

ـ ولكننا متعلمون ·

ـ ان لم يفدك العلم فى التكيف الاسرع والافضل فلا أهمية له ·

ـ هل ستبقى للابد هنا ·

ـ الاتفاقيات الدولية تنص على ان كل ضـابط له سريره وملابسـه وأكله وسجائره ومصروف ايده ·

ـ ظظ بالاتفـــاقيات الدولية ·· منذ متى احترم الاسرائيليون اتفاقيات دوليـــة ·

ـ لكن دى سـمعة دولية ·

ـ منذ متى ايضا اهتموا بالسمعة الدولية لذلك ضربونا بالنـابلم

ـ لا تكن ظالمـا فهم يحاولون التعاون ولكنها الامكانيات ·

ـ ثانيا امكانيات ·· ألم تشبع من هذه الكلمة التى نعلق عليها عجزنا·

ـ هل رأيت الاتوبيسات التى أحضرونا فيهـا ·

ـ وهل رأيت عربات الزلط التى كنا سنركب فيها ؟

ـ انهم فى منتهى الذكاء صوروا لنا انهم قادرون على شحننا كالبهائم ثم أركبونا اتوبيسات سياحية ·

ـ لتعذر أى تصرّف حقير يتصرفونه معك بعد ذلك وترجعـه الى نقص الامكانيات ·. ولكن حسن النية متوفر ·

ـ لو أننا أسرناهم ماذا كنا سنفعل بهم ·.

ـ تدفن رأسك فى التراب ·· كنا ذبحناهم طبعا ·

www.alkottob.com

ـ ومن ادراك انهم لم يذبحوا غيرنا ٠

سأل أحد شلة المنتفعين عن موعد رحيلهم الى المعسكر الجديد ٠٠

فقيل خلال ثلاثة او اربعة ايام وعندما ناقشه بعض زملائه فى مدى العلاقة بينه وبين الحراس رد ٠

ـ هس ٠٠ لا أريد كلام أكثر من اللازم ٠٠ ستقولون عميل ٠٠ موافق ٠٠ عميل عميل ٠٠ عندما أعود بلغ عنى ٠

وانفلت آخرون كأنما كان هذا الحديث اشارة البدء ٠٠

ـ لماذا نحاربهم

ـ اذا لم نكن فى مستوى قدرتهم فلماذا نعاديهم ٠

ثم تندر آخرون على أنفسهم

ـ نحن اقوى طيران فى الشرق الاوسط ـ سنقضى على اسرائيل فى ٤٨ ساعة

ـ اضرب ٠٠ اضرب ٠٠ اضرب ٠٠ لجل الصغار ٠ لجل الكبار

ـ انهم متقدمون جدا ٠٠ مدوا المواسير فى دقائق ٠٠ شوف لو كان عندنا كان أخد وقت اد ايه ٠

كانت الصدمة قد هزت ايمان الجميع بثقتهم فى أنفسهم وبدون استثناء٠٠ وجعلتهم يراجعون مبادئهم المتوارثة ٠٠ وكلما كانت درجة الاقتناع سطحية ٠٠٠ كلما كان الانبهار أكبر ٠ فأصبحوا يقدرون العدو بأكثر مما يجب ويبخسون أنفسهم حقها أكثر مما يجب أيضا ٠

وهكذا فان الجنود بايمانهم الاجوف النابع من تعصب دينى شيفونى سرعان ما حدث انهيارهم ودفعهم هذا للهتاف لقادة أعدائهم ٠ والضباط بعنترياتهم الجوفاء ايضا تعرضوا لهزات متفاوتة الدرجات من الانهيار ٠٠ تتراوح بين التعاون التام مع العدو الاملس وخدمته فى سبيل بعض الامتيازات وبين مراجعة موقفهم من القضية والاستعداد لرؤية الموقف بأعتبارات جديدة٠ وهذا ما حدث لصديقنا ٠

أصبح مستعدا لسماع وجهة النظر الاخرى والتعرف على العدو بروح محايدة جديدة بحيث لا تمس كرامته أو كرامة وطنه ٠٠ وتنبهت غريزه الاستطلاع لديه ليحاول أن يعرف ويفهم ويستفيد من التجربة الجديدة أقصى استفادة ٠٠

www.alkottob.com

وفى سبيل ذلك ابتدأ يراجع قيمه وأفكاره القديمة فى ضوء آتون النار الذى وجد نفســه داخله مرغمـا ٠

صباحا ٠٠ جاء البشير ٠٠ سترحلون وانتقلوا من يد الى يد حتى وصلوا الى العربات ٠٠عربات نقل النزلط ٠٠ ثانية ولكن فى هذه المـرة شحنوا فيها فعــلا بطريقة لا انسانية للغاية جلس كل منهم مقرفصا ٠٠ فاتحا رجليه ليدخل بينهما زميل آخر ووضعت على عينى كل منهم عصابة من القماش وانقطن كان صديقنا فى أول صف ملاصــق لجدار العربة ويجلس بمحــازاة رأسه فوق الكابينة حارسان اسرائيليان بيدهما رشــاشات وتحركت العربة وتعالى الصياح ستكسر رجلاى ٠٠ يا أولاد الكلب الله يخرب بيتكم وتخيل كل منهم أنه سيكون ضحية زملائه كما حدث مع غريق الصحراء ٠٠ فانهالوا لعنا بعضــهم لبعض ٠٠ وكلما طــالت المســافة ٠٠ كلمــا زاد العــذاب ــ حاول بعضهم الوقوف أو خلع العصابة ولكن الحراس زجروهم ٠

الهواء بارد ٠٠ ثم أصبح محملا برائحة زهو البرتقال ٠٠ أكيد يمرون الان بين بيارات البرتقال الفلسطينية التى طالمــا سمعوا عنها ٠ صياح المــارة يصلهم ٠٠ لقد دخلوا مدينة ٠٠ أصوات موتسيكلات وعربات تحيطهم ٠٠ انهــم يزفون عارهم ٠٠ ويمتعون مدينتهم بالمنظــر المخــزى لرجــال مصر الصناديد ٠٠ صياح لفتيات ــ شتائم للنبى محمد ماله محمد وأحداث تمت بعده بالف وثلاثمائه عام ــ شتائم لعبد الناصر ــ شــتائم لام كلثوم ٠٠ شىء غريب أن يعرف رجل الشارع ما يوجعهم لهذه الدرجة ٠٠ الاصــوات تضعف وتعود رائحة البرتقال ٠٠ لابد وأن المنظر جميل ٠٠ كانوا يشعرونه من نسمات الهواء الرطبة المعطرة برائحة الحدائق ٠٠ أحدهم يعرى العصابة ليرى ٠٠ عجيب هذا الانسان يخاطر بحياته فى ســبيل أن يرى ٠٠ ولكن معظمهم لا يملك شجاعته أو استهتاره فهم يعرفون الا ثمن لهم ٠٠ ولذلك فهم حريصون الا يعطوهم المبرر لاغتيالهم الذى خلع العصابة يصف لهم المنظر٠

نحن فى قول عربات ٠٠ امامنا ميكروباس يركبه الحراس اليهود وبعض المصريين ٠٠٠ آه شــلة المنتفعين ٠٠ الشجر على الجانبين أخضر وكثيف (نعم ٠٠ نحن فى الربيع) والورود والزهور تملأ منتصــف الطريق وعلى الجانبين ٠٠ (آه ٠٠ انها الجنة ٠٠) العربات تجرى حولنا بســرعة ٠ مياه ٠٠ سيدات بالمــايوهات البكينى فى العربات المكشــوفة ٠٠٠ (لابــد

www.alkottob.com

وانهم بقرب البحر) ·· العربات تقف ·· بنات صغيرات ــ يندمعن تجاه الميكروباس ويقدمن زجاجات المازوزه للحـراس ·· الله الله ·· الزجاجات منعيشة من قطرات المـاء والبرودة ·· يا نهار اسـود · وطى راسك طوبة جاية ويحدث هرج فى العربة فالجمع الاعمى يحاول أن يتوقى طوبة قادمة من مكان ما لا يعرفه ويتنبه الحراس لخطر الموقف فيسرعون بالحركة ··

سـاعات طويلة تمر ببطء كل دقيقة تمضى بدون أخطار يحمدون الله عليها ·· والاخطار تحيطهم من كل جانب ·· حارس متهور او مدنى متحمس يقذف بطوبة ·· او ضـغط الاجسـاد بعضها علي بعض · مع مرور الوقت قل الحذر وابتدأت أعداد متزايدة منهم تخلع العصابات ·· وظهرت أسـوار عالية فى وسطها بوابة يتجمع حولها عشرات من الشبان والشابات بالميكروجيب والمـايوهات والشـعر المسترسـل أو البيتلز تهتف باللغة العربية شعارات معادية وكلمات بذيئة لا تسـمع فى أحط الاماكن يقذفون القادمين فى ذلهم بالطماطم وعلب الصفيح الفارغه ·

ودخلت العربات من البوابة وسمح لهم رسميا بخلع العصابات ووجدوا أنفسهم فى الجنة ··· حقـا ···

أعداد كبيرة من الاشـجار تشـبه حديقه قصر المنتزه فى الاسكندريه أحواض الزهور والحشائش ·· والشـوارع المسفلتة النظيفة وفى خلفية الصورة جبل عال أخضر مزروع كله يظهر منه فنطاس مياه ضخم ·· ويتناثر عليه مجموعات من المنازل الصغيرة التى لا يمكن تمييزها بسهولة ·· ونسمات هواء رطبة محملة برائحة البحر والزهور وصوت حريمى رقيق يتكلم بلغة غريبة من الميكرفون · قد يكون هذا منظرا عاديا فى الظروف الطبيعية ولكن لانسان عاش حوالى الشهر فى الصحراء لا يرى الا التراب واللون الاصـفر يعتبر المنظر مفاجأة مؤثرة ··

لقد كان هذا معسـكر عتليت المكان الذى أعـده الاسرائيليون للاسرى المصريين ــ ليعيشوا فيه أجمل أيام صيف ٦٧ على حد قولهم فى أذاعة اسرئيل·

www.alkottob.com

الفصل الرابع

عنكبيت

آن الاوان لكى أحدثكم عن نفسى قليلا أنا الكاتب ٠٠ كما سبق وذكرت لكم لقد تقابلت مع صدقينا أول مرة فى مستشفى للقوات المسلحة بقسم الامراض النفسية وكنت فى ذلك الوقت نقيبا طبيبا يعمل بالقسم ٠٠ وكان صديقنا رائدا مهندسا حضر ذات يوم يشكو رغبته فى أن يطلق الرصاص على قادة كتيبته واللواء الذى يعمل بهما وعندما تحدثنا معه اكتشفنا أننا أمام حالة خاصة ليست ككل الحالات التى نقابلها وانه ذكى متفهم ولكنه مصاب باكتئاب نفسى شديد ٠٠ وأن لديه ما يقوله ٠٠٠ بعد أن عانى من الاسر ٠٠ وشدنى صديقى اليه كحالة مرضية تستحق المناقشة وكأنسان ذى وجهة نظر تمسنا جميعا ٠٠ فصارت بيننا صداقة غريبة ٠٠ هى خليط من ثقة مريض بطبيبه وعلاقة مجروحين بخنجر واحد ٠٠ فرغم كونى طبيبا نفسيا متخصصا بالقوات المسلحة ٠٠ الا اننى ايضا انسان مصرى مصاب وان كنت اكثر قدرة على فهم مشاكلى وأحاسيسى لذلك فلقد تتبعت حالته حتى بعد أن ترك القوات المسلحة ٠٠ وكان يزورنى فى عيادتى فى بعض الاحيان ٠٠ وكنت أسعى اليه فى بعض الاحيان ٠٠ وشفى صديقى ٠٠ ولكن انتم تعرفون ان كلا منا مريض بشكل او بآخر بنسب مختلفة ٠٠ عندما اقول شفى صديقى فاقصد انه أصبح يحمل النسب الطبيعيه لانسان يعيش فى مجتمع عصرى ٠

وفى الفصل القادم سانقل لكم ما خطه بيده من خلال مذكراته عن عنكبيت التى سلمها لى ولن اتدخل الا فى القليل فهذا الفصل لا يقرا الا كما كتبه صاحبه٠

www.alkottob.com

عنليت قرية بجوار حيفا على شـاطىء البحر الابيض المتوسـط ·· واهم ما يميزها هذا المعسكر الكبير الذى بناه الانجليز أثناء احتـلالهم لفلسطين فهو بذلك يشبه معسكراتنا على القناة ·· فى الاسماعيلية والسـويس ·· المبانى المبنية بالخشب والاسقف المنحدرة ·· ودورات المياه الجماعية ذات الحوائـط الانترنيت ·

والمعسكر قريب جدا من البحر بحيث نستطيع سماع صـوت الامواج فى الليالى الهادئة ·· ويفصله عن البحر حقول الغام محاطة بالاسلاك الشائكة ·· أو تل ارض فضاء عليها يافطة بالانجليزية والعبرية تدل على وجود حقول الغـــام ··

والمعسكر مقسم من الداخل الى معسكرات فرعية كل قسم محاط أيضا بأسـوار أسـلاك شائكة وكل معسكر فرعى يتكون من عدة عنابر مبنية من الخشب كل عنبر يتكون من ٤ حجرات اثنتان منهما كبيرتان وهما اللتان على الطرفين والاخريان اصغر قليلا ·· ولكل حجرة باب وعدة شبابيك تفتح على شـوارع فرعية مزروعة أو كانت مزروعة يوما ما ·· والارضيات مبلطة موزايكو ·· وفى مرحلة متقدمة وضعوا قضبان حديد لسـد الشبابيك مـع اتاحـة الفرصـة لفتحهـا ليـلا ··

والمعسكر الفرعى المكون من عشر عنابر يخدمه مجموعه من الحمامات ودورات المياه المقامة بالخشب والانترنيت والمعسكر يضـاء بالكهرباء ·· ومحـاط بأبراج مراقبة تتبادلها الخدمات المسـلحة برشـاشات بلجيكية ومعلق بجوار كل برج كشـاف كهربائى يدور طول الليل لكشـف الطـرق الرئيسية والفرعية الكثيرة التى تربط أجزاء المعسكر المختلفة ·

ولاستكمال الحراسة تسير دوريات خدمة راكبة عربات جيب مكشوفة ··· ولقد خصصت المعسكرات الفرعية لتضم الاسرى المصريين والسوريين والاردنيين ·· بشكل نوعى ·· فللجنود ٤ معسكرات والضـباط الصـغار

www.alkottob.com

من ملازم حتى رائد لهم معسكر واضباط الكبار من مقدم حتي لـواء لهـم معسكر آخر ٠٠ والمدنيون لهم معسكر خاص ٠٠

ويضـم معسكر عتليت بالاضـافه لذلك عناير للحراس الاسرائيليين ومطبخا لاعداد الطعام للاسرى وآخر للاسرائيليين ٠٠ ومطعما لهم ومدانب الاستجواب بعضها أنشىء على عجل من الخيش ٠٠ كذلك يوجد بالمعسكر مستشفى ميدانية لعـلاج المرضى تحتوى على عيادة باطنية وعيادة أسنان واجزخانة وحجرات للمرضى ٠٠ ومعداتها عتيقة جدا ٠٠

وللمعسكر بوابة خارجية او اكثر من بوابة ومحاط بسـور مبانى عال وابراج حراسة كالابراج السابقة ٠٠ ويدار هذا المعسكر الكبير بواسطة هيئة الادارة ٠٠ القائد ومدير المخابرات والاذاعة بواسطة ميكرفونات معلقة بانحاء المعسكر ٠٠

والعمل جار ليـل نهـار لعمـل انشاءات جديدة وتغييرات فى المعسكر بتحسين أسوار وشق طرق جديدة ٠

ويقول الاسرائيليون ٠٠ أن الانجليز أثناء الوصاية على فلسـطين منعوا اليهود من الهجرة الا فى حدود ضيقة ٠٠ ولكن لتدفق الاعداد الكبيرة من المهاجرين اضطروا للقبض عليهم وسجنهم فى هذا المعسكر ٠٠ ولقد اضطرت العصابات الصهيونية (وهذا تعبيرهم الحرفى) ٠٠ فى هذا الوقت لمهاجمة هذا المعسكر أكثر من مرة وتهريب اليهود المعتقلين فيه لداخل البلاد ٠٠ ثم تحول المعسكر بعد ذلك الى معسكر استقبال للمهاجرين بعد قيام الحكومة الاسرائيلية يمضـون فيه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشـهر لاعدادهم للحياة فى اسرائيل عن طريق تعليمهم اللغة العبرية وأهداف قيام الدولة ٠٠ والخطوط الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية ٠٠ ولقد استقبل هـذا المعسكر أسرى حرب ٥٦ وحرب ٦٧ واستعمل فى الفترة بين الحربين كمعسكر تدريب الشبيبه من ١٢ : ١٥ سنه اثناء الاجازات الصيفية ٠٠ وفى أخر المـدة التى قضيناها كانوا يعدونه ليكون معسـكرا ثابتا للـواء الجـولانى الاسرائيلى أقدم لواءات جيش الدفاع ٠٠

www.alkottob.com

هذه هى عتليت وهذا هو معسكر عتليت الذى قضينا فيه حوالى الستة اشهر ٠٠ معسكر اعتقال بجوار حيفا فى حضن جبل الكرمل مزروع بعناية بالاشجار ومحاط بالابراج من كل جهة وفى كل مكان ٠٠٠ وتقيم معنا فيه قوة اسرائيلية من الرجال والنساء ٠

جلسنا فى صفوف متتالية واضعين أيدينا فوق رءوسنا بتراخ ٠٠ ننظر حولنا باستغراب ٠٠ واستطلاع ٠٠ وبعد الصدمة الاولى استطعنا أن نميز أن الصوت الانثوى ينادى من خلال ميكرفون باللغة العبرية ٠٠ ليسير العمل فى المعسكر وبالتالى نستطيع أن نتصور مدى ضخامته ٠٠

نودى علينا ٠٠ ثم أعطى كل منا رقما أصبح لصيقا به بعد ذلك طول فترة الاسر ٠ الاسير رقم ٥١٧٦٣ هذا هو رقمى ٠٠

وابتدأوا فى العمل منذ اللحظة الاولى التى وصلنا فيها ٠٠ كل منا حمل لوح اردواز عليه رقمه باللغة الانجليزية ثم التقطت لنا صور للحفظ فى ملفاتنا ٠٠

وانتقلنا بعد ذلك لملء الاستمارات ٠٠

اسمك ٠٠٠٠ ؟؟

وحدتك ٠٠٠ ؟؟

سنك ٠٠٠٠ ؟؟

ديانتك ٠٠٠٠

متى أسرت ٠٠٠٠ ؟؟

أين ٠٠٠٠ ؟؟

ثم انتقلنا الى مكان آخر لنسلم فيه الامانات ٠٠ وسلمت نقودى وأخذت أيصالا باللغة العبرية ٠٠ ثم انتقلنا الى غرفة التطهير ٠

نخلع ملابسنا ٠٠٠٠ ورششنا ببودره التطهير ٠٠٠

ثم انتقلنا الى غرفة الدمغ ٠٠ حيث دمغت ملابسنا بالدوكو ٠٠ مربع أصفر على كل ركبة للبنطلون ٠ ومربع آخر على الظهر وعلى صدر السترة علامة بهذا الشكل لـــلـــا وكذلك على غطاء الرأس ٠٠

www.alkottob.com

وأستلم كل منا بطانيتين قديمتين توحيان بأن القمل والبق يجربان داخلهما وان لم نجدهما أبدا ·· ووعاء للاكل من الالمنيوم سميناه سفرطاس ·· ولا أدرى من أين جاء هذا الاسم وهل له علاقة بالاسم الحقيقى أم لا ·· وملعقة ·· أصبحنا الان أسرى حقيقيين ·· لنا رقم ومعنا عهدة ·· والتقطت لنا صور كنت أتمنى أن أراها فبالتأكيد كانت تستحق المشاهده ·· وجلسنا بدون وضع الايدى فوق الرءوس فى انتظار باقى الزملاء ·

مر علينا مجموعات من الجنود الاسرائيليين ·· شباب صغير السن يحملون ادوات أكل تشبه أدواتنا ·· بعضهم يحمل زجاجات غازوزة منلجة ·· برتقال وليمون ·· والاخرون يقضمون فى برتقالة كبيرة ·· والكل لا يهتم بنا فعندهم منا الكثيرون ··

الظل مريح ·· لاشك أن متاعبنا ستصبح أقل ·· ان الوصف الذى سمعناه قد يحمل جزءا من لحقيقة ·· الاسرة ··والمياه البارده والساخنة ·· والمطعم ··· وأدوات التسلية ·· معنى هذا انهم يريدوننا الا نكرههم ·· محاولة للتقرب ·· بل محاولة للتأثير ·· لهذا شحنونا فى عربات الزلط وبهذه الطريقة اللا انسانية ·· لكى نصل الى ما يريدوننا ان نفهمه ·· وهو أننا نعيش فى جنة ·· لا ان العربات كان المقصود بها استعراض أسراهم وخزينا وعارنا ·· وقد يكون للضغط قبل الاستجواب ·· وقد يكون لترك انطباع عن المصريين بأنهم مجموعة من البهائم المتخلفة لدى الشباب الاسرائيلى ·· قد يكون ···

نحن الان فى طريقنا الى المكان الخاص بنا ·· خلف السور يقف مجموعة من الزملاء ·· حضروا قبلنا ·· نظراتهم غريبة ·· خليط من الترحيب والحزن والرثاء ·· حركاتهم خليط من اليأس والكسل ·· لابد أننى أعرف منهم الكثيرين ·· الوجوه لا أرى فيها من أعرف ·· أين أقاربى ·· أين أصدقائى ·· لعلى واجد أحدهم هنا · هنا خير من الموت ·· وهل لا يوجد حل آخر ·· الاسر ·· أو الموت ·· نسبة ضئيلة للنجاة ·

أحدهم يناديني ··· زميل قديم ··· بالحضن ·

ـ الحمد لله على السلامة ···

ـ أى سلامة هذه ···

www.alkottob.com

ـ برضـه هنـا أحسـن ...

ـ كيـف الحـال .... ؟؟

ـ يعـنى ....

ـ بتاكلوا كويس ....

ـ يعـنى ....

ـ أين تنـام .... ؟؟

ـ هنـا ....

ـ على الارض .... !!

ـ نعـم ....

ثم أشرت لادوات الاكل وسـألت ...

ـ ومـا هـذا .... ؟؟

ـ هذا تملؤه ماء .. لان المـاء ينقطع طول اليوم واثناء القفل ....

مستغرب ـ قفـل .... !!

ـ بعد الساعه ٥ بيقفلوا علينا الابواب حتى الصباح ...

ـ وهذه لتأخذ فيها الارز ... وهذه للخضـار ...

ـ ألا يوجد مطعـم .... ؟؟

ـ يا سـلام ... سيأسرونك فى الهيلتون ان شـاء الله ....

ـ ومن الذى يغسـلها ... ؟؟

ـ انت بالطبـع ...

ـ والهـدوم ... ؟؟

ـ انت برضـه ...

ـ هل يوجد صـابون ...

ـ لا .....

ـ دقنى طويلة عايز أحلق وعايز استحم ...

قال ضائقا ـ اصبر يا اخى .. ستعرف كل شىء .. ابحث عن مكان لتنام فيه اولا وبعد ذلك سنرى . دخلنا حوالى عشرين ضابطا الى حجـرة من الحجرات الكبيرة .. كل منا فرش لنفسه بطانية على الارض . وادار الاخرى على هيئة مخدة .. وجلسنا ينظر بعضنا لبعض .

www.alkottob.com

الوجوه اصـابها خيبة الامـل ·· أين الميز ··؟ أين السرايرِ ·· ؟ الحمامات · ؟ على كل حال أحسن من التراب ··· والارض ···

ذهبت لدورة المياه ·· يا للقذارة ·· لا تطـاق صـفان متقابلان من الفتحات تحتها خندق وعلى المستفمل أن يجلس أمام الاخرين يؤدى حاجته ويرى الاخرين ويرونه ·· ويسمع الاصوات ويشم الروائح ·· منظـر لا انسـانى ···

سألت زميلى ـ من هؤلاء ···· ؟

ـ أردنيون ··· وفى الناحية الاخرى سوريون ···

ـ هل يمكن التكلم معهم ····

ـ ممكن ·· ولكن احذر الكلام هنا ·· معظمهم جواسيس ينقلون الكلام

ـ كيـف عـرفت ···· ؟

ـ يقولـون ···

رعب فقدان الثقة ·· ذل··ملل··انتظار ·· تفكير ·· خوف على الاهل ·· توتر شديد هذه هى الحياة هنا ···

ومن الان بهتت الاحداث ·· أصـبحت صـورة مرسومه بالطريقة التأثيرية ··· اذا نظرت لتفصيلاتها لا تجد شيئا ·· ولان من على بعد تستطيع أن تحدد أشكالا ··· كأننا نعيش فى عالم ثابت يخالف عـالم المتغيرات الخارجى ·· ولكن ·· هل يوجد ثبات فى هذه الحياة ··· ؟

لقد كانت هنـاك تغييرات لا نشـعرها ·· كأننا فى مركب بعرض البحـر ·· لا نـرى الا المـاء من كل جـانب فى الخـارج ·· ولا نـرى الا انفسنا ·· نفس الوجوه ·· ونفس الاشكال من الداخـل ·· ويمر يوم ·· يومان ونشـعر أن المركب لا تتحرك ·· ولكنها تتحرك فعـلا وحتما سنصل الى شكل آخر ·· متغير ·· بعد ساعة ·· بعد شـهر ·· بعـد سنة ·· ولكن حتما سيحدث تغيير ·· لان الارض تدور ·· ومع دورتهـا تتجدد الحياة وتتغير ·· هل شعرت طول حيـاتك بأن الارض تدور ·· أنا أشعر الان ·· بأن الارض تدور ··· أشعر بأن الارض تدور ·· وهـذا أملى ·· والا سأبقى هنا للابد ··

www.alkottob.com

جلست على بطانيتى المفروشه ٠٠ قرفصت ٠٠ رقدت ٠٠اعتدلت ٠٠ جلست ٠٠ ربعت ٠٠ ماذا افعـــل ٠٠ ؟ ٠٠ هل ســـــابقى هكذا مهمتى النوم ٠٠ والنوم ٠٠ والنوم ٠٠ تنابلة السلطان الذين كنا نسمع عنهم فى الحكايات ٠٠ اريد أن أحلق ٠٠ أن أغسل رأسى ووجهى ٠٠ أن استحم ٠٠ أن اكل ٠٠٠

وخرجت من الحجرة الى الفناء الخارجى ٠٠ ادخل الجنـــود وعاءين كبيرين من البطاطس واللحم والارز ٠٠ اندفع الضباط كل يحمل فى يده أدوات اكله لاخذ نصيبه ٠٠ كل منهم يحاول ان يحصـــل على اكبر جزء من الطعام ٠٠ الضباط تتضارب ٠٠ تتشاتم للوصـول للاكـل ٠٠ الاكـل يقارب على الانتهاء ٠٠ رائحة الطعام تحرك أحشائى ٠٠٠ أفرز كمية هائلة من اللعاب ٠٠ أبصق ٠٠ الضباط يزداد هيـــاجهم كلما قلت الكمية ٠٠٠ الجنود الاسرائيليون يتجمعون خلف الاسوار يتفرجون علينا ٠٠ ضـــابط ذو رتبـة كبيـرة يصـــيح فى الضـباط ٠٠ انتم همـج ٠٠ احنـا ناس متعلمين ٠٠ وعسكريون تعلمنا النظـام حتى فى الاسر نقف طـــابور ٠٠ يوقفهم فى طابور ويقف فى أول الصف لاخذ نصيبه ٠٠٠ ينصرف تعـــود الفوضى ثانيا كما كانت ٠٠ ماذا حدث للرجال ٠٠ نحن فى غابة ٠٠ لكى تعيش لابد وأن يكون لك قدر هائل من العضلات ٠٠ والصـــوت القـــوى العالى ٠٠ والبجاحة الكافية لرد شتائم الاخرين يأقذع منها ٠٠ هل معنى ذلك ان الانسان يرتد الى طبيعة الغابة والتوحش مع أول فرصـــة تواتيه للتخلص من قيود المدنية المفروضة عليه ٠٠ أم هل هى طبيعة شـــعبنا وان الحضارة لدينا قشرية تزول بسرعة مع أول اختبار ٠٠ هل كل شـــعوب العالم بهذه الطريقة يتصرفون ٠٠ لو كان هؤلاء أسرى انجليز ٠٠ امريكان ٠٠ روس ٠٠ فرنسيين ٠٠ بل ٠٠٠ ؟؟

اسئلة كثيرة صدمتنى وانا اناضل للوصول الى قدور الطعام لاخـذ حبات قليـــلة من الارز والبطاطس وقطعة لحم ٠٠ أهدىء بهـــا صراخ معدتى ٠٠ وضـعت الادوات بجـوارى بعد ما فرغت من الاكل وحـاولت ان اتابـع حديثـا دائرا بين الرائد عـادل والـلازم محمـد وهـو ضـابط من كتيبته ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ هو مفيش أكل يا محمد ولا ايه ... ؟
ـ زحمة يافندم على القزان ...
ـ طيب م تاخد تجيب لى أكلى ...
ـ والله يضربونى .. يفتكروا أنى حاكل مرتين ...
ـ يعنى لازم أروح بنفسى .. أيه المغلب ده ...
الرائد توفيق يتدخل فى الحديث ...
ـ لو لقيت أكل .. الاكل خلص خلاص ...
ـ يعنى أيه .. تعينى مين اللى اكله ...
ـ فوضى شـــديدة ...

يخرج ثم يعود متحسرا هائجا .. الشعب الهمج ده .. تصور فعلا الحلل فاضية .. لا .. لازم يتنظم المعسكر ده .. اذا م كناش عارفين ننظمه اليهود ينظموه .. يرضى مين انى أفضل جعان .. ويتجمع الرواد فى حجرة من الحجرات للمناقشة .. الحجرة مزدحمة جـدا .. أصـــوات عالية حرقهـا الجوع .. فصغار الضباط بفتوتهم استطاعوا الحصـول على اكبر جزء وتركوا الكبار بدون اكل ..

المناقشـــة تزداد سـخونة ...

ـ أنا دفعـــة ٥٢ ...
ـ لكن أنا فى اول الدفعة ...
ـ رقم أقدميتك كام ...
ـ يبقى صفوت أقدم الضباط ...
ـ لا عبد الله الاقدم ...
ـ أنا ياسيدى متنازل عن اقدميتى ...
ـ خلاص صفوت ينظم الموضوع بتاع الاكل ...
ـ أنا لا أتحمل المسئولية منفردا .. يجب أن نقسمها بالتساوى ..
ـ ياصفوت لازم تقوم بدورك ...
ـ أنا مقلتش حاجة .. لكن تتحملوا المسئولية معايا .. احنـا عنا كلنا أســـرى ...
ـ يرضيك العيال ياكلوا أكلنا ...
ـ نقسم المعسكر لمجموعات ويتولى القيـــادة فى كل مجمـوعة أقدم رائد ...

www.alkottob.com

ـ والتعيين ياصـــفوت ...
ـ المشكلة مش مشكلة تعيين .. المشكلة اننـا امام نظر وسـمع العدو ... ولابد أن نظهر بمظهر مشرف ..
ـ العدو اختبرنا جيدا فى الايام السابقة ويعرف من نحن ...
ـ مش مبرر اننـا اتأسرنا وانهـزمنا اننا نستسـلم للفوضى .. شرف بلدنا وحضـــارتنا متوقف على مظهرنا هنـــا .. لابد من السيطرة الكاملة على المعسكر لذلك أقترح أن يصبح أقدم رتبه فى كل حجرة مسئولا عن خجرته .. وأقدم رتبة فى كل بلوك مسئولا عن بلوكه .. وتقسم البلوكات الامامية بقيادة والخلفية بقيادة ..
ـ ما لزوم كل هذه القيادات ...
ـ لزومهـا اننـا نبقى بنى آدمين مش وحـوش .. بلدنا عـرفت التقسيمات الادارية من خمسة آلاف سنه ...
ـ والتعيين ياصفوت ...
ـ أقدم ضابط فى البلوكات الامامية يعاونه طقم توزيع رئيس شئون ادارية وضباط للتوزيع .. رئيس الشئون الادارية يستلم تعيين البلوكات والضباط توزعه تحت اشرافه ..
ـ طيب موافقين .. الرائد يحيى يصـــبح مسـئولا عن البلوكات الخلفية ..
ـ والرائد فريد يصبح رئيس الشئون الادارية للبلوكات الامامية ...
ـ وأنا شـايف ان الفوضى التى نعيش فيها نتيجة لقلة الوعى ... ومن رأيى اننا نعمـل ضابطا للتوجيه المعنوى والرائد ثروت أتدر الموجودين فهو ...
ـ موافقون ... موافقون ...

وانفض الاجتماع بعد ما تكونت الاسـس التى سـتحكم المعســكر وتديره .. هذا الشكل أكثر تمدنا .. والا أصبحنا وحوشا نتصـــارع .. ولكن ترى هل ستنجح هيئة الادارة الجديدة ..

الساعة الخامسة .. العشاء .. قزان به طعـــام ابيض .. الرائد فريد يستلم القزان ويستلم خيارا وطماطم وبصـــلا .. وارغفة طـــويلة

www.alkottob.com

متضخمة تشبه عيش التوست ·· ضباط الشئون الادارية وأطقم التوزيع تستلم الطعام ·· الضباط يتجمعون حولهم ·· الرائد يحيى يصرخ ·· الضباط تتشاجر معه ·· يدورون على الحجرات ·· الضباط تتجمع عند كل حجرة ·· تتدافع ·· تتصايح لم ينسوا درس الغذاء ·· العشاء ملعقتين من الطعام الابيض وخياره أو طماطمية أو بصلاية ·· ورغيف عيش للاكل على ثلاث وجبات ···

الطعام الابيض له طعم الجبن ·· أو اللبن الرايب ·· أو اللبن الزبادى ·· نتناقش طويلا حول ما هو ·· الرائد توفيق يقول انه شربة جبنة ·· الرائد عادل يخطف طماطمية كبيرة ·· لقد كان الرائد الذى اختطف علبة السجائر فى العربة ·· وجوه كثيرة أراها لاول مرة ·· احاول أن أحفظ اسماءهم ···

الجنود الاسرائيليون يدخلون المعسكر ·· يصفقون بأيديهم ·· يحملون رشاشاتهم مصوبة نحونا ·· آن وقت القفل الضباط يدخلون حجراتهم ·· الجنود الاسرائيليون يتممون على الضباط بالحجرات ·· يقفلون الابواب من الخارج بالاقفال ·· التعليمات أن تبقى الاضاءه طول الليل بالحجرات ·· لا تطفىء الانوار ·· الليل يحل ·· الشيخ محمد الذى شرب بوله يقوم ليصلى ·· أحاديث ثنائية اسمع منها خرم ·· أبو عجيلة ·· اللواء العاشر ·· اللواء المدرع ·· العقيد ·· العميد ·· الرائد ·· الطيران ·· الحرب ·· اليهود ·· القتل ·· العطش ·· الموت ·· الاسر ·· أصوات فى الحجرة المجاوره ·· الله ·· الله الله ·· الله ·· حلقة ذكر ·· ادعية ·

ـ ما هذا هل ستقاوم اليهود بالذكر ··

ـ ابتسامات خفيفة لا تصل الى ضحكات ·· نتثاءب ـ أريد أن أنام ·

ـ لكن قائد الكتيبة ورئيس العمليات راحوا فين ··· ؟

ـ هربوا زى الباقين ···

ـ ولا الضابط اللى أخذ العربية وجرى ···

ـ ـ ربنا ينتقم منهم ··· فهم السبب ···

www.alkottob.com

ويمر الليل بطيئا نتقيأ فيه ما حدث لنـــا فى ســـيناء ·· وكيف أسرونا ·· وكيف نجونا من الموت وكيف خانوا ·· وكيف ·· وكيف ·· حتى نسقط من التعب نائمين ··

فى السادسة صباحا ·· يفتح الحراس الابواب ·· ويتممون علينا ·· ثم يتركوننا لنذهب لحورات المياه ·· الماء يسمح به ساعتين صباحا ·· وســاعتين قبـل قفــل البوابة ·· وحول الحنفيات نتجمع لنغســل أوعيتنا وملابسنا ونملأ الاوعية الخاصة بالماء ··· ثم نرتب بطانياتنا ونجلس فى الحجرات لنعود الى اساطيرنا القديمة عن الحرب ··

تعرفت به ملازم أول شاب ·· أسمر ·· طيب ·· رياضى ·· أسمه بيومى ·· منذ تخرج من الكلية الحربية وهو يعمل باليمن ضابط استطلاع·· كان ذكيا ولماحاً ·· كان يقص لى قصته ·· لقد أحضرونا من اليمن ·· ركبنا القطار المتجه للقاهرة ···· بمهماتنا وكل ما احضرناه من اليمن ·· الثلاجات ·· والريكوردرات ·· والتوينزات ··· وفجأة صدرت الاوامر لسائق القطار بالدوران والعودة ·· ثم أتجه الى ســـيناء ·· فالعريش ومنها ذهبت رئاســة اللواء وكتيبة الى منطقة بجوار الحسنة اسمها خرم ··

ـ مين قائد اللواء ··· ؟
ـ العميد خيرى ···
ـ انت كنت فى اللواء ١٢٠ ··· ؟
ـ آه ··· ···
ـ انت ضابط استطلاع ··· ؟
ـ آه ··· ···
ـ منذ رأيتك وأنا احاول أن أتذكر اين رأيتك قبلا ·· الم تستلم منى المطارات التى أعددتها لطائرات المشـــير ··
ـ آه ·· آه فعـلا تذكرتك ·· بعد ذلك ضربتنا الطـائرات الاسرائيليه بالنابلم ···
ـ وكانت لنا كتيبة متأخرة ·· اصطادوها عند الكيلو ١٦١ ·· وهى فى طريقها لخرم ·· لم ينج منها احد ···

www.alkottob.com

ـ فعـــلا ·· قالو ان خرم كانت مضروبه بالنابلم ···

ـ يوم ٦ يونيو العميد خيرى ورئيس الاركان ذهبوا لقيادة الجيش أخذوا أمر الانسحاب فأرسلوه لنا مع سائق عربة الاستطلاع لنخبر الوحدات ·· وكلفنى قائد الاستطلاع بتبليغ الكتائب ·· ضللت الطريق ولم أستطع العودة فأول مرة أدخل سيناء ·· وأخيرا ·· قبضوا علينا بدون مقاومة ·· ولا طلقة ··· !

ـ نفس القصة ·· العميد خيرى فعـــلا لم يكن مقتنعا منذ البداية بما يحدث ··

زهقت من حديث الحرب والهرب والانسحاب ·· ومع ذلك لم أستطع ان أتخلص من سماع القصص صباحا ومساء ·· كان لابد أن نتكلم ·· كان لابد وأن نشتكى ··

أنا قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات فى اللواء ١١٨ ·· كان علينا حماية المثلث عند الكيلو ١٦١ ·· أنا سريتى ممتازة ·· كانت السرية الاولى فى الفرقة ·· فى كل الاختبارات كنت أحسن قائد سرية مدفعية مضـــادة للدبابات ·· كنت تدخل مكتبى نفسك تتفتح ·· داهنه زيت وفارشـــه بأرضيات خشب بتاعة العساكر ·· كانوا زيادة فى العهدة ·· ومجلد المكتب بورق ضرب نار ·· كنت ضـــابطا ممتازا ·· والله ·· لكن الجيش ·· غريبة ·· تصور قالوا انسحبوا الى مكسر القناجيل ·· أرض كلها رمـل وغرز العربيات غرزت ···زقيت المدافع بأيدى ·· ونصـــبنا المدافع ·· مواتير العربيات فوتت عربيات خفيفة بتشد المدفع بصـــعوبة ·· فى الغرز لازم تفوت ·· المهـم ·· الجنـــود فى الخـط الاول انســـحبوا ·· من ابو عجيلة ·· غرقانين دم ·· مفيش فايدة ·· الخطوط تنهار بسرعة ·· جنودى روحهم المعنوية انهـارت ·· وفى وسـط الهيصة دى ·· قالوا لا ·· ارجعوا تانى ·· أزاى نرجع ·· السرية انفرطت ·· لم أسـتطع السيطرة عليها ·· نصف المدافع فى الغرز ···والجنود فقدت حماسها ·· والقيادات فقدت سيطرتها علينا ··· سهرنا طول الليـــل نســـمع الضرب والطلقات الكاتمة ·· قائد كتيبة المشـــاة الذى كنا نعـاونه مشى · الناس كلهـا انسحبت بأوامر ·· بدون أوامر ·· لا أعرف ·· لم أجد فى مركز القيـــادة قائدا واحدا ·· رجعت ·· حرقت أوراقى ·· ولكن نسيت شـــانون كان

www.alkottob.com

به مذكرات فرقة قادة السرايا ٠٠ ومذكرات طبعتها مدرسة المشـــاه ٠٠ ومذكرات فرقه المساحة ٠٠ كانت ممتازة كنت مجلدها ٠٠ ومهتم بهـا ٠٠ نسيتها فى الشانون ٠٠

سالته ـ انت قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات ٠٠ فى ايدك أقوى سلاح لضرب الدبابات التى أرعبتنا كلنا ٠٠ المفروض الاتخاف منها ٠٠ ما الذى أخافك ٠٠ لمـــاذا لم تمت فوق مدفعك ٠٠ لمـــاذا لم تنتظر حتى تستعمل مدفعك ٠٠ على الاقل كنت ستضرب دبابة ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ٠٠ أى حاجة يشعرون اننا بنقاوم ٠٠ هذا شـغلك ٠٠ حياتك ٠٠ ليه ٠٠ ؟؟

وايه يعنى دبابة ٠٠ وايه يعـنى لمـا نقـاوم ما كـان ســيحدث أنى سأموت أنا وطقمى بعد أول طلقة ٠٠ حتى دون أن نصيب ٠٠ فى المدفعية شىء اسمه تصحيح ٠٠ بنضرب أول قذيفة ٠٠ وبعد ذلك نصحح عليها ٠٠ المفروض أن نعمل فى وسـط مجمـــوعة تحمينا ٠٠ تضرب معانا ٠٠ المدفع له لهب قوى جدا يكشف موقعه من أول طلقة ٠٠ ونضرب بعد ذلك ٠٠ واذا كان القادة هربوا هل سأكون أكثر منهم حماسا ٠٠ كلهم هربوا ٠٠ كفاية الويل الذى وجدناه طول الطريق ٠٠٠

مشيت ٠٠ أخذت معى زمزمية وزجاجة كولونيا ٠٠ وعلب فول ٠٠ وغيارين فى شنطة ٠٠ الطريق أعرفه جيدا ٠٠ أذا استمريت فى السير سأصل الى الاسماعيلية ٠٠ مشينا انا وآخرون ٠٠ حوالى عشرين كيلو ٠٠ الدبابات ضربت كلها ٠٠ أوغرزت ٠٠ الورشة كانت محروقة ٠٠ قلنا نستريح قليلا فيها ٠٠ دخل اليهود بعرباتهم ضربوا المعسكر كله أسرونا ٠٠ بينهم بنات زى القمر ٠٠ منهن واحده قربت منى وسألتنى انت من الظاهر طلع عليه ؟ولع سيجاره من سجايره ٠٠ نمنا على الارض ٠٠ العربات تدور وتتجه نحونا بسرعة من بعيد ٠٠وتفرمل عندنا ٠٠ قبلنا ببوصات ٠٠ كنت بتكلم انجليزى زى اللبلب البنت أحضرت لى كوبا من الليمونادة المثلجة ٠٠ استجوبونى ٠٠ قلت أنى ملازم جديد لا أعرف شيئا ٠٠ ضربنى بعصاية فيها مسـامير ٠٠ عندهم خريطة لسيناء **بالكامل مكتوب عليها بالعبرى** ٠٠ كانت أياما سوداء ٠٠

أنا كنت فى لواء مدفعية ٠٠ بين خرم والمطله ٠٠ كنا مجموعة اللواء ياقوت ٠٠٠ أقدم الاسرى ٠ معانا هنا ٠٠ كنا ثلاثة لواءات مدفعية ولواءين

www.alkottob.com

مشـاة احتياط ·· كان واجبنا مصيدة للدبابات اليهودية ·· كنا فى مكان لا يعرف عنه شيئا ·· لم نر الحرب يوم ٥ ، ٦ يونيو ·· وكأننا لواءات لجيش آخر ·· يوم ٧ يونيو اتصلت بنا القيادة من وهران الساعة ٤ ظهرا ، وهران ·· القيادة سقطت صباح يوم ٧ يونيو الساعة ١١ على وجه التحديد

ـ انتظـر حتى تعـرف باقى الحكـاية ·· الو ·· ياقوت ·· هـل تستطيع الانسـحاب الى الحسنه ·· قلنا ·· نسـتطيع ···

بعد نصف سـاعه ··· الو ·· الوياقوت طريق تمادة مؤمن انسحب عليه ·· اللواء ياقوت الحقيقة عمـل انسحاب تكتيكى كما هو موجود فى الكتب ·· بعد آخر ضوء ··· لواءات المشـاة أولا ·· وبعدها لواءات المدفعية ·· والاضاءة مقيدة ·· وخرجنا من حفرنا ·· وانطلقنا فى الطريق لتمادة ·· وبالقرب من تمادة ·· وجدنا سدا ترابيا ·· وباعث ضـوء ·· ورشـاش متوسـط ومدفع هاون ·· عندما اقترب القول من السد ·· تسلطت علينـا اضـواء البورجكتور ·· **ودخلنا فى دور من الفوضى العجيبة** ·· الهـاون والرشـاش ابتدا فى الضرب والناس لم يستطع اى قائد أن يسيطر عليهم ·· دلهم ضغطوا على السد · **وابتدأو يضربون بعضهم بعضـا** ·· وانتهت تماما السـيطرة على اللواءات الاحتيـاط ··

قائد اللواء مسكين ·· كان واقفا فوق عربته الجيب ينادى ويصرخ ·· ولكن لا مجيب ·· تداخلت اللواءات بعضها داخل بعض ·· وأخيرا ·· فك أحدهم مدفع وعمره واطلقه فى اتجاه البروجكتور ·· طلقتين ·· احضرنا بعد ذلك بلدوزر ·· فتح ثغرة فى السـد وتحركنا ثانيا على الطريق ·· لكن فى فوضى غريبة ·· بعد حوالى مائة او مائتين من الامتار وجدنا سـدا آخـر ·· ونفس الطقم ·· وهذه المرة كانت كافية لينفرط عقد خمسة لواءات ـ كان من المفروض أن تكون مصيدة دبابات ·· وفى داخل الصحراء المحيطة بطريق تماده وعلى الجانبيين ·· انطلق كل منا يبحث عن طريق للعودة ·· وفى اليوم التالى كانوا يجمعوننا مثل السمان المنهك بعد رحلة طويلة ·· ويسقط فى أول شبكة مفرودة على الشـاطىء ··

ـ مش معقول الناس دى كانت فهمانا بالشكل ده ····

ـ ولاد ·· عرفوا انهم لو هاجمونا فى خنادقنـا ·· كنا كبدناهم

www.alkottob.com

خسائر شـديدة · كانوا خسروا ·· فكروا يدمروننا بأيدينا ··
هذه هى الحرب الحديثة ··· بالطبع لا يوجد مبرر لاقول ان الاشارة
التى ارسلتها القيادة فى الحقيقة ارسلتها القيادة الاسرائيليه من
مركز قيادتنا وعلى أجهزة اشـارتنا بعد ما انسحبت القيادة وتركت
الاجهزة والخرائط ·· والشـفرة ·

ـ منتصرون ·· يبتكرون ويخططون ·· وينفذون بجراءة ·· كنت
قائدا لسرية مهندسى اللواء العاشر مشـاة ·· وهو لواء مستقر منذ مـدة
طويلة فى القسيمة ·· يوم ٤ قرروا تغيير مواقعنا وتكثيف حقول الالغـام
لذلك أخذت ٥ عربات لصرف الغـام من العريش وفرصـة اكلمهم فى البيت
من السنترال ·· صرفت الالغام ونمت الليلة فى النادى ·· صباحا كلمتهم
من سنترال العريش وفى الطريق للقسيمة هاجمنا الطيران ·· قفزت خـارج
العربة وبعد ذلك بدقائق انفجرت عربة تلو الاخرى ·· قنابل ذرية ·· تخيل
عربة محملة بالالغام وتنفجر ·· ضللت الطريق فى الصحراء ·· حتى ورمت
قدماى من المشى ·· وكدت أموت من العطش ·· التقطتنى دورية اسرائيلية
قلت لهم أشرب ·· قالوا أمش لن نسقيك ···· قلت لهم لازم أشرب ··
خذونى معكم أو أسقونى ·· وتشبثت بهم ·· حتى أخذونى ··

انت كنت ستموت من العطش ·· أنا كنت سأموت من الشرب ··
كنت قائدا لنقطة مياه قرب عين الجديرات بالقسـيمة كل الناس بتشـرب
من عندى ·· حتى يوم انسحبوا جميعا ولم يخبرونى أنهم ينسحبون ··
تقولش رمية · فى الزنقة يعرفوننى وفى المصلحة يتركوننى المهم دخلت المدرعات
الاسرائيلية القسيمة ·· وقبضوا على ·· سألنى قائد المدرعات فين التنكات
·· أنا فاكر تنكات المـاء ·· أشرت له عليها ·· قال لى لا التنكـات ··
واخيرا فهمت أنه يقصد المدرعات عندما اخذنى لاحدها واشار لى عليها ··
ثم قال اين التنكات الخاصة بكم ·· قلت له ·· لا اعرف انسحبوا وتركونى
·· أخذنى لفناطيس المياه تخيل انوثـا مسممة ·· وأجبرنى على الشرب
من كل فنطاس وكميات كبيرة حتى كدت أن أموت من كثرة الشرب ···

أما نحن فقد كنا فى ابو عجيلة ·· كنت قائد الورشة فى نهـاية ابو
عجيلة ··· وابو عجيلة محصنة جدا ·· ولا يمكن اختراقها من المواجهـة
أبدا ·· طلب القائد تدعيم لواء مدرع ·· واجابت القيادة أنه قادم لنا لواء
··واتفقنا أن اشـارة التعارف هى أن يدخل مضيئا انواره ···

www.alkottob.com

- ودخل مضـيئا أنواره حتى وصـل الى الورشـة فأطلق المدفعية ٠٠ فلقد التقطت القوات الاسرائيلية الاشـارة ودفعت لواءا مدرعا مضيئا أنواره استقبلناه بالاحضان ورد علينا بالنيـران ٠٠٠٠

وهكذا مضت الايام الاولى من الاسر كل منا يتكلم عن ماسـاته ٠٠ متصورا أنها المـأساة الوحيدة ٠٠ ولا يمل من سردها أبدا ٠٠ حتى حفظنا جميعا كل القصص ٠٠٠ حتى التصرفات الصغيرة منها ٠٠و كنا نجد لذة فى الرواية ولذة فى السماع ونسهر حتى أوقات متأخرة من الليل نعذب أنفسنا ٠٠ بين الاهات والزفرات الحارة الحزينة ٠٠٠٠ واصبحنا نكملها عنـدما يسردها صاحبها ٠٠ ثم سـاد بيننا صمت مفاجىء عن رواية اساطير الحرب٠٠

خـلال الاسـبوع الاول لم تحدث أحـداث هامة عـدا تنظيم الادارة للمعسكر واعتيادنا على النظام الجديد سـوى بيان المخابرات الاول ٠٠ وهـذا البيـان له قصـة ٠٠٠

فى نهاية الاسبوع الاول وحوالى السـابعة ارتفعت أصوات الميكرفونات على غـير العـاده ليتكلم المذيع باللغة العربية فى صوت ضخم قائلا « أيهـا الضباط والجنود بالجيش المصرى اليكم هذا البيان ٠٠ » ثم صوت الرئيس عبد الناصر ٠٠ يقول « لقد فقدنا اكثر من ثمانين فى المـائه من معدات الجيش وأنه لم يكن موجودا من يدافع عن قناة السويس » ٠٠ ثم صـوت المذيـع ينعى الجيش المصرى ويرجع ذلك الى شخصية الرئيس العدوانية النزقة ٠٠ ثم نسمع صوت عبد الناصر قائلا « أنا المسـئول عن كل ما حـدث » ٠٠ ويتركنا البيان معـلقين ٠٠ لا نعـرف ماذا يحدث فى بلدنا ٠٠ هـل حقـا عبد الناصر الذى قال هذا الكلام ٠٠ هل هذه مسرحية متقنة ٠٠ هل معنى ذلك أن الجيش قد تدمر ٠٠ وأن اليهود قادرون فعـلا على الوصـول الى القاهرة ٠٠ وتذكرنا ما كانت الاذاعه الاسرائيلية تذيعه فى بداية الحـرب كانوا يوجهون نداء يقول « أيهـا الجندى المصرى نحن لا نريد بك أذى ٠٠ عندما تشاهد جنود جيش الدفاع الاسرائيلى الق سلاحك وارقد مادا يديك أمامك وجنـود جيش الدفاع لديهـم الاوامر بأن لا يصـيبوك بضرر ٠٠ وستقضى فصل صيف ممتع على ضفاف البحر المتوسـط فى ضيافتنا) نداء يحمل قدرا هائلا من الصفاقة لمن يسـتمع اليه فى بداية الحرب ٠٠ ولا يترك الا ابتسامة خفيفة اذا كنت مؤدبا ٠٠٠ ولكنه يصبح شيئا يمكن التفكير فيه بعـد الاسـر ٠٠

www.alkottob.com

ودارت المناقشـــات بعد انتهاء البيان ·· معنى ذلك أننا هزمنا فعـــلا ·· هذا اعتراف صريح من عبد الناصر ·· وكأننا فوجئنا بالهزيمة ·· وكأننا لم نعش المـأساه ·· ·· كان عندنا أمل ·· أى أمل ·· وانتهى ·· لكن هل عبد الناصر هو المسئول الوحيد عما حدث بالتأكيد هو شريك ·· ولكن النظام بالكامل مسـئول ·· الجيش ·· والاعلام ··· ومجلس الامة الذى حل نفسـه فى وقت الشـدة ·· والاتحاد الاشـتراكى الذى لا وجود له ·· ونحن ايضـــا ·· مســـئولون ···

رد اخر ـ يابنى دول مجانين ·· أصيبوا بجنون العظمة ·· وطغوا وفســـدوا هذه هى النتيجة ·· شـمس بدران ده ·· كان ·· الاها ·· كان متحكما تماما فى كل شىء ·· النظام كله يجب أن يتغير ·· يجب أن نعود لديننا ·· ولتعاليمه ·· ولأخلاقه ·· فين عبد الناصر ·· من سيدنا عمـر ··· سيدنا عمر ·· كان عنده جلابية واحدة ·· كان بينام تحت الشجرة ونعله تحت رأســه ·· « عدلت فامنت فسـلمت فنمت يا عمر » ··

ـ يا أخى هو ده وقت مواعظ ·· المهم أيه الحل ··· ؟!

ـ الحل تناموا وتتركونا ننام ·· يا ناس ياهوه الواحد لا يستطيع أن ينام سـاعتين ··

وبعد هذا البيان بأيام قليلة اذيع البيان الثـانى ·· وكان حديثـا مسجلا بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين ·· بالتليفون اللاسلكى ··

ـ الانجليز والامريكان هم اللى سـاعدوهم والا الامريكان بس ··

ـ الانجليز والامريكـان ··

ـ على كل حال ·· شـد حيل جلالتك ·· احنا مبسوطين من الموقف المشرف لجلالتك ·· وهى الحرب كده ·· خسـارة ومكسب ·· ثم ··· ··· (كـلام غير مفهوم) ··

ـ جلالتك تصدر بيانا واحنا نصدر بيانا وحنقول للسـوريين كمان يصدرون بيانا علشـان نحمى الموضوع ··

ثم يتلوه المذيع معلقا على هذه المحادثة ·· بأن الانجليز والامريكان لم يحاربوا معهم وأن الحرب كانت بواسطة جيش الدفاع الاسرائيلى ·· ونتيجتها ·· نتيجه لقوة تدريبه وعظمة قيادته ·· وأن موضوع التدخل الخارجى ما هو الا محاولة للتخلص من الازمة ·

www.alkottob.com

ودارت المناقشات واحتدمت فلقد كنا كمن يعيش فى سرداب مظلم من العالم ... عجيب أمر انسان هذا العصر .. ان تعوده على أن يستيقظ كل يوم فيقرأ أخبارا جديدة عن العالم .. أو يفتح الراديو فيعرف ما يدور بأقصى الارض أمر جديد عليه حضاريا ... ومع ذلك فانقطاع الجريدة أو نشرة الاخبار تشعرنا بأننا نعيش فى سرداب مظلم مقطوع عن العالم .. كيف كان يعيش البشر قبل وسائل الاعلام ياترى ..

لذلك جددت هذه البيانات أوجاعنا .. وأجبرتنا على التفكير وكثرت المنازعات والمناقشات ...

- ليس هذا صوت عبد الناصر ...
- لا .. صوته وأنا سمعته من قبل فى الراديو .. نفس المكالمة ...
- يريدوننا .. أن نفهم أنهم انتصروا منفردين ...
- هذا حقيقى .. هل رأيت طيارة انجليزية أو امريكية ...
- نحن بين أيدى أعداء تذكروا ذلك ...
- عايز عبد الناصر يكرر مسرحية ٥٦ ويخرج منتصرا ويحول الهزيمة والأنسحاب لنصر .
- هل فقدنا الثقة تماما فى بلدنا ..

هكذا كانت حياتنا .. فى الاسابيع الاولى .. وكلما هدأنا قليلا حركتنا المخابرات الاسرائيلية ..

فى يوم .. صحونا لنجد فى لوحة الاعلانات فى مدخل المعسكر صورة زنكوغرافية لجريدة الاهرام .. وفيها مقال لاحمد حسنين هيكل من سلسلة مقالاته « بصراحه » يقول فيه أن الجيش الاسرائيلى كان يحارب بطرق علمية اكسبته النصر وهى طرق عالية معروفة فى الحرب من حشد ومناورة وتثبيت وتطويق .. وأن القيادات المصرية اصابها الذعر والارتباك فلم تستطع الصمود ....

وبعد ذلك بأيام قليله وضعوا مقال لاحمد بهاء الدين فى المصور .. عن ضرورة قيام دولة عصرية فى مصر .. وأن السبب فى الهزيمة أننا لم نكن نأخذ امورنا بمقاييس الدولة العصرية .. وأنه مستحيل أن يؤمن عامل بالاشتراكية التى يتحدثه عنها رئيس مجلس الاداره ذو العربه وجهاز التكييف

www.alkottob.com

والملابس المستوردة ·· وأنه لكى يؤمن الشعب بضرورة شـد الحزام لابد وأن يرى شـد الحزام هذا عمليا على قيادات العمل السياسى والمهنى ··

وكانت هذه المقالات أيضا ·· تولد مناقشات حادة جدا ·· فلم نكن نتصـور انه وفى نهاية حرب كهذه يستطيع كاتب مهما كان أن يقول ما يقولانه ·· البعض قال انها نسـخ مزوره ويدلل على أنه بعد الانفصال طبعت سوريا صورة مزورة من جريدة الاخبـار تحمل خـبر حدوث انقـلاب فى مصر ·· ووفاة عبد الناصر والمشير ·· مما حدا بجلال هريدى أن يضعف ويسـب الحكم وفسـاده فى التليفزيون السـورى ·

ويرد أخرون ·· بل هو أسلوب هيكل فعـلا وأسـلوب بهـاء الدين وهذه ليست بكذبة ··

- ممكن تقليد الاسـلوب ···
- الكـلام معقـول ···
- وهل معقول أن يكتب فى مصر ···
- من أدراك ما يحدث الان فى مصر ···
- لقد تأثرت بدعاية العدو ·· وفقدتم روحكم المعنوية ···
- وانت مغلق الفكر ولا تريد أن تفهـم ···
- سنعود فى يوم ما ·· ونعرف الحقيقة ····
- سـنتقابل ·····!!

وكان النقاش لا ينتهى ·· حلقات مناقشة متتالية ·· لكل منا وجهة نظر ·· وقدرة على التحليل والفهم والعناد ···

وفى الايام الاخيرة من الاسابيع الاولى ·· احضروا لنا كتابا كتبه مندوبو وكالات الانباء يحكى قصـة النصر العسكرى الاسرائيلى ·· حوالى عشر نسـخ ·· وتركوها فى غرفة القيادة ·· ذهبت لاستعير نسـخة ·· فرفض الرائد صفوت اقدم الضباط ·· واحالنى للرائد ثروت الذى حاول أن يفهمنى بأنها كتب مسـممة لافكارنا ·· ثرت ثورة شـديدة ·· قائلا ·· لمـاذا تنصب من نفسـك وصيا على فكرى ·· لمـاذا تتخيل أن قدرتك على الفهم تفوق قدرتى ·· أرجوك اعطنى كتابا ··

www.alkottob.com

ـ هل تتحمل مسئوليته فى مصر ...
ـ أتحملها .. هات الكتاب .....

وقرأته ـ كان يقص قصة الحرب .. والمعارك المختلفة .. مبالغا فيها .. ومحاولا ـ فى نفس الوقت أن يدعى بأن الجيش الاسرائيلى خاض معركة حقيقية وأنه لولا كفاءته التى لا تدانى .. لما حقق النصر ..

وكنت دائما ما أقول .. حقا أنه حقق نصرا يفوق أقصى تصورات اللواء مرد خاى قائد الطيران جنونا .. ولكن السبب لاننا أيضا نقنا أقصى التصورات جنونا فى الفوضى وعدم التخطيط والارتجال والغرور ... ان الانتصار الاسرائيلى فى حقيقته هزيمة عربية ... فقط ...

تشبعنا فى الايام الاولى .. حتى كدنا ننفجر يأسا وحزنا ... لا حديث سوى حديث المعركة ولا تصور الا تصورها .. ولا شىء سوى ماذا حدث لنا .. حتى يوم ٦٧/٦/٢٣ .. حدث تغيير خطير .. فأجهزتنا العصبية لم تعد تحتمل التوتر التى ما لا نهاية .. ولذلك فقد حدث الضد .. سهرنا طول الليل نحكى نكتا ونضحك ... ونضحك .. ونضحك بأصوات عالية كأننا فى حفل سمر .. محاولين لا شعوريا أن ننسى مأساتنا .. وكانت هذه الليلة .. وبصورة متفاوتة فى الحجرات المختلفة انتشرت موجات الضحك واللامبالاة .. وابتدأنا نلاحظ الصوت الانثوى الذى ينادى فى الميكروفون .. وأصبح مثيرا جدا .. ومثيرا لخيالات لا نهائية .. وابتدأنا نلاحظ مرور المجندات الاسرائيليات فى الشارع الامامى فى طريقهن للمطعم والعكس .. البنت السمينة .. والبنت الطويلة .. والبنت أم شعر أصفر .. والتى تحرك مؤخرتها .. والتى .. الخ ...

واصبحنا نطالب باذاعة رقيهية ولو لساعات .. نريد موسيقى .. اغانى .. وهنا كانت المخابرات الاسرائيلية قد اتمت فترة الانضاج .. ووصلت فعلا الى اللحظة التى تستطيع فيها أن تقابلنا وجها لوجه .. بل لقد أمدونا بصابون وأمواس حلاقة .. حقا لكل ثمانية عشر ضابطا موسى وقطعة صابون صغيرة .. ولكنه تطور يربطنا بإنسانيتنا بشكل أو آخر ...

www.alkottob.com

حلقت ذقنى ·· لاول مرة ·· حلقهـــا لى زميل اذ لم نجـــد مرايا للحلاقة ··· وأخذت حماما باردا وغسلت أوفرولى ثم لبسته ·· وشعرت أن حالتى النفسية اصبحت رائعة ·· فاليوم لاول مرة أشعر بانسانيتى ·· وسمعت نداء ·· ٥٧٦٣ ·· هـذا رقمى ··

ـ أفنـــدم ··

ـ مطـلوب للاستجواب ··

وذهبت لاجلس أمام أول مستجوب ·· ماذا سيحدث ياترى ··· ؟

الموقف يخالف تماما لمـا تخيـــلته ·· أدوات التعذيب ·· والمعذبون الغلاظ ذوو العضلات المفتولة ·· لا وجود لهم ·· وحل محلهم رجل بسيط رقيق ملامحه عادية تشبه ملامح أى فلسطينى طيب ومهذب ··

كان ضابطا فى الجيش الاسرائيلى ويرتدى ملابس تقيب ذى الثلاث عصايات الصغيرة على الكتافة ··· هذه هى اللحظة التى حاولت تخيلهـا كثيرا منذ أن قبضوا على لاول مرة ··· جاء ميعـاد اختبارى ·· اجمـع شجاعتك يافتى ·· لملم نفسـك ··· فلتفرض احترامك عليه ·· لست أقل منه فى شىء ··

نظر الى باندهاش ·· وقال :

ـ أنت مصرى ··· ؟

ـ نعـــم ···

ـ لا ··· ملامحك تدل على انك لست مصريا ···

ـ لمـــاذا ··· ؟

ـ لا أعرف ·· ولكن عندى احساس بأنك لست مصريا ···

كان من الممكن أن تغضبنى هذه الاسئلة ·· لولا أننى تعودت عليها ·· فكثيرون يقولون لى مثل هذا الكلام ··

ـ مصرى ·· أبا ·· وأما ·· وجدودا ··

قلتها وأنا ابتسم لماذا ياترى بدأ حديثه بهذه البداية الغريبة ·· قد يكون لاننى أول مصرى يقابله وذقنه معلوقة وملابسه نظيفة ·· وحالته النفسية مرتفعة ·· مجـرد مصـــادفة ·· وقد يكـــون لان ملامحى أقرب للشاميين ·· وقد يكون ··

www.alkottob.com

ـ اسمك ·· وحدتك ·· تاريخ ميلادك ···
اسئلة عادية تماما ومسموح لنا بالرد عليها مفصلا ···
ـ ما رأيك فى الحرب ··· ؟؟
ـ شىء سىء جداً ·· أن يقتل انســان ·· انسانا أخر ·· أو أن يهدم انســان أعمال وعرق اناس آخرين ···
ـ ولماذا تحارب ··· ؟؟
ـ لانكم اجبرتمونا على الحـرب ···
ـ لقد ابتدأتم الحرب باغلاق مضيق تيران ···
ـ الحرب أبتدات بقصف الطيران للمطارات ···

ـ يا حبيبى مضيق تيران يشكل حيـــاة أو موتا بالنســبة لنا ·· ومستحيل أن تغلقوه وتجمعوا فى سيناء الآف المقاتلين ولا نقوم باجراء وقائى ·· بذلك تصبحون أنتم البادئين بالحرب ·· ويؤكد ذلك سحبكم للبوليس الدولى ···
ـ كان ذلك بسبب حشدكم لقواتكم امام سوريا ···
ـ والله ··· والله ··· لم نحشد قوات ·· لقد أخذنا سفراء جميع الدول على الحدود وأطلعناهم على الوضــع وطلبنا من سـفير روسـيا ان يذهب ولكنه رفض ·
ـ حشدتم قواتكم امام سوريا ··· .
ـ ماذا اقول اكثر مما قلت ·· ستعود لبلدكم وتعرف اننا لم نحشد·· بالمناسبة هل والداك أحياء ···
ـ نعـــــم ···
ـ أوحشـــــوك ···
ـ متعودان على ذلك ·· وانا متعود على أن اعيش بعيدا لمدد طويلة ··
ـ ربنا يرجعك لهم بالسلامة ···
ـ أرجو ذلك ···
ـ كلامى العربى كويس ··· ؟
ـ ليس رديئا ···
ـ تعلمته من أصدقاء فلسطينيين هنا ···
ـ لك أصدقاء عرب ··· ؟ ·· ·
ـ كثيرون ···

www.alkottob.com

وكيف يعيشون ... ؟

ـ كويس .. بنعمل لهم مدارس ومستشفيات .. ونعطيهم عملا ..
ولكن احمد سعيد وهيكل .. والكلام الكثير .. يجعلهم باستمرار غير راضين ..

ـ احمد سعيد وهيكل فقط .. وارضهم ومنازلهم .. وحياتهم ...

ـ من بقى منهم تركنا له ارضه .. وتركنا له وظيفته وعائلته ..
ولكن الذى ترك ارضه اخذناها لتعميرها ...

ـ ولماذا ترك ارضه .. لانه خاف على حياته منكم ...

ـ والله فكرتك مش مضبوطة بالنسبة لهذا الموضوع .. فى سنة ٤٧ احنا خرجنا بعربات معلق عليها ميكروفونات .. وكانت تنادى لا تغادروا اماكنكم ... لن نؤذيكم .. لكن زعماءهم قالوا لهم اسبوع او اكثر وتدخل الجيوش العربية وينتهى الموقف ولذلك تركوا الارض على امل الرجوع فوق مدرعات الجيوش العربية .. ما ذنبنا فى هذا (لم اكن اعرف تفاصيل هذا الموضوع جيدا ولذلك فلم استطع الرد وحاولت ان اتخلص من المأزق فسألته) .

ـ انت متزوج ... ؟

ـ نعم ... وزوجتى فنانه ...

ـ اى نوع من الفن ... ؟

ـ رسامة ...

ـ بترسم كلاسيك .. ام مودرن ... ؟

ـ مودرن ... انت بتحب الرسم .. تعرف ترسم ... ؟

ـ افهم ... واتذوق ...

ـ بتحب السيريالزم ... ؟

ـ ولماذا السيريالزم بالذات .. افضل التكعيبية والتأثيرية .. والتعبيرية ..

ـ انت بتفهم كويس فى الرسم .. احنا عندنا مدارس ورسامين كبار ...

ـ ونحن ايضا ...

ـ انتم بلدكم فنونها قديمة .. من خمسة آلاف سنة .. اما الان فهى متخلفة ..

www.alkottob.com

ـ معلوماتك غير صحيحة تماما ٠٠ فلدينا كليات فنون ومعـــاهد موسيقى وباليه ومسرح وسينما وأساتذة لهم معارض ٠٠ وينالون جوائز كثيرة فى المعارض العالمية تصوير ٠٠ ونحت ٠٠ وعمارة ٠٠

ـ قد يكون هذا صحيحا ٠٠ ولكن الموسيقى ضعيفة ٠٠٠

ـ لماذا ٠٠ لدينا موسـيقى كلاســيك ٠٠ وموســيقى حديثة ٠٠ واوركســترا سيمفونى

بدهشــه ـ هل تعرف الموسيقى الكلاسيك ٠٠٠ ؟

ـ بالتأكيد ٠٠٠

باختبار ـ من من المؤلفين تحب ٠٠٠ ؟

ـ تشيكوفسكى ٠٠ ريمسكى كورسكوف ٠٠ بتهوفن ٠٠ موتسارت٠٠ خاتشاتوريان ٠٠ باخ ٠٠٠

ـ هل تسمع لباخ ٠٠٠ ؟

ـ نعم ٠٠ سبستيان باخ ٠٠٠

ـ شىء غريب ٠٠ الم اقــل لك انك لست مصريا ٠٠ المصرى يحب ام كلثوم ٠ ٠ وعبد المطلب ٠٠

ـ وما الغريب ٠٠ نحن شــعب له حضارة عمرها أكثر من خمسة آلاف سنه ٠٠ من عندنا نشأت الحضارة ٠٠ نحن الذين علمنا العالم ٠٠ ومرتان ٠٠ فى البداية وفى العصر الاسلامى ٠٠٠

وابتدأت نظراته تتغير ٠٠ لم تعد نظرات الدهشــة ٠٠ ولم تعد نظرة تواضع من انسان متقدم لاخر متخلف من شعب متخلف ٠٠ وســعدت لهذا التغيير فلقد فرضت عليه أحترامى نجحت فى تحــويله من مســتجوب الى متعجب ٠٠ وخطرت لى فكرة لماذا لا ابعــده عن الهــدف الذى أحضرنى من اجله ٠٠٠ وفى نفس الوقت أقنعه باننا لسنا شعبا متخلفا لاننا مزمنـــا أعجبتنى هذه الفكرة ٠٠ وحاولت أدارة الحديث كلما حــاول أن يفرعه الى الناحية العسكرية الى حديث آخــر ٠٠ عن الفلســفة ٠٠ والعــلوم ٠٠ والفنون ٠٠ والاجتماع ٠٠ والسياسة والتاريخ ٠٠ والحضارة ٠٠ افــرع عديدة متنوعة كانت تزيد نظرات الاحترام الممزوجة بالدهشة كلما تكلمت عن سارتر ٠٠ وهيجل ٠٠ وبرتراند رسل ٠٠ وفرويد ٠٠ وداروين ٠ ٠ حتى حضر من ينبئه بانتهاء الوقت ٠٠ وتركنى ولم يأخذ المعــلومات ٠٠ التى يريدها ٠٠ وخرجت لاحاسبه نفسى ٠٠ ما الذى فعلته ٠٠ هل هــذا وقت

www.alkottob.com

استعراض معلومات .. هل ما فعلته كان صوابا .. ؟ أم خطأ .. ؟ لماذا تصرفت بهذه الطريقة . اعزاز وطنى .. محاولة للتغلب على الشعور بالنقص عن طريق الاستعراض ... فخ نصبه بمهارة رجل المخابرات ليتعرف من أنا .. قد يكون .. ولكننى تعلمت درسا .. وهو ألا أخاف المستجوب .. هو رجل .. وأنا رجل .. ولا فارق ...

وفى هذه الفترة تغيرت الحياة فى المعسكر تماما .. فلقد ردم الاسرائيليون دورة المياه المفتوحة والتى أستعملناها فى بداية حضورنا للمعسكر .. وفتحوا دورة المياه الاساسية .. وهى دورات تشبه اى دورة فى معسكر مصرى .. ولكنها قذرة جدا .. وسمحوا لنا بأذاعة ترفيهيه صباحا لمدة ساعتين .. ومساء قبل أغلاق العنابر .. وكانت أول أغنية نستمع اليها فى أسرنا .. أغنية لمحمد عبد المطلب .. وأنا مالى .. وأنا مالى .. عمر الايام م حتحلالى طول م أنت بعيد عنى يا غالى .. وصحنا جميعا كأننا متفقون .. أولاد الكلب ...

ثم أغانى لام كلثوم .. فات الميعاد .. وبقينا بعاد ..

متصبرنيش ... م خلاص ... أنا فاض بيه ومليت ..

واغانى لشاديه .. سلامات ... سلامات يا غايب عنى ...

كلها أغانى تزيد الحنين الى الوطن .. وتزيد التساؤلات .. متى سنعود ... لتكون شرخا فى اعصابنا .. وتزيد توترنا ...

وفى بعض الاحيان كانوا يذيعون بعض الموسيقى الراقصة قبل فترة الغذاء ... والمجندات الاسرائيليات ذاهبات الى المطعم .. يرقصن وهن ما شيات .. (تاكيلا .. ورقصات أخرى ..)

وزادت الدعوات للاستجواب .. وامدوا مكتبة المعسكر بكتب أخرى تتحدث عن النصر العسكرى الاسرائيلى ثم مجلة نيوزويك الامريكية .. وهى تحكى قصة الانتصار .. مصورة موشى ديان .. فى المقال الرئيسى وعنوانه « الرجل الذى حول القطط الى سباع » ... والمقصود بالقطط

www.alkottob.com

هم جنود الجيش الاسرائيلى الاحتياط فى الاغلب ·· وهى اشارة الى انهم مسالمون ·· ولكن فى وقت المعركة يتحولون الى سباع تحت قيادة السبع الاكبـــر ··

كذلك وفى هذه الايام أحضروا لنا كروت صغيرة لنكتب عليها مالا يزيد عن عشرين كلمه لاهالينا ·· وكان خطـــابى الاول ·· « مازلت اعيش على ظهر الارض » ·· وفى هذه الفترة أيضا ·· أحضروا لنا مجـــلات جنسية امريكية كلها صور جنسية عارية ··

وهكذا خففوا الضغوط قليلا ·· فأصبح فى استطاعتنا اغلاق النـــور فى المســاء دون تهديدات ·· ولم نعد نستمع الى الطلقات الليلية للحراس ··· وصاحب ذلك تطور فى الطريقة التى نعيش بها ·· انتهى حديث الحرب ·· أو قل الى حد كبير ·· وابتدأنا فى التخديش عن وســـيلة للترفيه وقضـــاء الوقت ·· وتحولت الاحاديث تدريجيا الى الحـــديث عن المســـينما ·· والجنس ··· والنكت الجنسية ·· والمغامرات العاطفية · والاغانى الخليعة كل يحاول أن يعوض النقص الذى أصابه بالمبالغة فى مغامراته ·· بالاضافة لمـــا دار فى الاستجوابات · ثم ابتدأنا فى عمل كتاشين من علب السجائر ·· وشطرنج من لبابة العيش ···

فى الاستجواب الثانى ·· طبقت ما تعلمته من الاستجواب الاول ·· الملابس النظيفة ·· وحـــلاقة الذقن ·· والابتســـامه الواثقة ··· واستقبلنى فى هذه المره لجنة ·· ضابط ومترجم ومتفرج ·· وأوراق كثيرة ·· استجواب عسكرى هذه المرة ···

ـ ماذا كنت تعمل ···· ؟

ـ ضـــــابطا ···

ـ اى كتيبه ··· ؟

ـ كتيبة مهندسيين ··

ـ معلوماتك الهندسية ··

سؤال مباشر بماذا ارد ·· لا استطيع اللف او الدوران حوله ···

ـ انا ·· انا دخلت الجيش منذ مدة قريبه ···

ـ ماذا تعـــرف ····؟

ـ اعرف كل شىء ·· ولكننى لا اتقن شيئا ·· معرفة سريعة ···

www.alkottob.com

ـ أنت رائد ٠٠ معنى ذلك انك مسئول ٠٠٠ ؟

ـ المهندسون يصبحون روادا سريعا ٠٠٠

ـ مدة عملـــك ٠٠٠ ؟

ـ ســـنه ٠٠٠

ـ وفى خلال هذه السنة تصبح رائدا ٠٠٠ ؟ !

ـ أضافوالى مدة خدمتى السابقة فى وظيفة مدنية ٠٠٠

ـ ما نوع تخصصك ٠٠٠ ؟

ـ معمـــــارى ٠٠٠

ـ بتبنى عمارات فى الجيش ٠٠٠ ؟

ـ مبانى صغيرة ٠٠ بوابة ٠٠ مخزن ٠٠ سلاخليك ٠٠ سجن ٠٠

ـ واين كنت تعمل وانت مدنى ٠٠٠ ؟

ـ فى سيناء ٠٠ نفذت كل المبانى الموجودة هنـــاك ٠٠ فى العريش ورفـح والشيخ زويد وبير العبد ٠٠ المدرسة الابتدائى هناك ٠٠ ومدرسة الصنايع فى العريش ٠٠ قطع تحديثى بصراحة ٠٠٠

ـ ما معلوماتك عن رص حقول الالغام ٠٠٠ ؟

ـ مش فاهم ٠٠٠ !!! محاولا ان اعطى نفسى فرصة للتفكير ٠٠٠

ـ كيف ترص حقل الغام بواسطة الافراد ٠٠ بواسطة معدات ٠٠٠ ؟

ـ بواسطة الافراد ٠٠٠

ـ وما الطريقة ٠٠٠ ؟

ـ عـــــادى ٠٠٠

ـ ازاى بتسجلها ٠٠٠ ؟

ـ فى الســـجل ٠٠٠

ـ ايه اللى بتكتبه ٠٠٠ ؟

ـ املأ الخانات الموجودة ٠٠٠

ـ مش عيب عليك تبقى رائد طويل وعريض وتكذب ٠٠٠

ـ كيـــف ٠٠٠ ؟

وفتح درج مكتبه وأخرج مذكرات الفرقة الاساسية وكتاب الالغام ٠٠ وقـــال :

www.alkottob.com

ـ هذا هو المستوى الذى تدرسه ٠٠ وهذا هو كتابكم ٠٠ لمـــاذا تكذب ٠٠ ؟

اخذتنى المفاجأة بصورة لم اتوقعها ٠٠ ولكننى اسـتجمعت نفسى سريعا وضحكت قائلا ٠٠

ـ فى الحقيقة ٠٠ اللى بيرص الالغام كتائب متخصصة ٠٠ اما انا فلم ارصها ابدا ٠٠

ـ كيف تعمل طريق ٠٠٠ ؟

ـ بالجريدر ٠٠ والبلدوزر ٠٠٠

ـ وعندما تكون مفككة ٠٠٠ ؟

ـ نضـع طـوب وزلـــط ٠٠٠

ـ الا توجد طـرق اخرى ٠٠٠ ؟

ـ توجد طرق كثيرة ٠٠ تعرفهـا كتائب الطرق ٠٠٠

ـ وماذا تعـرف انت ٠٠٠ ؟

ـ اعـرف كل شـــىء ٠٠٠٠

ـ ماذا كنت تعمل ٠٠ فى الجيش ٠٠٠ ؟

ـ لم أعمل أكثر من سنة ٠٠٠

ـ فى هذه السنة ماذا عملت ٠٠٠ ؟

ـ كنت فى الكلية الحربية ثلاثة شـهور ٠٠ والباقى فى المدرسة ٠٠٠

ـ التى فى الحلمية ٠٠٠ ؟

ـ نعم ٠ ٠ اخذت فيها الموجود فى هذه الكراسـة ٠٠ ووصلت كتيبتى منـذ شـــهرين فقـــط

ـ ماذا عمـلت هنـــاك ٠٠٠٠ ؟

ـ بنيت بوابة ٠٠ وميز للضباط ٠٠٠

ـ العمـل العسكرى ٠٠٠

ـ مفـــيش ٠٠٠

وهكذا دارنا فى دائرة مفرغة ٠٠ ننتهى من حيث بدانا ٠٠ وكان يتخلل الحديث اسئلة عن حالتى النفسية واهلى ٠٠ وهل تريد أن تراهم (بلهجة تهديدية) كانما يقول لى اننى لن أراهم الا اذا تكلمت ٠٠ ومع اننى فهمت ماذا تعنى هذه اللهجـة ٠٠ ومع علمى ايضـا بان تفاصـيل عملى مكتوبة فى الدفاتر والكتاب اللذين امامه ٠٠ الا اننى لم استطع أن انطقها لسحر بلسانى ٠٠ بنفسى ٠٠ تطوعا ٠٠ حتى بدون ضغط ٠٠ حقا هو يعـرفهـا

www.alkottob.com

جيدا ·· ولكن من يعلم لماذا يسألنى هذه الاسئلة ·· وطغى هذا السؤال على قشرة عقلى ··· فسألته ···

ـ أمامك الكتاب والمذكرات ·· وتستطيع أن تعرف منها الاجابات الصحيحة ··· على كل سؤال تفصيليا ·· فلماذا تسألنى ·· ؟

فوجىء بالسؤال وتردد قليلا ثم قال :

ـ مجرد اجراء روتينى لأتأكد من انك مهندس ··

شىء غريب لا يمكن أن يكون اجراء روتينياً ·· المقصود شىء أخر ·· لا أعلمه ·· اكتشفته بعد ذلك عندما داومت على التفكير ·· وبعد عدة ظواهر أخرى ربطتها بعضها ببعض أهمها أنهم يبحثون عن المهندسين الذين رصوا حقول الالغام ·· ليساعدوهم فى ازالتها ·· وهنا فهمت لماذا يصرون على حقول الالغام ·· ويعود لها بعد عدة اسئلة ·· لقد تجوت ان الاصرار على مصلحة الوطن الفطرية ما هو الا اصرار على المصلحة الشخصية ضمنيا ··· لو أننى اعتبرت الكتاب والمذكرة ببساطة سببا لان اتكلم لأصبحت مثل الفتاة التى يعتدى عليها غصبا بواسطة مجنون او سكران فتتحول الى بائعة هوى ·· ألم تغتصب ·· ؟ ·· ما الداعى للشرف الان ·· الم تقع فى أيديهم الكتب والمذكرات ما الداعى للسكوت الان ·· ولكننى لو فعلت ذلك لكان جزائى يتناسب مع مقدار قصر نظرى ·· لكان جزائى أن أقف الايام الطوال·· أساعد العدو على التخلص من الالغام التى نصبتها له ·· لكان جزائى الاستنكار من نفسى ومن مجتمعى وقومى ·· وازدرائهم لى ·· ألم لبائعة الهوى التى أعتدى عليها يوما غصبا بواسطة مجنون ··

ومنذ هذا الاستجواب ومع انتهائه ·· انتهى تماما سؤالى عن المعلومات العسكرية ولا اعرف السبب ·· بل الاعجب أن كل المستجوبين بعد ذلك كانوا يعاملونى على أننى ضابط احتياط ··

جاءنا زميل بعد الاستجواب مصفر الوجه منفعلا انفعالا شديدا ··

ـ ماذا حدث ···· ؟

ـ أولاد الكلب ····

ـ ماذا حدث ···· ؟

www.alkottob.com

ـ سـألونى عن جهـاز لاسلكى معين فأستعبطت ·· أحضروا كلبـا ضخما ووضـعوه أمامى ·· أيدى الكلب فوق كتفى ·· ودخلت سيدة مجندة اسرائيلية وبصقت فى وجهى ·· وقالت لى ···· هـل أنت رجـل ···

ـ ياه ···· وبعـد ····

ـ ركبنا فى عربة جيب حتى البحـر ·· نزل منها جنديان وحفـروا حفرة عميقة على الشـاطىء قالوا لى دى مقبرتك ·· سـندغنك هنـا ···

ـ مش معقـول ···· !!

ـ بعد ذلك أرجعونى وقالوا ·· فكر وسنتكلم ثانية الساعة الرابعة ··

· · · · · · ·

وهاج الزملاء ·· قد يتعرض اى منا لهـذا الاستفزاز ·· وذهب الرائد صفوت الى قائد المعسكر ·· وقائد المستجوبين ·· مقدما احتجاجا ·· ألم تقولوا انكم لن تضغطوا على أحد فى استجواب ·· ألم تقولوا انكم لسـتم برابرة لتستجوبوا بهذه الطريقة ·· سـنقدم احتجاجا للصـليب الاحمـر ·· وكانت النتيجـة اعتذار عمـا حدث ·· وانتهت القصـة ·· وان ظلت تتداول مـدة طـويلة ··

زميل اخر جاءنا يضرب كفا بكف ·· هل تتخيلون ·· قلت لهم اننى رئيس عمليات كتيبه فقالوا لى لا أسمك كذا ·· ووظيفتك كذا ·· ثم أخرج ورقة من مكتبه وقال وهذه امضـاؤك ·· ثم فرد خريطة رسمتها للدفـاع المضـاد للطيران فى منطقة ابو عجيـلة وقال لى ·· وهـذه خريطتك ··· أحضروا الخريطة التى رسمتها ···

وكذلك أحضروا لبعض الزملاء ·· خرائط مصورة بالطائرات لمناطق ايواء القوات فى القاهرة وعلى القنال وأخذوا يضعون على الاماكن اسـماءها ·· وخاصة مصانع وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات ···

اصبحت لحياتنا ما يشبه الشكل المستقر حتى بداية شـهر يوليو ·· اغانى وبعض الموسيقى ·· ثم استجد فى نهاية المدة نشرة الاخبار فى تمام الثانية عشر من صوت اسرائيل او الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية

www.alkottob.com

او ما يشبه ذلك ·· وسمحوا لنا بخطاب كل شهر وكارت كل خمسة عشر يوما ·· وأغرقوا المعسكر بجليدتين يوميتين ·· احداهما باللغة الانجليزية وتسمى الجورزلم‌بوست وهى جريدة ناطقة باسم الحكومة الاسرائيليـة ·· واخرى باللغة العربية وأسمها جريدة « اليوم » وهى تصدر للمناطق المحتلة

والجورزيلم بوسـت جريدة غير مبتذلة بالمقارنة بجريدة اليوم ·· وان كانت موجهة ومعبرة عن وجهة النظر الاسرائيلية فى جميع القضايا ·· وتصادف مرور خمسين عاما على مؤتمر بازل ونبوءة هرتزل بقيام دولة اليهود فى فلسطين بعد خمسين عاما ·· ولذلك أصدرت الجريدة ملحقا خاصـا عن نشأة اسرائيل ·· ومنها عرفنا بقرارات مجلس الامن والسـفير يارنـج والاغواط التى منحت للجنود والضباط الاسرائيليين ومعظمها نتيجة للعمـل الباسـل الذى قاموا به لانقاذ جريح أو احضار جثة زميل اثناء القتال ···

اما جريدة اليوم فهى جريدة ، مبتذلة وحقيرة جدا ·· لا تتورع عن حكم فى مصر خصوصا وتشويش الحياة فى الدول العربية عامة ·· ونقد (لاشتراكية اللبن المخلوط بالمـاء فى مصر) والتشكيك فى احتمال قدرة الجيش المصرى على استعادة كفاءته القتالية فى المـدى القريب وحددت بناء على رأى قائد عسكرى أمريكي بان اقل مدة لذلك هى اربـع سـنوات ·· وكان من النادر أن تمسك عددا ولا تجد فيه سبا مباشرا لعبد الناصر ··

وهذه الجريدة رفضتها العناصر الواعية بالمعسكر وقبلتها بعض العناصر المهزوزة التى كان يحلو لها قراءتها واستعذاب آلام الاهانة ···

واستقر نظام الحكم المحلى للمعسكر واصبح لهيئة القيادة حجـرة كبيرة يسكنها حوالى خمسة ضباط يخص كل منهم مكان اكبر ·· واصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات الصغيرة فى هذه الظروف جعلتهم متميزين عنـا ·· فهم لا ينظفون حجرتهم أو يغسلون ادوات اكلهم ·· او ملابسـهم ·· بل يقوم بها بعض الجنود المصريين المخصصين لخدمتهم وكميات اكلهـم اكبر كثيرا ·· ولكنها حياتنا ومجتمعنا ·· نقلناها معنا الى الاسر ···

وتـحولت احاديث الضـباط كما قلت بعيـدا عن الحـرب ·· وزادت التحرشـات ·· والمشـاجرات الشـباب لأتفه الاسباب بين الضباط ··

www.alkottob.com

وانتشرت النكات التى تروج لها المخابرات الاسرائيلية ·· مثلا قولوا لعين الشمس ما تحماش ·· لحسن دا جيشنا المصرى راجع ماشى ···

كذلك حدث تغيير هام ·· وهو عودة الاسرى الاردنيين ·· والسوريين ·· ولم يبق بالمعسكر سوانا ·· أسرى ···

والان فلنحاول أن نتصور سويا ·· يوما من ايامنا فى المعسكر ·· فى الحجره رقم ١٠ ·· حيث ينام ستة عشر ضابطا ما بين رائد وملازم حديث التخرج ···

الساعه السابعه صباحا :

احدهم يستيقظ ويضحك بصوت عال ·· ثم يصمت فجاة ·· ويزغد الضابط المجاور له ·· قائلا ··

ـ انظر اليسوا أمواتا ·· احنا خلاص متنا ياسادة ··

آخر ـ اصطبح وقول يا صبح ·· من الصبح وانت تنعق كده ··

آخر ـ هو الواحد ميقدرش ينام ساعة ···

آخر ـ قوم ياسى زفت أغسل الاوانى النهارده دورك فى الغسيل والفطار زمانه جاى ···

آخر ـ علشان خاطرى اغسلهم بدلا منى ·· انا تعبان وقرفان ···

آخر ـ هو انت الوحيد الذى لك أهل ·· م كلنا متجوزين ولنا أولاد ونسوان وأباء وامهات ···

ـ أنا متصور أن الصليب الاحمر الذى أخذ خطاباتنا مزور ·· ولم يرسلوا الخطابات

ـ السوريون والأردنيون مشيوا ·· ليه احنا فاضلين ···

ـ البنى آدم فى مصر لا ثمن له ··· ولا قيمة ···

ـ لو أن بيننا ابن وزير والا اخو واحد كبير كان زماننا فى مصر ···

ـ حتى دى عايزه وسايط ···· ؟

ـ سلفنى صابونتك اغسل وشى ···

جنديان يحملان قزانا كبيرا ومعهما ضابط يقفون على باب الحجرة ··

ـ الفطار يا حضرات كل واحد ياخد اكله ···

ـ أين كوزى ·· عايز اخذ شاى ··· انتم متغاظين من كوزى لانكم لا تملكون مثله ···

www.alkottob.com

ـ بطـل بقى ·· كوزك مرمى وراء جزمتك ···
ـ ارمى الدبش بتاعك ··· يا فتاح يا عليم ··
ـ لا ·· العيشـة معـاكم متنفعش أنا حاشـوف نـاس غـيركم ··
ـ قوم يا عاطف ··· عشـان تاكل ···
ـ سيبه ده سـهران طول الليل بيولع سـيجارة من سـيجارة ···
ـ هى دى سجاير دى ·· قش ملفوف فى ورق ····
ـ فينك ياكيلوباترا ···
ـ احنا ياجماعة لازم نشغل وقتنا بحاجة مش معقول كده حنموت من الملل والفراغ ·
ـ والله الواحد منكم لويؤدى تعليمات دينه عمره ما حيلاقى فراغ ·· صل واقرأ القرآن وستجد السكينة ···
ـ من اين نحضر القـرآن ··· ؟
ـ سـاطلبه من المستجوب عندما اذهب له ···
ـ قل لى يا سيدى انت بتروح كتير هناك ليه ··· ؟
ـ ناس بتحبنى ·· انت مالك ·· على الاقل بشرب سيجارة نظيفة وكازوزه مثلجة وشـاى فى كباية ···
ـ تعال أعلمك البوكر ···
ـ انت متصور ان الكوتشينه بتاعتك دى كوتشينه ···
ـ مش أحسـن من مفيش ···
ـ تعال نتمشى فى الخارج ···
ـ تعال نزور الدكاتره ·· فى حجـرتهم ···
ـ آنت يا واد انت قد أولادى ·· انت نسيت انى قائد كتيبتك ··· ؟
ـ يا عم لما نروح لمصر ابقى حاكمنى ·· هنا كلنا أسرى ···
ـ عيب يا محمد ده القائد بتاعك برضه ···
ـ والنبى تسكت يا فندم ·· أصلك متعرفهوش ·· انا عارفه كويس
ـ ··· يخرب بيتك كل ده علشان طعمايه ياولد ···
ـ آه كل مرة ياخد الطعمايه الكبيرة ·· ويسيب الصغيرة لى ··
ـ طعماية ايه ياولد ·· الطعماية دى ملهاش قيمة ·· شوف الواد الدنى ··
ـ فى مصر عندك الفدادين والعمارات والفلوس فى البنك ·· لكن هنا الطعماية هى العمارات والفلوس ·· خلى فدادينك تنفعك ···

www.alkottob.com

ـ برضه الأصل غالب ·· من يوم ما دخل الحربية أولاد الشحاتين وهى كده · على أيامنا كنت تحب تتفرج على أيام الجمعة والزيارات ·· أحسن العربيات · وبوفيهات التورتات والجاتوهات ·· وأميرات مصر وجميلاتها ·· وفرقة مزيكة باللبس الرسمى ·· ناس اعينهم مليانة ·· مش أولاد الشحاتين اللى بيتكلموا عن طمطماية ·· روح النهارده شوف الكلية الحربية ·· تلاقى البوابين والعسكرية هم الزوار ·· لدرجة أن اى افندى محترم يتكسف يزور قريبه ···

ـ يا عم بطلوا سرح بقه عايز تفهمنا انك ابن باشا ·· انت دخلت الحربيه سنه ٥٣ ·

ـ آه لكن أخويا دخل ٤٩ ·· ومادام أخويا قبل ٤٩ كنت حقبل انا كمان لو كان الوضع زى ما هوه ···

ـ ياريت والله كان احسن ··

ـ هس ·· هس ·· كان زمانك النهارده خالى شغل ··

ـ مش أحسن من الرمية المهببه دى ··

ـ ان شاء الله حيعوضوك كويس بعد ما ترجع ···

ـ الاسرى فى ٥٦ اخذوا مرتباتهم بالكامل وشهرين مكافاه ·· وهدايا وحفلات وتعويضات ····

ـ لكننا فى ٥٦ كنا منتصرين مش زى الخيبة السودة دى ···

ـ يا عم انتصار أيه ونيلة أيه ·· انت بتصدق يعنى لو كان الانجليز والفرنسيين عايزين يموتونا واحد ·· واحد ·· كنا حنقدر عليهم··

ـ انتم لسه عمالين تتكلموا ·· أنا استحميت وانتم عمالين تتخانفوا

ـ استحميت فين ··· ؟

ـ على الحنفيه ···

ـ قدام الناس كده ···· ؟

ـ اذا كنت بقضى حاجتى قدام الناس ·· حيغلب علينا أن نستحمى أمامهم ·· ولا فى النظافة لا ··· فاضل الواحد يحلق ·· واحط الكولونيا التمام ··· والبودرة ·· واسرح شعرى ·· وتلبس الجلابية الدبلان بتاعة أخوك شلبى ·· يا سيد متحلمش ·· أحنا هنا كوم زبالة ··· دى مزبلة ·· عايش فيها خنازير ··

ـ يا جماعة ·· يا جماعة ·· الواحد يعنى ميعرفش ينام ···

www.alkottob.com

ـ قوم يا معلم الســاعة بقيت الحادية عشرة ٠٠٠
ـ قوم بِينا نســمع الاخبــارِ ٠٠٠
ـ خليك أنت علشان تاخذ لنا الاكل ٠٠ غسلت مكان الفطور ٠٠٠ ؟
ـ الميه انقطعت قبــل م الحق ٠٠٠
ـ يا أخى حتفضل كســلان كده لامتى ٠٠ مش قادر حتى تخدم نفسك
ـ أصله ابن بهوات ٠٠ كان عنده ثلاث مراسلات فى المكتب يا سيدى
ـ نصف السرية كانت مراسلاته ٠٠٠
ـ هو حد وصلنا لعتليت الا اللى زيه ٠٠٠

الســاعه الثانية ظهــرا :

ـ الضباط يخرجون من حجراتهم ٠٠ ويتدفقون الى واجهة المعسكر أمام الســور حيث يوجد الميكروفون ليستمعوا الى نشرة الاخبــار ٠٠

تعليقات مختلفه على االاخبار ٠٠ كل كلمة تفسر لاكثر من معنى ٠٠ مناقشــات متــوترة ٠

الغذاء ٠٠ علب الخضار المحفوظ التى أخذوها من الحرب وأرزنا أيضا او مكرونة ٠ لا فاكهة ٠٠ اللحم فى حدود ضيقة على هيئة كفتة او بلوبيف ٠٠ طابور الغسيل ٠٠ كل يحمل أوانيه ويقف أمام حنفيات المياه فى أنتظار دوره ٠٠٠

الســاعه الان الخامســه :

بعد ساعة ستقفل علينا الأبواب ٠٠ هذه الساعة هى الفرصة الوحيدة للتجول خارج الحجرات حيث يصبح الجو صالحا للمشى ٠٠ كل ثلاثة أفراد أو أربعة ٠٠ يسيرون معا ٠٠ اذا أقتربت منهم تستمع الى كلام متباين ٠٠ فلنقترب من هــؤلاء ٠٠٠

ـ الجــو جميــل جــدا ٠٠٠
ـ شــايف الالوان فى الســما ٠٠٠
ـ الحياة حلوة لكن احنا اللى جايبين القرف لانفسنا ٠٠٠
ـ لماذا لا نعيش فى سلام ٠٠ هل يجب أن نكون دولة عظمى ٠٠٠
ـ والله انا مليش فى الطور أو الطحين كنت مدنى وحتجوز جرونى ٠
ـ انا اتجوزت الشــهر المــاضى ٠٠ كنا فى شــهر العســل ٠٠ مراتى حــامل ٠٠ يا عالم ٠٠

www.alkottob.com

ـ والدى كان مريضـــا ·· ترى ماذا حدث له ··· ؟
ـ تلاقيهم ولا حاسين ·· احنا بس اللى طالع عنينا ···
ولنتقرب من هؤلاء ···
ـ اذت فاكر اللحن ده ·· ويصفر بفمه ···
ـ آه بالطبع « سترانجراين زى نايت » ···
ـ أعبدها الغنوه دى ····
ـ شـوف كلماتها ·· « اتنين تايهين فى الظـلام ·· يتمنيان الحب والســعادة ·· شىء ما فى عينيك جذبنى اليك ·· شىء ما فى ابتسامتك أثارنى للغاية ·· شىء ما فى قلبى يقول آت لى ···
ـ أسكت من فضلك لا تقطعنى ·· احنا أصـلنا فراعنه ·· شـوف الاطفـــال فى الجنـــاين تلاقيهم بيقطفوا الورد ·· حتى الوردة لا تسـتطيع أن تعيش فى سـلام ·· الوردة الرقيقة الحلوة ·· احنا شـعب فرعون ··
ـ والله كـلامك مضـــبوط ···
ـ يا جماعة وحياة أبوكم تبطلوا السيرة دى ·· احنا حنفضل نشتم فى نفسنا كده لحد أمتى ···
ـ أصلنا نستحق الشتيمه ·· لازم النكسة دى تغسلنا من الداخل ·· لازم ننقد أنفسنا ونصلح بعض ·· ليه الطفل الصغير يقطف الوردة ·· ويضرب الطوبة فى لوح الزجاج ·· ليه ·· تعرف تقولى ··؟
ـ سـمعت اللحن ده « لافام دى مون آميه » ·· زوجه صـديقى ·· احبك ·· أعبدك ·· انت النور الذى آراه ·· انت الحيـاة ·· أكسبتنى السعادة والمحبة ولكن هناك عيب صـــغير أنك زوجة صديقى ·
ـ الناس دى بتجيب الكلام ده منين ·· ولا اللحن ·· علشـان كده بيغلبوا ··· مش تعاليلى يا بطـه ···

ولنقترب من مجموعه أخرى ···

ـ وقلتله اديني بق ميه ···
ـ ·· ·· ·· ··
ـ قاللى لا ·· ليه يابنى ·· ده أنا حموت ·· ابن الكلب يقول لى ·· م هو يا انت · تموت يا أنا أموت ·· أحنـا كده ·· شـعب مش متعاون ·· لو كان قلبنا على بعض وايدنا فى ايد بعض ·· مكنش حصـــل اللى حصـــل ···

www.alkottob.com

ـ وحتروح بعيد ليه مشفتش الخناقة اللى حصلت على الاكل اول يوم.
ـ شـــايف الواد ده ...
ـ فـــين ...
ـ التخين ده ابو زنوبه ...
ـ آه ...
ـ بس اوعى تقول لحـد ...
ـ لا ...

ـ آه ..... ده ... احنا اتاسرنا سوا . يوم ٨ يونيو .. جابوه اليهود وقعد يخطب فينا يا حضرات .. انا ضابط مصرى زيكم .. متخفوش .. احنا خـلاص حنرجع بلدنا بعد يوم أو اثنين .. لان اليهود مفيش بينهم وبينا حاجة ... اللى كان بينهم وبين عبد الناصر .. ويسرنى أن أزف لكم الخبر الجميل ده اللى كلنـا بنتمناه .. ان عبد الناصر .. تنحى .. اســـتقال .. مشى وبالشكل ده يصبح مفيش سبب للحرب .. وحنرجع تانى لاهلنا واولادنا قريبا جدا ..

ـ مش معقول .. هو عبد الناصر استقال ... ؟
ـ آه انت متعرفش .. بس رجع تانى ...
ـ يا اخى اشاعة اسرائيلية .. احنا سمعناه بيخطب فى ٢٣ يوليو .. وانتم ... عملتم ايه ...
ـ كنا عايزين نقتله .. لكن ما باليد حيله .. اليهود بيحموه بالسلاح...
ـ وانت ايه رايك ... ؟
ـ زى ما قلت احنا شعب ميخافش الا بعنيه .. اللى يتجـــوز امى اقوله يا عمى .
ـ ولنقترب من مجموعة رابعة ....
ـ انا مش قلت من زمان .. من لا دين له لا شرف له ...
ـ حقيقى يا أخى البلد اللى تنسى دينها لازم يحصـل لها كده ...
ـ قول لى يا أستاذ .. أين الدين .. أين الصـلاة .. أين الفضيلة .. هل نعيش فى بلد اسـلامى ونستولى على أرض الناس وفلوسهم ومصانعهم اللى عرقوا وتعبوا فيها .. ربنا قال كده ..

www.alkottob.com

ـ يا اخ والله الواحد كان بينكسف يركب الاتوبيس من الانحـلال ٠٠ دى فوضى ٠٠ اخر زمن ٠٠٠

ـ ربنا مش راضى عنا ٠٠ ده انذار من الخالق عـز وجل ٠٠٠

ـ لكن م اليهود كفرة ٠٠ لماذا ينصرهم علينا واحنا مسلمين وخير امه٠

ـ مين قالك ٠٠ مش يمكن يكونوا اقرب لله منـا ٠٠ مش اليهوية دين سماوى ٠٠ مش يمكن يكونوا بيطبقوا تعاليم دينهم احسن ءنا٠

ـ على رايك ٠٠ على الاقل ما بيسجنوش مسلم علشان بينادى بتعاليم دينه واحيائها ٠

ـ انت عارف لو الاخوان فى الحرب دى ٠٠ كانوا شيبوهم ٠٠ الواحد من دول فى ٤٨ كان يطلع على اليهودى زى الوحش ينادى الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠ اليهـودى يترعب يسـيب سـلاحه ويهرب ٠٠ سبحانه مغير الاحـوال ٠٠٠

وهكذا تدور الاحاديث بين جماعتنا الصغيره كل اثنين كل ثلاثة كل اربعة ٠٠٠ نصبوا انفسهم قضاة ٠٠ وظلوا يرجمون المجتمع ثم يلصقونها بالنكسة ٠٠ بالحرب ٠٠ لقد هزمنا لاننا فراعنه ونمارده ٠٠ ومتخلفين نقطع الورود ٠٠ ولاننا لم نترك الاخوان يقتلوننا فى السينما والمسـارح ٠ ولم نتركهم ينسفون لنا الكبارى ومحطات الكهرباء !!!

وتحل ساعة الحبس ٠٠ ويتجه كل منا الى غرفته ٠٠ الى سـجنه ٠٠ فيؤدى حاجته أولا ٠٠ ويملأ اوانيه بالمـاء ٠٠ ويغسـل وجهه ورجليه من التراب ٠٠ واخيرا ٠٠ يقف الحراس اليهود يصفقون بأيديهم ٠٠ انتهت الحرية فلندخل إلى الاقفاص ٠٠٠!

الاضاءة طول الليل ٠٠ لاضوضاء ٠٠ الشبابيك مغلقة ٠٠ اذا مرض احكم فلينـاد على الحارس أقدم ضابط بالحجرة ٠٠٠

ـ مسـاء الخـير ٠٠ مين أقدم الضباط ٠٠٠

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

ـ العـدد كـام ٠٠٠ ؟

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

www.alkottob.com

ـ أحاد ٠٠ اثنين ٠٠ ثالوث ٠٠ رباع ٠٠ خمشة ٠٠ ســـباع ٠٠ شـــمونى ٠٠٠

ـ تصبحوا على خـير ٠٠٠

وتغلق الابواب بالترابيس ٠٠ ويوضـع عليها الاقفال من الخارج ٠٠

الان نحن فى مواجهة انفسنا ٠٠ وعلينا ان نقضى هذا اليوم ٠٠ بيومى يقلد اليمنيين ٠٠ الشيخ محمد يصلى يؤم المصلين ٠٠ محمود والجنـدى وفايز ومحمد يلعبون بوكر ٠٠ عاطف وعادل يتكلمون ٠٠ حتى نسقط بالتتالى نائمين ٠٠ واحدا ٠٠ تلو الاخر ٠٠ ونضع الجردل الذى نبول فيه ليلا خلف الباب ٠٠ ويطفىء آخر الساهرين النور ٠٠ وننام لنبدأ يوم جديد ٠٠٠

وتمر الايام الباقية من شهر يوليو حتى قرب نهايته وفى السبت الاخير من الشهر استدعى للاستجواب حوالى ٢٥ ضـــابطا مجتمعين ٠٠ كانت الاجراءات مخالفة للاجـــراءات المتبعة ٠٠ أكوام من البنطلونات الجبردين البيج بكل المقاسات ٠٠ قمصان بيضـاء ٠٠٠ أحذية بلاستيك ٠٠

فسـألنا ٠٠ ما الموضـوع ٠٠٠ ؟ وجاءنا الـرد ٠٠٠

رجل طويل يلبس الملابس المدنية ٠٠ ينادى علينا ٠٠ وكل ٥ ضباط او اربعة او ثلاثة يســـلمهم لاخر ٠٠٠ وهكذا حتى تبقى ٦ ضـــباط ٠٠ انا مهندس ـ وطبيب ـ ونائب احكام ـ ومهندس مركبات ـ ضابط اشارة ضابط مخفية ٠٠ يوجد رابط معين يجمعنا اكيد ولكننا لا نشـــعر ٠٠ ارتدينا ملابســـنا الجديدة ٠٠ واستلمنا الرجل المدنى ومعه اخـر يحمـل حقيبة عرفنا بعد ذلك ان بها طبنجة ٠٠ ركبنا ميكروباس ٠٠ واتجهنا خارج المعسكر نحن فى طريقنا لزيارة اسرائيل ٠٠ اول زيارة للاسرى المصريين ٠٠ الدنيا غريبة بعد السجن الطويل ٠٠ ها نحن نرى عربات مدنية ٠٠٠ رجـالا ونساء واطفالا يسرعون بعرباتهم فى اتجاه البحر ٠٠ الميكروباس يقف بعد مدة قليلة ٠٠ يلتفت لنا المرافق ويفرد خريطة لاسرائيل ٠٠٠

صباح الخير ٠٠ اول موضوع نتكلم فيه هو اننى اريد ان تنسوا انكم اسرى ٠٠ انتم الان ضيوف لاسرائيل ٠٠ سياح ٠٠ بالمفهوم ده نقدر نفهم بعض ونمضى يوما جميـلا ٠٠٠

www.alkottob.com

وقد يكون للضغط الشديد وفرصة التخلص منه ولو ليوم سببا لاننا جميعا ابتسمنا وقررنا فعلا أن نعتبر انفسنا سياحا ..

استمر فى كلامه .. هذه خريطة اسرائيل بعد ٥ يونيو .. (سـباح ايه الله يخرب بيتك هل هـذا كلام) وكأنه اكتشف ما يدور بفكرنا .. وأضاف الا اذا حل السلام فنحن مستعدون للرجوع الى الحدود السابقة .. وهذا المكان اسمه عتليت .. (كانت المرة الأولى التى نسمع فيها اسم المكان) نحن بجوار حيفا .. هذا جبل الكرمل .. زيارتنا سنصعد الى جبل الكرمل .. وسنرى حيفا من اعلى ثم سنذهب الى كيبوتز بجوار حيفا وسنزور اخواننا عربا فى الناصرة .. ثم نتناول الغذاء على شاطىء طبرية .. وانطلق الميكروباس .. العربات حولنا تحمل العائلات للبحر .. الرجال والنساء بالمايوهات فاليوم عطلة .. بلاج حيفا .. الشماسى الملونة .. المايوهات البكينى .. الجيلاتى .. النظارات .. حياة عادية .. كأنه لا وجود للحرب هنا .. العربة ترتفع فى طريقها الى اعلى الجبل .. السينمات .. افيشات أفلام رأيناها فى القاهرة .. السيدات البيضاوات بالشورت .. بالميكروجيب .. بالمايوه .. العربات الصغيرة تملأ الجبل .. من هنا الطريق الى الجامعة .. هذا فندق مبنى على أحدث طراز .. مبانى جديدة منشأة على مدرج الجبل .. هنا نفق للمترو يصل الى حيفا اسفل الجبل .. وفوق ربوة عالية تطل على حيفا .. توقف الميكروباس .. نطل على حيفا من أعلى .. جميله حيفا .. البحر الابيض .. نستنشق الهواء بملء رئتينا .. فناطيس بترول .. قبة ذهبية .. يشير اليها المرافق هذه مقبرة زعيم البهائيين . البهائية دين يجمع بين المسيحية والاسلام مكانه الاصلى ايران .. ثم انتقل لحيفا .. يوجد بهائيون فى الدول العربية .. وفى الهند ..

رجل يحتضن فتاة بجوارنا .. منظر يخدر الاعصاب .. هذه مبانى المهجرين الجدد .. كل اسرة لها منزل تمتلكه وتسدد ثمنه على اقساط .. حيفا تشبه اى ثغر لكن جميلة .. الاسكندرية أجمل .. هذه لها طابع .. والأخرى لها طابع آخر .. لا .. الاسكندرية اكثر جمالا .. وأكثر حضارة .. وهل الاسكندرية على هذه النظافة ونسبة الخضرة .. هذه

www.alkottob.com

تمتاز بالجبل المطل على البحـــر ·· حديث دار ســـرا فى غفـلة عن المرافق ركبنا الميكروباس ·

المرافق ـ هل عندكم ما يشبه ذلك ··· ؟

زميـــل ـ لا ···

آخر ـ بل يوجد ·· المقطم ···

آخر ـ الاسكندرية مثل هذه واجمل ···

آخر ـ المعادى ومصر الجديدة على نفس المستوى من النظافة ···

المرافق ـ الجبل كان مزروعا اشـجارا ·· لكن الانجليز فى الحـــرب العالمية حرقوه لانه قريب من البحر ويسهل التخفى داخله ·· بالمناسبة هـذا المبنى كان سجنا اقامة الانجليز أيام الاحتلال ·· لليهود ··

ـ الانجليز تركوا لكم البلد ·· وكان لكم حكومة ظل تحكم بجـــوار الحاكم الانجليزى ···

ـ أبدا كان الانجليز مستعمرين ·· ولقـــد حاربناهم ·· والعـــرب حاربوهم وكانوا دائما لا يفرقون بيننا ·· فى يافا ·· كان هنـــاك حى لليهود فى تل أبيب وحى للعرب فى يافا ·· فكان الانجليز يخطفون أطفـــال العرب ليتركوهم فى الحى اليهودى ··· ويخطفون اليهود ويقتلونهم فى الحى العربى ·· كى يزيحوا الاحقاد والتنازع ·· عبد الناصر بنفسه ذكر فى مذكراته أنه تكلم مع اليهود فى الفالوجا وسألهم كيف حاربتم الانجليز ·· نحن أولاد اسحاق ·· وأنتم أولاد أسماعيل ··· والاثنين أولاد ابراهيم ·· وطـول عمرنا بنعيش فى سلام ·· لماذا لا نعيش الان فى سلام سوف ترون اننـــا نبنى ونريد أن نبنى لكن بجوار كل مبنى وبجوار كل مصنع خندق ·· لمـــاذا ؟

وصلنا الى الكيبوتزيم ·· مبانى حديثة الطراز ·· يستقبلنا رجـال بسـطاء جدا بترحاب ·· السـيدات والفتيـات بالشـــورت والبـــلوزة والصندل ·· مستوى الجمال عالى ·· رجل كبير السن يستقبلنا بترحاب زائد ·· انه السكرتير العام للكيبوتز حاليا ·· هكذا نتعرف عليه ···

ـ اتفضلوا فى حجرة الاجتماعات ···

أطباق برقوق أحمر وأصفر ·· تفـــاح ·· كمثرى ·· نلتف حـــول المـائدة ···تفضلوا انتاج مزارعنا ·· يتكلم عن لنظام فى الكيبوتز ···

www.alkottob.com

استمعنا اليه واعيننا على البرقوق والتفاح والكمثرى ·· فلقد طال حرماننا منها ·· ولكن الكرامة البرجوازية كانت تمنعنا من ابداء هـــذه الرغبة صراحة ·· لذلك فقد كنا نستمع اليه فارغى الصبر ·· نريد أن ينتهي لنبدأ بالالتهام ··

ـ الحياة عندنا ديموقراطية ·· كل الناس تشتغل ·· كل الناس تعيش نفس العيشة الادارة والقيـــادة بالانتخاب ·· وكل زوجين لهما منزل ·· الأطفال فى منزل خاص بالاطفال تحت رعاية موحدة ·· واكل موحـــد ·· الاطفال لا ترى آباءها الا فى العطلات وبعد الظهر ساعتين ·· الشابات فى منزل ·· والشـــبان فى منزل ·· وممكن يتزوجون ·· ويكون لهم منـــزل منفصل ·· لكنهم عادة يتزوجون من خارج الكيبوتز ·· الخدمة فى المطعم بالدور كل فرد له مصروف شخصى شهرى من ٢ : ٣ جنيهات ملابسه على الكيبوتز بالطبع ·· الارباح نزيد بها المنشئات ونرفع مستوى المعيشة ·· جزءا آخر نعمـل به رحلات للخارج ··· الناس تتفسح ·· وتتعلم أشـياء نافعـة للكيبـوتز ··

التعليم حتى المرحلة الثانوية ·· وفنى حسب احتياجات الكيبوتز ·· وهناك تعليم اكثر من ثانوى أيضا حسب احتياجات ومطالب الكيبوتز ··

ثم شعر بالملل الذى انتابنا ·· فانهى محاضرته ·· هل تريدون أن تسألوا ·· شيئا ·· ؟

ـ متى أنشىء هذا الكيبوتز ··· ؟

ـ سنة ١٩٣٩ ·· واسمه ·· ضاليا ·· ولقد أنشىء بواسطة الوكالة الصهيونية بعد أن اشترتها من اصحابها اليهود وجعلتها ملكا للسكان ·· وكان اسمها القديم «« جديرة »» وانشاتها سنة ١٨٨٤ ولكنها لم تكن كيبوتز انما أصبحت ملكيات بمفهوم الكيبوتز ١٩٣٩ ·

ـ لماذا لا يعيش الاطفال مع أهلهم ··· ؟

* ـ هنا كلنا نعمل ·· الرجال والنساء ·· والنساء حصـــلن على حقوقهن المساوية للرجل ·· ومن لذلك لا يستطعن أن يتفرغن لابنائهن ·· لذلك تقوم مدرســات مدربات برعاية جميع الاطفـــال ··

www.alkottob.com

هامش (ان العائلة فى الكيبوتز تعتبر مجازى الى حد ما٠٠ اذ انه لا توجد حياة عائلية بالمعنى الذى نفهمه ٠٠ ويتضـــح من مراجعة تاريخ الكيبوتز أن قادة حركة الكيبوتز وروادها كانوا يعتبرون الزواج مؤســـسة برجوازية مهترئة أو فاسـدة لا تتناسب مع حياة الكيبوتز ومثلهـا وللقيم الاقتصادية والاجتماعية فيها « توقعت أن تقضى حركة الكيبوتز على الزواج والعائلة بالمعنى التقليدى » (سبيرو صفحة ١١٠) ٠٠ والواقع هو أن تغيير مؤسسة الزواج وضع « الرواد » أمام مشكلة مستعصية زادتها تعقيدا زيادة عدد الرجال على النساء بنسبة ٢ : ١ ٠٠٠ وقاموا بتجارب عديدة منهـا تعدد الازواج ٠٠٠ وتعدد الزوجات (سبيروا صفحة ١١) ٠٠ وكسروا طوق الحياء الجنسى فاسسوا الحمامات المشـتركة ولكنهم لم يلبثوا ان تخلوا عنها ٠٠ وعلى أى حال فقد اعتبروا الجنس مسالة شخصية والزواج مسالة مزاجية ٠٠ لا تحتاج الى اذن أو مراسم من قبل المجتمع سواء فى مطلعهـا أو نهايتها ٠٠ وحتى يومنا هذا كل ما يحتاجه الزوجان لاعـــلان زواجهما هو التقدم بطلب غرفة مشتركة ٠٠ والغاء ذلك الترتيب عنـــد الافتراق ـ وبذلك فالرجل والمراه لا يتزوجان بل يصـــبحان « زوجين » ٠٠ اى اثنين « ٠٠ والمراة لا تحصـــل على زوج بل على شـــاب او رفيـق والشـــاب لا يحصل على زوجة بل رفيقة ٠٠ صديقة ٠٠ ولذلك فالاطفال بهذا المعنى يصبحون ابناء للكيبوتز ٠٠ يعلمـــهم ويربيهم على الولاء المطـــلق للدولة والكيبوتز وكراهية الاعداء ٠٠ فاصلا اياهم عن ابويهم ٠٠ وامثـــلة ذلك واضحة فى اكثر من قصة من قصص الجيل الجديد الاسرائيلى ٠٠ وخاصة ابنة موشى ديان) ٠٠

ـ ماذا تفعلون للرجل الذى لا يريد أن يعمل ٠٠ اولا يرضى عن العمل الموكل له ٠٠٠ ؟

ـ اولا النصيحة ٠٠ ثم توجيه النظر ٠٠ ثم الطرد بعد « الاجتماع العام

هامش : ان فلسفة الكيبوتز تقوم أساســـا على فلســفة ا ٠ د ٠ جوردن (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) صاحب فلسفة « دين العمل » ٠٠ الذى نادى بالعمل كظاهرة خلاقة وقيمة عليا ٠٠ وكان دائما ما يحض على العمـــل كخلاص للشعب اليهودى « ان شعبا تعود جميع انماط الحياة عدا النمط الطبيعى ـ اى تحقيق الاكتفاء الذاتى عن طريق العمل ـ لن يصبح شعبا حيـــا عاملا الا اذا بذل اقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف ٠٠

www.alkottob.com

ان العمل ليس مجرد العامل الذى يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب ·· بل هو القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية أيضا ان العمل هو مثل انسانى أعلى للمستقبل والمثل الاعلى يشبه الشمس الشافية ·· اننا بحاجة الى متعصبين للعمـــل متزمتين له بأعلى معـــانى الكلمة « جوردن » ·· وكان بن جوريون هو الذى وضع هذه الفلسفة موضـع التنفيذ واعتبرها خلاصا للشعب اليهودى حتى أنه كان يقضى شـهرا من كل سنة فى الكيبوتز يعمل فى الفلاحة ·· وهو يقول سنة ١٩١٥ · « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى ·· سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكدحنا ·· ان أرض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراســها من صفوفنا » ·· (المصدر بن جوريون بعث اسرائيل ومصـــيرها ») ·· وفى موضع اخر قال ·· « الحياة فى الكيبوتز صعبة ··· وفيها الكثير من ملامح التقشف فى حياة الجندية وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتهـا اذا لم يكن المضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعا » ··· « ان تمهيد الارض وخلق الشروط هو من عمل الطلائع ·· طلائع العمل والعلم والبناء مسلحة بارادة قومية ووعى تبشيرى ··· قادرة على أن تدمج مصـائرها الفردية فى هدف سام وعارفة كيف تطوع حيـــاتها لتحقيق أحـــلامها ··· ···

ـ بن جوريون ـ

من هذا نستطيع أن نفهم مدى سذاجة السؤال ·· ومدى الاندهاش الذى اجاب به سكرتير الكيبوتز ·· فالمفروض أن المنضم للكيبوتز طليعة متحمسة مندفعة لبناء الوطن الاسرائيلى القومى ···

ـ هل هذه اشتراكية ماركسـية أم اشتراكية اصـــلاحية أقـرب لأوين ··· ؟

وتغـابى الرجـل ·· فلم يرد على الســـؤال ·· ثم قمنـا لزيارة الكيبوتز ·· بعد ما انهينا على الاطباق الممتلئة امامنا ···

زرنا منزل عائلة :

حجرتان احداهما للنوم واخرى بها انترية خفيف جدا ·· مكتبة ·· راديو ·· ثلاجة صغيرة جدا ·· حمام ·· لا مطبخ ·· لا حجرة طعام ·· لا حجرة اطفال لا حجرة استقبال ·· مخلفا اكثـــر من منزل ·· كلهـــا متشابهة ·· نظيفة تتخللها الشمس والهواء ···

www.alkottob.com

فى طريقنا الى عنبر الاطفال ·· اشار سكرتير الكيبوتز لبعض الاكواخ الخشبية ·· قائلا : هـذة كانت مسـاكننا القديمة فى بداية انشـــاء الكيبوتز ·· بالطبع ازلناها وأقمنا مكانها هذه المساكن ·· ولكننا تركنا بعضها لنتذكر دائما ما استطعنا انجازه خـلال هذه السنوات بالعمل ··· ولنتطلع الى مستوى أحسن ···

عنبر الاطفـــال :

حجرات متجاورة ·· بكل حجرة من ٢ الى ٤ اسرة أطفـال ·· تحت كل سرير شبشب صغير ·· فوقه بيجاما ·· حجرة للالعاب ·· حجرة للاكل والدراسـة ·· الاطفـال كلهم فى الخارج يلعبون مع أبائهم يوم عطلة ·· دورة مياه بها مياول ومراحيض صغيرة خاصة بالاطفال ·· وفرش أسنان وفوط ··

فى الطريق الى المركز الثقافى ··· المرافق يعلق على ما شاهدنا ··

الطفل يتربى فى بيوت الحضانة منذ أن يرى النور حتى سن الثامنة عشرة وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام ·· فيوضـع الطفـل فى بيت الحضانة ·· ويبقى هناك مدة سنة واحدة وتتولى الام ارضاعه بينما تتولى المربيات تربيته ·· وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى الروضة حتى سن الرابعة ·· وفى تلك المرحلة يسمح للابوين باصطحاب طفلهما الى البيت لقضاء بضعة ساعات معهما ·· وفى سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرسـة الاطفال وهى التى زرناها الان ··· وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغه السابعة حيث ينتقل الى المدرسة الابتدائية التى تكون بمثابة بيت لهم ايضا حتى سن الثانية عشرة فيعيش فى منازل الشباب حيث يتعلم فى المدرسة الثانوية « أو مؤسـسة التعليم » حتى الثامنة عشرة ··· حيث يلتحق بالجيش ···

وكنا قد وصلنا الى المركز الثقافى ·· مارين من خـلال مماشى مبلطة ببلاطات كبيرة ومزروعا فيما بينها يحفها من جميع الاتجاهات الاشجار ذات الازهار الملونة ·· بين طوابير النساء والرجال والاطفال القادمة على الطريق يلبسون المايوهات ويحملون على اكتافهم أطفالهم ·· الاطفال صحتهم جيده جدا ·· الدماء تجرى فى وجوههم بشـدة · بعض الجـــاميع تغنى ·· دوأد ير ·· وكلاما أخر بالعبرية ···

www.alkottob.com

شاب وفتاة فى ركن تحت شجرة يتناجيان ·· ولا ينظر لهما سوانا نحن الستة المصريين ·· المرافق يبتسم ويقول هـذا هو سن الحب ···

المركز الثقافى مبنى من طابقين ·· ولذلك فهو اكبر المبانى الموجودة ·· به مكتبة هائلة ممتلئة بالكتب العبرية ·· بعض اغلفتها توحى أنها مترجمة ·· مسرح أنيق ·· أماكن للقراءة أو لسماع الموسيقى ·· السيمفونية التاسعة لبيتهوفن تشدنى ·· أقف لاستمع الى الكورال فى الحركة الرابعة ·· سكرتير الكيبوتز يعلق ·· لم نكن نملك كل هذا منذ ثلاثين سنة ·· ولكنه جهد عمل هذه السنين ·· لم يساعدنا أحد ·· بجوار المركز الثقافى حمام سباحه رائع ·· حوله الارض مزروعة من كل جانب ·· الشبان والشابات يجرون · يلعبون بالكرات الخفيفة ·· العجائز مستريحات على كراسى بلاج يتشمسن ·· يعتنى فى هدوء ·· كأن الحرب فى مكان آخر فى المريخ مثلا ·· الاطفال تجرى حولى ·· أطفال ذوو شعور صفراء ممتلئين يكاد يخرج من وجوههم الدم ·· أربت على رأس أحدهم ··· فينظر الى بأستغراب ··

هذه هى السعادة ·· حقا ·· قطعة من الجنة ·· بالتأكيد هم سعداء جدا ·· يعملون ·· يأكلون ·· يلهون ·· صحتهم جيدة ··

هامش (فى مجال الحديث عن الحياة الاجتماعية علينا الا ننسى أن العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق ·· وبعد انتهاء ساعات العمل يتجه سكان الكيبوتز الى الحمامات ليغتسلوا ومن ثم يصرفون بعض الوقت فى رؤية أولادهم بمدارسهم ومؤسسات « التعليم الجماعى » حتى وقت العشاء ·· والواقع هو أن صالة الطعام العامة هى مركز الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز ·· وذلك لاسباب « عقائدية جماعية » ولاسباب (ظرفية تاريخية) تتعلق بظروف السكن وعدم صلاحية الغرف الضيقة لاستقبال الضيوف ··

فى صالة الطعام العامة تجرى المناقشات وتتم اللقاءات بين جميع أفراد الكيبوتز يستمعون الى الراديو — قبل أن تعم الراديوهات — وفى بعض الاحيان يشاهدون الافلام السينمائية والحفلات الموسيقية ولكن مع ذلك لا يزيد هذا على أكثر من مرة فى الاسبوع أما بقية سهرات الاسبوع

www.alkottob.com

فيقضيها الاعضاء باجتماعات اللجان ·· والاجتماعات العامة ومع أن أجهزة الراديو الخاصة قد كثرت فى الاونة الاخيرة واتجه أعضاء الكيبوتز نحو قضاء بعض السهرات فى مساكنهم الخاصة ·· الا أن الحياة الاجتماعية بقيت باهته لسبب فقدان الحياة الخاصة وضعف وسائل الترفيه والتسلية وضعف ضيق الدائرة البشرية ·· ولما كان نظام الكيبوتز نظاما مغلقا فقد كثرت الثرثرة والاصطدامات الشخصية ·· ولعل العطلة السنويه تتنفس متنفسا لضغط الحياة الاجتماعية مع أن مشكلة عدم توفر النقد المخصص للرحلات تحد من امكانية قضاء بعض الوقت خارج الكيبوتز ·· وخلاصة القول فان الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز تشكل انعكاسا للحياة شبه الصدريه التى يعيشها سكان المستعمرات الجماعية وهى متأثرة بالمقاييس الثقافية والجماعيه التى وضعها مؤسسو حركة الكيبوتز فى مطلع القرن ·· « الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى اسرائيل » عبد الوهاب الكيالي) ·

عدنا فى طريقنا الى خارج الكيبوتز ·· مررنا بالمطعم ·· صالة واسعة أنيقة جدا ·· الاضاءة مختفية وهادئة ·· المفاضد مرتبة جيدا وعليها الشوك والمعالق والسكاكين والملاحات والمسطردة ·· السرفيس ·· انسات يدفعن أمامهن عربات عليها الاكل الساخن · المطبخ نظيف جدا يعمل بالبخار لا رائحة ·· لا قاذورات ·· كأننا فى مستشفى نظيف ··

زميل ـ بالطبع كانوا يعلمون بزيارتنا مقدما ···

آخر ـ حتى لو كانوا يعلمون فالمستوى رائع ···

خرجنا من مكان الايواء ··· ودارت الاحاديث الثنائية بيننا ···

ـ المستوى رائع ·· هل تتخيل أن هؤلاء فلاحين ··· ؟

ـ فلاحين بالمشورت والمايوه والشوكة والسكينة ···

الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين فلاحينا وهؤلاء ···

والآن الى اماكن العمل ·· الارض ·· التى قال عنها أحد قادة التكتلات العمالية الثالثة فى الارض المحتلة فى مجلة يهودية تصدر فى نيويورك « لقد تم شراء الارض التى أقيمت عليها الكيبوتزات بواسطة المهستدروت من الاقطاعيين غير المقيمين وجرى أبعاد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة أو بدون تعويضات على الاطلاق ·· وكثيرا ما تعرض الفلاح العربى وعائلته الى الاجلاء القهرى لرفضه النزوح عنها ·· وكان شبان الكيبوتز المتيد يسارعون الى طرد الفلاح العربى بالقوة

www.alkottob.com

ويستعينون بالشرطة أحيانا ٠٠٠ كثيرا ما كانت عودة النظام تعنى اهراق دم الفلاح العربى (نيويورك سنة ١٩٦٢ صفحة ١٣) مورد كاى شتاين (الى اتحاد عمال امريكا حول الهستدروت) ٠

الارض ٠٠ مزروعة قطنا ـ قطن هنا ٠٠٠ !

ـ اجرينا تجارب حتى وصلنا الى زراعته ٠٠

ـ الزراعة اتوماتيكية ٠٠٠

ـ كيف عرفت ٠٠٠؟

ـ خطوط شجيرات القطن فى خط مستقيم كانها رصت بتيدوليت ٠٠؟

ـ نعم ٠٠ عندنا الحرث ميكانيكى كذلك بذر الحبوب والجنى ٠٠

ـ وكيف تحافظون على الخطوط المستقيمة نظيفة بدون حشائش ٠٠

ـ نرش مواد بين الخطـــوط تمنع نمو أى مزروعات أخـــرى حتى ولو كانت قطنا ٠٠٠ لنعطى الفرصة لشـجرة القطن بأمتصـــاص كل المواد ٠٠٠؟

ـ ولكن هل كل هذا قطن ٠٠٠ مساحات كبيرة ٠٠٠

ـ لنستطيع رشـــها بالطائرات ٠٠٠؟

ـ وكيف ترووونها ٠٠٠ ؟

ـ بواسطة المواسير والرش ٠٠ لان المياه عندنا قليلة لابد ان نستفيد من كل نقطة منها للزراعة ٠٠ توصلنا الى قطن مستواه جيد وان كان قطنكم لا ينـــافس ٠

وقفت انظر الى حقول الممتدة الى مدى الرـية ٠٠ وفجاة تخيلت أن القطن قد تحـول الى قطن احمـر ٠٠ انه مصـبوغ بدماء القتلى المدفونين فى هـذه الارض ٠٠

اتجهنا الى مكان تربية الحيوانات ٠٠ ابقار فريزيان ٠٠ الحـلب اتوماتيكى ثم يعبا فى عربات ثلاجات ٠٠ الفراخ ٠٠ البيض ٠٠ مصنع علب خضار ٠٠ الخيل ٠٠ جراج الجرارات والعربات ٠ وانتهت الزيارة ٠٠ ركبنا الميكروباس مغادرين الكيبوتز فى اتجاه اكمال رحلتنا ٠٠٠

ـ مستوى حضـــارى عالى ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ هل رأيت مديرية التحرير ٠٠ لا تقل عن ذلك ٠٠٠
ـ كل العالم أصبح فى هذا المستوى ٠٠ عدا ريفنا المتخلف ٠٠٠
ـ هل رايت البنت المرتدية شورت أحمر ٠٠ ذات الشعر الاصفر ٠٠ كالقمر ٠٠٠
ـ اولاد الكلب ٠٠ فى منتهى الجمال ٠٠٠

الطريق الى الناصرة ٠٠ جميل ٠٠ هكذا تخيلت الطريق وانا مغمض العينين فى رحلة الوصول لعتليت ٠٠ الطريق العريض فى منتصفه جزيرة مزروعة على جانبيه بيارات البرتقال ٠٠٠

ـ هل كل هذه كيبوتزات ٠٠٠ ؟؟

ـ كيبوتز ٠٠ فى اللغة العبرية تعنى جماعة ٠٠ مؤنثها (كفوتزا) ٠٠ ونستعملها للتقليل أى جماعة صغيرة ٠٠ والان تعنى هذه الكلمة جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا فى مزرعة جماعية والكيبوتزات عندنا متفاوتة بعضها يضم ٣٠ نسمة والاخرى ١٥٠٠ أما الكفوتزا فهى مستعمرة يقل عدد ساكنها عن ٣٠ نسمه ٠٠ والكيبوتز ليس الشكل الوحيد للزراعة عندنا ٠٠ فبجوار الكيبوتز والكفوتزا يوجد الموشاحيم وهى قرية تعاونية يمتلك الارض فيها أصحابها ولكنهم يعيشون بتسويق جماعى وعمل جماعى وعندنا قرى ذات ملكية خاصة ومدارس زراعية بالاضافة للقرى العربية ٠٠ عندنا حوالى ٨٣٨ قرية زراعية منها ٥٩٢ قرية جماعية من هذه الـ ٥٩٢ حوالى ٢٢٨ كيبوتز يسكنها حوالى ٨٨ ألف من حوالى نصف مليون ٠٠ ولهذا فليست كل الاراضى التى نمر عليها كيبوتزات ٠٠٠

ـ وهل العرب يعيشون أيضا فى كيبوتزات ٠٠٠ ؟

ـ لا فطبيعتهم ترفض الحياة الجماعية كل منهم يريد قطعة ارض خاصة به ٠٠٠

هامش

(يسكن الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من أوربا الشرقية والذين تلقوا التوجيه و التدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين ٠٠ ومن يهود أوروبا الوسطى والغربية (اثر الاضطهاد النازى) ومن الصابرا اى ابناء المهاجرين المولودين فى فلسطين من أعضاء حركة الكيبوتز فى المدن ٠٠ والجدير بالذكر فى هذا الصدد هو ان تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وقائدها الرئيسى كان قد شدد فى مذكرته على أهمية طرد الفلاحين العرب من أراضيهم واستنبط لهذه الغاية وسائل متعددة ولعل

www.alkottob.com

الكيبوتز كانت فى هـذا الصدد وسيلة مثالية لاستقدام اعـداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم وربطهم بالارض الفلسطينية والتنظيمات العسـكرية والعمالية الصهيونية ربطا محكما واجلاء العرب عن أرض فلسـطين لذلك لم يسـمح اطلاقا لأى عربى بالحيـاة فى كيبوتز ٠٠٠ وبالتالى لم يسـمح للعرب بأقامة كيبوتزات خاصة بهم لانها بذلك تفقد سببها واهميتها العسكرية ٠٠ وتربط العرب بأرضهم فى شـــكل متماسـك لا يريدونه ٠٠٠)

زميل يضربنى ضربات سريعة من أسفل المقعد لارى طـائرات تندفع من بين الحقـول وترتفـع لأعلى ٠٠ هنا مطـار سرى ٠٠ المرافق يحـاول أن يلفت نظرنا لشىء آخر فيقدم لنا سجائر من علبته ٠٠٠

وصلنا الناصرة ٠٠ مدينة عربية فعلا ٠٠ المبـــانى القديمة من دور او دورين على الاكثر ٠٠ الشوارع الضيقة المتلئة بالاطفال ذوى الجلاليب ٠٠ القهاوى الكثيرة ذات الكراسى القش والنراجيـل ٠٠ عربات الفـول والطعمية والكوبيبة ورائحة الزيت المحروق ٠٠٠ الحلويات الشامية ٠٠ الراديو العـالى ٠٠ أكوام برتقال وليمون وخضروات ٠٠٠

ـ مثل أى مدينة عربية ٠٠ الناصرة ٠٠٠

ـ هنا بشرت الملائكة السيدة مريم بميلاد المسـيح ٠٠٠

هذه كنيسة البشارة ٠٠ هنا مكان الحقل الذى حول فيه المسيح الماء الى نبيذ ٠٠٠ واردف ٠٠ والله العرب مش عايزين يغيروا الطابع بتاع بلدهم رغم انهم أغنياء لكن الواحد يفضـل يحوش عن أن يبنى لنفسـه بيتـا ويفرشه ٠٠

الميكروباس يسرع فى اتجاه الناصرة الجديدة ٠٠ بلد نظيف ٠٠ فيلات على الطراز الحديث ٠٠ الشوارع واسعة ونظيفة ٠٠ المنازل من أعلى الجبل تطل على منظر رائع للسهل ٠ المرافق يتفق مع أجد السكان الاسرائيليين على أننا سنعود له حوالى الساعة الرابعة ٠ الميكروباس يتجه الى بحيرة طبرية ٠٠ نقف داخل محطة بنزين ٠٠ صاحبها عربى ٠٠

ـ مين دول ٠٠٠ ؟

ـ أصدقاء من القاهرة ٠٠٠

ـ أهلا ٠٠ أهلا ٠٠ كيف الحال فى القاهرة ٠٠٠ ؟

www.alkottob.com

ـ الحمد لله ٠٠ كيف حالكم انتم ٠٠٠٠ ؟

ـ والله كويس ٠٠ احنا عايشين فى بلدنا ٠٠ الخير كتير والحياة عظيمة ولا يوجد ضغط أو أى مشاكل ٠٠ والله احنا ما كنا نريد أن يثور الموضوع لهذه الدرجة ٠

ثم حاول أن يكمل بسرعة خطبته التى اعدها مسبقا ٠٠ ولكن المرافق من مقدرتنا الذهنية على الفهم فاشار للسائق بالتحرك قائلا متشـــكرين يا اخى ٠٠٠

ـ والله احنا عايزينهم معانا شـوية ٠٠٠

اكتشف أننا ننظر له باستهزاء وفى نفس الوقت باستنكار لمحاولته التقليل

ـ متشكرين لدينا اعمال أخرى هامة ٠٠

طبرية بحيرة ميـاه عذبة ٠٠ هادئة جدا ٠٠ الجـو جميل وان زادت الرطوبة قليلا لان مستوى منسوب الأرض تحت منسوب البحر فهى اكثـــر نقطة منخفضة على الارض ٠٠ والرطوبة والحرارة تسمح بزراعة الموز ٠٠ وصيد الاسـماك وتربية الحيوانات والطيور الداجنة ٠٠ كذلك السـياحة بفتح كازينوهات أو فيلات للتصييف وهـذه الاعمال التى يعيش عليهـا الاعداد المتلاصقة من الكيبوتزات ٠٠٠

سمنزور كيبوتز منها ٠٠ كيبوتز دجانيا وهـو اول كيبوتز انشىء فى فلسطين سنة ١٩١٠ ٠٠ كان اول مكان زرناه هو المطعم ٠٠ صالة واسعة تشبه السابقة ٠٠ ولكنها اقل رفاهية فى الواجهة الامامية شباك واســع له كونتر ٠٠ يطل على المطبخ ٠٠ وفى نفس الصالة صفت مناضد خشبية كبيرة حولها كراسى خفيفة ٠٠ والمناضد مغطاة بمفارش بسيطة ٠٠ والطراز المعمارى لهذه الصالة يرجح بانها منشأة منذ مدة طويلة ٠٠ شـــاب وفتاة يدخلان لروعيتنا بدافع حب الاستطلاع ٠٠ الشاب يربى شـــعره على هيئة البيتلز والفتاة تطلق شعرها الاصفر الطويل فى اهمال وترتدى بلوزة حمراء وشورت أبيض قصـير جدا تبدو مثل ممثلات السـينما ٠٠ ننظر لهمـا نحن ايضـــا باسـتطلاع ٠٠٠

المرافق يشرح لنا ـ هؤلاء الشباب من الدول الاسكندنافية ٠٠ يحضرون لقضاء العطلة ويعملون مثـــل باقى افراد الكيبوتز ٠٠ بالطبع لا يأخذون

www.alkottob.com

مرتبات ·· فاذا اعجبتهم الحياة عاشـوا معهم ·· وان لم تعجبهم يعودين ·· ولكن عادة ما يبقون فشكل الحياة هنا يجذبهم كثيرا ··

هـامش

ان الاسلوب المتبع فى اختيار الاعضاء الجدد يعتمد على مبدأ التجربة ·· أى أن الراغبين فى الانتساب يقضون فترة تجريبيه فى الكيبوتز قبل قبولهم اعضاء فيها ··· وتقسم هذه الفترة التجريبية الى قسمين : المـدة الاولى والحد الادنى المقرر لهـا هو ستة اشهر يعتبر المتقدم بطلب الانتساب بمثابة ضيف ·· فاذا وافق الاجتماع العام بأغلبية بسيطة على انتسابه يصـبح عضوا مرشحا لمدة لا تقل عن نصف عام أيضا ··· ولا يصبح عضوا عاملا الا بعد موافقة ثلثى اعضاء الكيبوتز أو ثلثىحضور الاجتماع العـام على الانتساب الكامل للكيبوتز ·· وهناك حقيقة هامة عن تصية الانتـسـاب وهى أن عضوية الكيبوتز تزداد لا بفضل الانتسابات الفردية بل بفضلانتساب أعضاء حركات الشباب جماعيا « بن يوسف ص ٨٨ »

تناولنا الغذاء ·· سوسيز ·· وبطاطس بالصلصة البنية ·· ومكرونة وشراب عصير البرقوق ·· ثم بعد ذلك كمثرى وبرقوق طازج ·· وابتدأنا جولتنا فى الكيبوتز بالمرور على قسـم الدواجن ·· القسم منظم ·· ونظيف ومعد بطريقة مبتكرة تناسب الجو الحار فهناك ادشاش من المياه البـاردة المسـتمرة ترطب الاقفاص والمنطقة المحيطة ·· ورغم ذلك فلم نهتم كثيرا بالقسم فلقد اصابنا الملل والتعب بعد اكثر من شهرين كسـل فى حجراتنا ومشينا شبه نائمين خلف سكرتير الكيبوتز ·· حتى وقفنا أمام شـاب اسمر من عمـال الحظيرة يتكلم اللغة العربية باللهجة المصرية بوضـوح ·· نشد انتباهنا التففنا حوله ··· لقد وجدنا قطعة من مصر هنا فى أعمـاق اسرائيـل ···

ـ انا مصرى ·· مصر أجمل بلاد الدنيا ·· زرت بلاد كثيرة لم أجد هو حياتى ما هو أجمل من القاهرة والاسكندرية كان يتكلم صـادقا ·· بل كان سعيدا بنا ·· فلقد وجد فينا قطعة من مصر أيضـا ·· يا حبيبى يا مصر ·· كم وحشتينى ·· كم وحشتنى شـوارعك ·· حواريك ·· ترابك ·· ناسـك ·· حتى شحاتينك ·· كل ما هو جميل فيك وكل ما هو سيء · واستمرت جولتنا · المركز الثقافى ·· المنازل ··· ·· ·· ·

www.alkottob.com

•• المستشفى نفس الكلام •• نفس الفلسفة •• ولكن كان هناك شىء جديد فالمستعمرة فى مواجهتها هضبة الجولان عبر بحيرة طبرية •• ولذلك فالاستعدادات العسكرية تغلب عليها •• بل الطابع العسكرى واضح فى كل مكان •• الخنادق المكشوفة والملاجىء المغطاة •• أسوار السلك الشائك •• أبراج الحراسة •• الكشافات الضخمة ••• صفارات الانذار • • لاحظ المرافق نظراتنا • • فقال :

هضبة الجولان فعلا تسيطر سيطرة كاملة على المستعمرة •• ولكن لن تصدقوا ان خسائر المدفعية السورية هنا لم تتعد بعض بقرات •• وبعض المبانى ولا خسائر اطلاقا فى الارواح •••

هامش

استند الجيش الصهيونى شبه السرى فى فلسطين الانتدابية (الهجانا) الى الكيبوتزيم فى التجنيد وفى التدريب السرى وفى اخفاء الاسلحة السرية •• (موشى كريم) •

ان شعب اسرائيل هو الجيش •• اذ أن جميع المواطنين من ذكور واناث هم أفراد فى الجيش فهذا الوضع وحده يؤمن شروط بقاء جزيرة اسرائيل فى محيط عربى (بن جوريون) ••

فى ظل هضبة الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية الهادئة وقبل غروب يوم من ايام يوليو ما بعد الذكرى جلسنا •• سنة ضباط اسرى مصريين ••• ومرافق صهيونى (عرفنا من الشاب الاسمر الذى قابلناه أنه سكرتير حزب المابای الحاكم) •• فى كيبوتز دجانيا أقدم المستعمرات العسكرية الزراعية الاسرائيلية وثلاثة مواطنين أسرائيليين كانوا فى يوم ما •• مواطنين مصريين •• جلسنا حول منضدة طويلة فى كافتريا اعدت للسياح •• كل الموجودين يتكلمون اللغه العربية واغلبهم بلهجه مصرية عدا سكرتير الكيبوتز فكان يتكلم الانجليزية •• واستمرت دردشة عن القاهرة •• وحواريها وناسها •• •• وملاهيها •• والتغييرات التى حدثت فيها •• المعتبة وميدان رمسيس ••• نقلوا تمثال النهضة أمام الجامعة •• واقمتم الكورنيش بالطبع والهيلتون والسد العالى •• وتخدر كل الموجودين •• نحن من ذكرى بلدنا •• والحديث عنها فى هذا المكان الرومانسى وهم من ذكرى أيام صدر شبابهم التى عاشوها فى بلدنا •• سقطت العداوات •• وتقاربنا بشدة •• وتحمس أحدهم فاشترى علبتين سجائر امريكانى •• اعطاهما لنا ••• وتحمس آخر ••

www.alkottob.com

فأشترى لنا زجاجات مياه غازية منعبشة من البرودة ·· والرطوبة ·· وفجأة دار حديث بالعبرية بين سكرتير الحزب المرافق لنا وسكرتير الكيبوتز ·· ثم ترجم لنا المرافق الحديث فقال : لم اكن أعرف هـذا حقـا ·· ولكن ابن سكرتير الكيبوتز أصيب فى الحرب الاخيرة وقطعت رجلاه ·· ومع ذلك يرحبكم ····

مناورة سخيفة مكشوفة ردتنا بقسوة للحقيقة ·· اننا بين ايدى أعداء ·· أننا أسرى وصحونا من الحلم لنستمع فى ملل الى ما يقوله سـكرتير الحزب ·· نحن نريد أن نعيش فى سـلام ·· كل المواطنين هنا لا يريدون الحرب نريد ان يعيش أطفالنا خارج الملاجىء والخنادق ·· عشنا تحت الارض اكثر مما عشنا فوقها ·· نريد أن نستمتع بالشمس ·· كنت استمع اليه وأنا انظر حولى متلهيا ·· الفتيات والشبان حولنا كثيرون ·· معظمهم غربيون ·· الملابس كلها شورتات وبلوزات ·· فتاة يتعلق بها بصرى واحاول أن أتاملها اكثر ما يمكن ·· متوسطة الطول تلبس شورت ابيض وبلوزة ركامة بيضاء ·· شعرها الاصفر منسدل باهمال حول رقبة طويلة بيضـاء تحمل وجها له أجمل ابتسامة رأيتها فى حياتى · الشمامسى على البلاج ·· بيك أب مع بعض الاسطوانات موسيقى راقصة قادمة لنا من بعد · ونحـن فى طريقنا الى الميكروباس مبانى جديدة منفذة جيدا ·· الخرسانة غير محتاجة لبياض فهى منفذه بحيث لا تغطى بالبياض لتتحمل رطوبة المنطقة ·· الشرفة على الكافتريا ترحب بنا بابتسـامة لزجة ·· انها زوجـة وزير ·· الوزير نفسه من سكان الكيبوتز ·· نركب الميكروباس ·· أنظر لا خر مـرة الى لابسة الشـورت الابيض ·· هذا الشباب لـماذا يتحول الى وحوش ··· ؟؟

هـامش

(اسرائيل فى حقيقتها ·· مقدمه للاستعمار الامبريالى العالمى فى الشرق الاوسـط ·· انشـأتها انجلترا لتحـافظ على ممتلكات التـاج البريطـانى فى المنطقة ·· « ان قيام دولة قوية على ضفاف قناة السويس قادر على حماية المصالح الانجليزية فى الشـرق الاوسـط » وايزمان ـ وبعد الحرب العالمية الثانية ·· ومع انتقال الزعامة الى أمريكا ·· انتقلت حمايتها الى امريكا ·· وانتقل الولاء الصهيونى اليها أيضا ··· وتحولت الى فصـيلة متقدمه للجيش الامريكى فى المنطقة لتنفيذ المخططات الامريكية العالمية) ··

نحن فى طريقنا الان الى الناصرة ·· فقدنا اندهاشنا ·· نحاول أن نحتفظ فى مخيلتنا بما نراه فيحتمل الا نرى مثنيين الا بعد مدة طويلة ··

www.alkottob.com

اليوم يقارب على الانتهاء وسنعود ثانيا الى سجننا ·· الميكروباس يصعد المرتفعات المطلة على الناصرة الجديدة · فيلات صغيرة جميلة منتشرة على المنحدر ·· نزور عائلة يهودية تسكن احدى الفيلات ·· المنزل بسيط جدا ·· ولكنه جميل ·· الاحاديث ودية ·· ترحيب ··· حديث مع فتاة اسرائيلية ابنة صاحب البيت ·· عمرها حوالى السادسة عشرة ···

تقول ـ لماذا لا نعيش فى سلام ·· منطقتنا يمكن ان تكون أغنى مناطق العالم ····

لديكم البترول والمواد الخام والعمالة ·· ولدينا الفنيون والعلماء ·· ونستطع أن نأخذ رءوس الاموال الامريكية للتعمير ··

أبتسم ·· هذا ما يعلمونها ···؟ !! ·· وجهه النظر الاسرائيلية بدون أى زواق او أصباغ تخفى حقيقتها ···

تتصور اننى موافق على ما تقوله ·· توجه لى كلامها ···

ـ ما رايك ·· لماذا نحارب ··· ؟ أكلمها برفق شديد ··

وهل تتصورين اننا لا يوجد بيننا علماء وفنيون مثلكم ·· انا مهندس والزميل مهندس والاخر طبيب ·· ولنا زخيرة عريضة من العلماء ·· ثم هل تتصورين أن رءوس الاموال الامريكية ستتعمر لنا بلادنا لنفاسها ·· انها تعطيكم لانكم اسرائيل يا انسه ·· ولانها تتصوركم ·· ١١ ·· وقطع كلامى المرافق قائلا ···

ـ انها تتقصد ابناء عمرمتنا من الاغنياء فى أمريكا ·· فرصة سعيدة ونحن شاكرون ومضطرون للرحيل فلدينا ما نشاهده ···

الميكروباس ينتقل بنا الى الناصرة القديمة ·· نقف امام منزل عربى كبير ·· ذى مشربيات ومقرنصات وحليات عربية ·· تقابلنا على الباب سيدة قادمة لتوها من عند مصفف الشعر ·· عرفنا بها المرافق ·· زوجة رب العائلة ·· تذكرنا بسيدات البرجوازية الصغيرة المصريات ·· متحشمة فى ملابسها العصرية ·· المنزل به مضيفة واسعة على عادة المنازل الشرقية ·· يحتشد فى الصالة عدد كبير من عرب الناصرة ·· ترحيب شديد

www.alkottob.com

واحضان مصرية وقبلات على الطريقة الشرقية وقفت المرافق فى وسط الحجرة وبطريقة مسرحية اشـار لنا ولهم وقال ضيوف من القاهرة ٠٠ مواطنونا العرب فى اسرائيل ٠٠ انتم اقارب ولنترككم لتتعارفوا ٠ انتشرنا فى ارجاء القاعة الواسعة ٠٠ واخذت مكانى بجواره ٠٠ عرفنى بنفسه مدرس فلسـفة فى المدارس العربية ٠٠ كان يتكلم بانفعال فيهتز وجهه السمين ٠٠ وتبـرق عيناه الزرقاوان من تأثير دموع حبيسة ٠٠ويشير بيديه وأصابعه ٠٠ويتحرك كثيرا على المقعد العربى المطراز ٠٠ وكنت أنظر اليه باهتمام وتركيز لعـلى استوعب كل حرف ينطقه وفى نفس الوقت انظر بطرف عينى الى نهاية الحجرة الواسعة لارى هل هناك من يراقبنا ٠٠ فلم اكن أتصور أن سكرتير الحزب الحاكم سيفى بوعده ويتركنا لنتعارف بدون رقابة ٠٠٠

قدموا لنا السجائر الامريكية ٠٠ والحلويات الشامية ٠٠ والشيكولاته ٠٠ والقهوة ٠٠ والشربات كل شوقهم للعرب خارج اسرائيل تركز فى هـذه الزيارة شـعور الانسان الذى وجد اهله بعـد غربة طويلة ٠٠ الاسـتقبال الحماسى يذيب الثلوج سريعا ٠٠ ذو العينين الزرقاوين يسـألنى ٠٠

ـ ما الحـل ٠٠٠ ؟

ـ أعتقد انه لا يوجد الا حرب العصابات والمقاومة السرية ٠٠٠

ـ المقاومة بهذه الصورة لا يمكن ٠٠ ماذا يعنى نسـف فنطاس ٠٠ او وضـع لغم تحت جرار زراعى يعمـل ٠٠ اؤيدك بان المقاومة قد تكون فعالة وحاسمة ٠٠٠٠ ولكنه لابد من تصعيدها وحتى يتم ذلك ٠٠ ما العمل ؟٠

كان امامى احد الطريقين ٠٠ أن اسمعه ٠٠ او يسمعنى ٠٠ وفضلت أن أسمعه فهو الصوت المحبوس ابدا داخل السجن الاسرائيلى ٠٠٠

لذلك قلت ـ انا فى حالة بلبلة بحيث لا اسـتطيع أن أقدم لك حـلا ٠٠ ولكنى ساكون ـ مستمعا جيدا لك ٠٠٠

ـ المعركه يا عزيزى فى مصر ٠٠ لا شك ان مصر اكبر الدول وهى املنا بقيادتها الثورية المتقدمة ٠٠ ولكن تجربتنا مع هؤلاء ثلاث مرات اثبتت اننا لا بد وان نصـل الى مستواهم الحضارى والتكنيكى ٠٠ وبعد ٠٠ بمعنى أنه لا بد وأن تقفلوا على أنفسكم الباب مدة حتى تتقدموا حضاريا وتكنيكيا ٠٠ حتى تصـلوا الى مستواهم ٠٠ وبعد ذلك الحـرب ٠٠

www.alkottob.com

ـ وأنتـــم ••• ؟

ـ نحن الاحتياطى الطبيعى لكم •• وفى كل مره كنا مستعدين للقتال بجواركم مع ظهور أول خيط للامل •• ولكن •• انا معك •• حرب المقاومة لا بد وأن تأخذ صورة مخالفة للعب الاطفال هذه •••

ـ اليست المقاومة املا يمكنكم أن تسعوا اليه ••• ؟

ـ شعبنا شعب مفكك •• وزعماء الدول العربية ساعدوا على تفكيكه أكثر •• صدقنى •• ان عيبنا نحن العرب أننا لم نتخذ الشكل العصرى للدولة بعد •• انهزمنا يا أخ لانهم هنا يخططون ويعملون بشكل علمى •• أما نحن فنعمل بشكل ميتافيزيقى •• على مصر وارجو ان تقول كلمتنا وتبلغها يا أخى •• أن تتقدم وتصبح الدولة العصرية القادرة على مواجهة اسرائيل •• لا بديل للحـرب •• لا بديل للحرب •• ولا بديل للتقدم لكسب الحرب •••

كدت ابكى فلقد كانت كلماته أول رد لاعتبارنا اسمعه منذ ٥ يونيـو اللعين ••• وازددت حبا لهذه العيون الزرقاء الذكية ••

ـ ما أخبار العالم فى الخارج ••••• ؟

ـ مقال هيكل سمعناه فى صوت العرب •• يتكلم عن أسباب النكسة •

وهنا قدموا لنا حلوى أخرى غـير التى اسـتقبلونا بهـا •• قبض صديقى على كمية كبيرة ووضعها فى جيبى قائلا :

ـ اعط لزملائك •• والله كنا بنريد أن نرسل لكم الطعام يوميا ولكن •• حكم القوى ••

ـ هل سـاعدت أمريكا اسرائيل فعـلا بالطيران ••• ؟

ـ لا •• ولكن البحرية الامريكية كانت مستعدة لدخول المعركة فى حالة دخول أول جندى مصرى ارض اسرائيل •• ولا يمنع ايضـا انهم سـاعدوهم بواسطة الباخرة الاليكترونيه ليبرتى فى التوجيه والتصحيح للطائرات لدك مطاراتكم •• يا اخى شىء غريب •• هنا عرفنا مقدما ان مجلس الوزراء سيبدأ الحرب يوم ٥ يونيو •• وأبلغنا سفارة دولة شرقية •• وبالتـالى أبلـغت روسيا وروسيا أبلغتكم •• بمعنى أنه لم تكن هناك مفاجأة •• ومع ذلك حدث ما حدث • كيف ؟ •••

ـ لا أعـــرف •••

ـ سمعنا أنه قد حدث خيـانه بين قيـادة سـلاح الطيران •• وان المخابرات المركزية الامريكية دفعت مبالغ هائلة رشـوة •• وسمعنا أن الطيارين

www.alkottob.com

كادوا ان يجنوا فى مطار غرب القاهره ·· يريدون أن يصعدوا ·· والأوامر لا تصـــلهم ·

ـ قد يكون هذا حدث ·· وقد لا يكون ···

ـ نعم ·· أنا مقدر بعدك عن المعلومات ··المهم الحمد لله على السلامة · والله تبلغ ســلامى للاخوه فى مصر ·· وتقول لهم ان أملنا مازال معلقا بكم ··· ورغم كل العون الامريكى ·· هنا حنفية ذهب هوصلة بنيويورك ·· ومع ذلك املنا كبير فى النصر ···

ـ وانتم هنا ما هو موقفكم ·· كيف تعيشون ··· ؟

ـ العرب هنا يمكن تقسيمهم لثلاثة اقسام ·· قسم (وكاد يشـير الى بعض الجالسين) استسلم ورضى بالواقع ويقول هذه بلدنا ·· والعرب لو دخلوها سيذبحوننا كما لو كنا يهودا وهؤلاء فى الاغلب أغنياء العرب ·· والقسم الاخر نسميهم ناصريين ·· وطنيين يؤمنون بالبعد القومى وأملهم مصر وعبد الناصر بالذات ·· واغلبهم من الطبقات الوســطى والموظفـين ومستعدين لتقديم أى عمـل فى الوقت المناسب ·· وبينهم تيارات ثقافية وقومية مرتبطة بالتيارت الموجودة بالقاهرة والعالم العربى · والنوع الثالث هم الشيوعيون ·· وهم متطرفون جدا ·· اغلبهم من المثقفين الفقراء وهـم لم يتركوا النضال أبدا ·· بالكلام ·· بالحرب ·· بالشـعر ·· بالمنشورات ومرتبطون الى حد ما بالاحزاب الشيوعيه الاسرائيلية · وموقفهم واحـد مسلمين مسيحيين ويهود ·· لهم جريدتهم « الاتحاد » بالطبع سرية ·· ودواوين شـعر سميح القاسم وتوفيق زياد ·· ومحمود درويش ·· وان كان لا يسمى نفسـه شيوعيا ·· وغيـرهم كثيرون ·· بعد النكسـة ازداد نشـاطهم لدرجة أنه صدر قرار بحظر تجولهم وتحديد اقامتهم فى منازلهم ··

ـ بالمناسبه هل توجد قيود على العـرب ··· ؟

ـ يوجد قيود طبعا ·· على التجول ·· والحركة والنشر ·· والتجمعات ··· ولا يسمح باى تحرك من بلد الى أخـر الا بتصريح من القائد العسكرى للمنطقة ·· ولكنهم عادة لا يمنعون ذلك الا فى زمن الحرب ·· وعموما هم أذكى من ان يشعرونا بالقيود ·· الكارثة الحقيقية هى العمل ·· فهنا اليهودى له كل الفرص ·· وما يتبقى فللعرب ·· وعادة ما تكون الاعمـال الشـاقة ·

ـ وهل تتولون مناصب قيادية فى الحكم ···

ـ توجد بعض المناصب للعرب ·· منصب القاضى ·· وبعض المدرسين ·· وفى بعض الاوقات ممثلون فى الكنيست ·· صمتنا قليلا ثم سأل·

www.alkottob.com

ـ هل زرتهم أماكن كثيرة ... ؟

ـ زرنا بعض الاماكن ...

ـ ما رأيـك .... ؟

ـ مش بطـــال ... !!

ـ نســوانهم حلوين ...

ضـــحكت ....

ـ نعـــم ...

نسوانهم من اللاتى أخذن لهم فلسطين منا .. كن يضحكن على الشبا .. وياخذن نقودهم .. وأرضهم .. عن طريق الخمارات والكباريهـات ..

كان يدور هذا الحديث .. وحولى احاديث اخرى كثيرة .. كنا نلتقط منها بعض الكلمات عن السد العـالى .. ومديرية التحـــرير .. والرى .. والتقدم المصرى بعـــد الثـــورة ... وارتفعت الاصـــوات .. وارتفعت الضحكات .. حتى دخل المرافق الاسرائيلى ... قال لى زميلى ـ هل تعرف انه سكرتير الحزب الحاكم ... ؟

ـ نعـــم ...

اراد ان يسيطر على الموقف ويوجهه .. فلقد كانت أول زيارة يقـوم بهـا الاسرى المصريون .. للمواطنين العرب .. وكانوا يجربون .. حتى يشعرونا بمدى الحرية والديمقراطية الاسرائيلية .. ولكن الموقف خرج من بين يديه ...

قال ـ ما رايكم ندير مناقشة مفتوحة .. ونستفيد جميعـــا بدلا من الجلسات الثنائية .. ردوا عليه : اتركنا فى حالنا .. نحن سعداء بذلك ..

ولكن التقط الخيط منه بعض المتعاطفين أو الخائفين .. وابتدأوا فى مناقشة مفتوحة ... على حـــد تعبيره ...

قال احدهم ـ كلمونا عن الزراعة عندكم واهم المحاصيل ...

رد زميل وهو يبتسم لسخافة السؤال مع الموقف ...

ـ نحن نزرع القطن ... والقصب ...

غمزنى زميلى قائلا ...

ـ اتركهم فى حالهم .. هل لديك اسئلة اخرى ...

ـ ما تأثير « فتح » على السكان العرب هنا ...

www.alkottob.com

« فتـــح » هى أساس المشكلة ·· بشكل رومانسى جدا حاولت أن تتفرد المقاومة أو تحييها ولكن ما المكاسب التى عادت علينـــا من نسف الجسرار الزراعى ··· أو فنطاس المياه ··· لقد دمروا فى مقابل ··

وهنا نهض المرافق ··· قائلا ··· كانت فرصة عظيمة وزيارة ممتعة نرجو أن تكونوا قد تعرفتم جيدا على اوجه الحياة المختلفة فى بلدنا ·· وكنا نريد أن نطيل الزيارة ولكن لنا برنامج يجب أن نستوفيه خصـوصا وان الزمـلاء يريدون زيارة كنسية البشـارة ···

تركنا العائلات العربية ·· ونحن مازلنا نشعر بحرارة اللقـــاء ·· والمحبة الحقيقية الواضحة فى اعينهم ·· وكانت تدور فى راسى أسئلة كثيرة تلح على ·· هل هذا اللقاء مرسوم ·· هل ما قيل لى هو الحقيقة ·· هـل اعد من قبل أم تورط المرافق فيه ·· جلست فى الميكروباس بجوار الشـــباك أنظر شاردا الى مجاميع الاولاد والاطفال الحفاة يلعبون حولنا وينظـرون لنا بأندهاش واستطلاع واقترب منى احدهم ·· لم أشعر به فى البداية حتى اصبح ملاصـقا لى ·· ونطق بكلمـات قليـلة كانت كافية لحســم الموقف أمامى ··· لقد عبر عن رأى عرب الناصرة ·· رغم كل الحواجز والقيود ·· قال « كسفتونا » واستدار عائدا ···

زرنا كنيسة البشارة ·· كنيسة قديمة اقيمت حول بئر يســمى بئر العذراء ··· ويقال أن العذراء بشرت بالمســيح عنده ·· الجو الرهيب الخانق للاماكن المقدسة القديمة الشموع المتدلة للنـــذر ·· الســيدات المبسيطات الطيبات يدعون لنا ·· شربنا من ماء البئر ·· ومررنا بداخـل الكنسية ·· ثم ذهبنا الى جامع الناصرة ·· ساهمت فى بنـائه الحكومة الاسرائيلية ·· جامع فاخر ·· مغطى بالسجاد ومعلق فى سقفه النجف ·· وبه مكتبة اسلامية كبيرة ·· على حد قولهم ثم ركبنا الميكروباس ثانيا ·· فى رحلة العودة فى اتجاه عكاية ·· فى الطريق الصاعد الى اعلى جبـــل الكرمـل حيث كيبـوتز « بيت عورين » كانت توجد العـربات الصـغيرة الواقفة بجوار الرصيف ·· ومجموعات من الشباب والشابات الصغيرات يحبون بعضهم بعضا ·· البعض غارق فى القبلات وفى مكان آخر كان احدهم يرقد فوق زميلته يزاولان الجنس ·· ابتسـم المرافق وقال هـذه مسـألة شخصية ·· وان كان اليهود الشرقيون اكثر تحفظا فى ذلك ·· عموما هذه من مشاكلنا ·· اقصد الفارق الحضارى بين اليهود الغربيين ·· واليهود

www.alkottob.com

الشرقيين ... ولكن عموما الشرقيون يحاولون الان أن يسايروا التقـــدم الحضارى الغربى ...

وصلنا الى كيبوتز « بيت عرين » انشىء عام ١٩٣٩ فى أعلى جبـل الكرمل .. الليل تقدم .. نسمات الهواء الباردة فى يوليو .. أضواء صغيرة منتشرة فى الحدائق .. جلســات عائلية حول مناضد صـغيرة .. موسيقى خفيفة منبعثة من ميكرفونات معلقة بين الاشــجار ..

دخلنا الى مبنى فخم مكون من عدة طوابق يســتعمل كمّوتيل للراحة والسياحة ... المطعم صالة واسعة تشبه صـالة الطعـــام بالهيلتون .. الاضواء المختفية .. المناضد النظيفة .. المضـيفات يتحركن بهدوء بين المناضد لابسات الميكروجيب .. سيقانهن وارجلهن مثيرة للغاية لاول مرة اشعر بأدميتى منذ ٥ يونيو بعد ما جلست على الكرسى الوثير أمام منضدة العشـــاء ...

ـ أريد أن اذهب لدورة المياه ...

دورة نظيفه جدا .. حتى لو لم ترد فلتدخلها فهى بالمقارنة بدورات عتليت .. بل بعنابر نوم عتليت هى الجنة .. انظر لنفسى فى المرآة لاول مرة منذ شهور طويلة ... البنطلون واسع والقميص ضيق جدا يكاد يقطع أزراره .. شعرى طويل .. ضعيف جدا .. خاسس .. ما هذه النظرات البائسة .. هل هذا الوقت أنا .. مستحيل .. الراحة تكاد تقتلنى .. اليائسة .. هل هذا الواقف أنا .. مستحيل .. الراحة تكاد تقتلنى ..

المضيفة تقدم لى طبق اللحم .. تميل بجوارى .. أشـعر برائحة البرفان المختلط بعرقهـا .. اكاد أجن .. صـدرها يظهر من خـلال ثوبها وهى منحنية .. ساقها يلمس ساقى .. انتصب .. اخجل من نفسى .. انحنى على طبقى اقطع اللحم امضغه على مهل معدتى تؤلمنى .. فى رأسى صداع شـــديد .. قلبى يدق دقات متتـــالية اريد أن افرغ ما بمعدتى ... لا اشـعر بالحديث الذى يدور حولى .. ابحث بعينى عن المضيفة الفارعة ... الزملاء يحاول كل منهم أن يخفى مشـاعر .. احدهم يميل على أولاد الكلب حلوين .. ما رأيك فيهن ؟ اصمت .. يرتبك .. تقع ادوات المائدة منه على الارض ...

www.alkottob.com

نخرج الى الهواء الطلق الخارجى ·· اتنفس بعمق ·· الهواء البارد يدير رأسى ·· اشعر بتعب وخدر شديد فى جسدى ·· نركب الميكروباس ··

المرافق يحـاول أن يختتم الرحلة ·· يفتح الراديو ·· الموسـيقى الهادئة حسـاب هواء البحر يتخـلل الشبابيك ·· اغوص فى مقعدى ·· مسترخيـا ·· اغمض عينى ·· ما الـذى أتى بنا الى هنـا ·· ملعون أبو الحرب ·· الموسيقى تتوقف ·· المذيع يتكلم هنا صوت امريكا ···

ـ اليكم موجزا لاهم الاخبار العربية ·· المرافق يحـاول أن يغلق الراديو ·· يخجل ·· عموما انه صـوت امريكا ·· لا فارق كبير ··

وكقطعة نشـاف امتصصنا الاخبـار ·· فى نهـاية النشـرة او قرب نهايتها ·· المذيع يذيع خبرا بان الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه بان الحرب فى ٦٧ ما هى الا جوله يعقبها جولات ·· وان الحرب لم تنته بهزيمه يونيو ·· أغلق المرافق سكرتير حزب المـابای الحاكم الراديو بتوتر شديد ·· والتفت لنا يرد على عبد الناصر ···

ـ نحن مستعدون لاكثر من جولة ·· واحب ان اخبركم باننـا ومنذ حرب يونيو نتدرب استعدادا للحرب المقبلة ·· نحن نملك أسلحه سرية مدمرة لم نستعملها فى الحرب السابقة ·· لاننا انتصرنا ·· بالاسـلحة التقليدية ·· ولم يستدع الموقف تجريبها ولكننا سنستعملها وعلى وعلى أعدائنا ·· كلمة قالها شمشون اليهودى وهو يهد المعبد نحن لدينا أيضـا ابحاث متقدمة فى معاملنا ·· يحضر من أجلها علماء أمريكا ليستفيدوا منا ·

وهنا كان الميكروباس قد دخل الى المعسكر ·· وكانت النوايا قـد وضحت تماما واطارت الكلمات الاخيرة كل الخدر الذى كنا نشـعر به ·· ولذلك فلقد كانت خطبة الوداع سخيفة جدا وهو يتلوها غير حاسب لمـا حدث منذ دقائق حسـابا ··· كنا نسـتمع لعدونا وهو يقول :

ـ والان انتهت الرحلة ·· وكل شىء لابد وله نهاية ·· حتى وجودكم بيننا له نهاية وحتى عداؤكم لنا له نهاية ·· ونامل أن تزورونا ثانيـا وقريبا ·· اخوانا سياحا حقيقيين ·· كلمات مرسومة سخيفة رغم كل الطلاءات العديدة التى كشفتها أضواء الحقيقة والتى اجبرته على كشف اوراقه فى لحظة غير مناسبة ···

www.alkottob.com

استقبلنا الزملاء باستطلاع شديد وتشوق لمعرفة ما حدث ·· وقضينا ما تبقى من الليل نحكى قصة خطواتنا على الارض المحبوسة داخل اسرائيل ·

تتابعت بعد ذلك الزيارات لباقى الاسرى ·· وتنوعتلعكا وتل ابيب ويافا ··· صور متكررة لما حدث لنا ولكن بتحفظ اكثر فيما يختص بتقابل المصريين مع الفلسطينيين فى اسرائيل ·· وصاحب ذلك تغييرات كثيرة لحياتنا فى المعسكر لنبدأ مرحلة اخـــرى من اواخر يوليـــو وحتى اوائل اكتوبر ··· فالاستجوابات اختلف طابعهـــا ··· وتحولت الى مقابلات سياسية ·· وصاحبها فى نفس الوقت محاضرات جماعية يلقيهـــا بعض المتخصصين وعرض أفلام سينمائية ·· وحدثت بعض التغييرات فى نظام معيشتنا ·· لقد احضـــروا لنا مراتب وكميـــات من القش لحشـــوها · وتحسن الى حد ما الاكل ·· فلقد ســـمحوا لنا بتناول بعض الفواكه مع الغذاء ·· وكميات من المربى مع الجبن فى العشـــاء ·· وانتظم تموينا بصابون للوجه ·· وامواس للحلاقة ·· وصابون للحلاقة ·· بل احضروا لنا بعض ادوات الترفيه طاولات وشطرنجات وكتاشين ·· وخفت قيـــود الحراسة ·· بل ولقد جاءنا من مصر خطابات من الاهل ووصـــلتنا طرود هدايا من الحكومة المصرية ··· وطرود خاصة من امالينا ·· واضيف للمقرر اليومى من الاذاعة اغنية « على بلد المحبوب وديني ·· » وتعددت مرات اذاعة الاغانى ·· ودخل المعسكر مجلات اخرى غير الجبروزليم بوست ·· واليوم ·· فلقد دخلت مجلة الكواكب ·· وهى صورة من الكواكب المصرية والشبكة نفس المقالات ونفس الريبورتاجات ونفس الصـــور المسروقة ·· كذلك هربت سرا جريدة « الاتحاد » جريدة الحزب الشيوعى ·· وهى تندد بالاحتلال واغتصاب الارض وتحذر من العصـــابة العسكرية الحاكمة وتحكى قصصا للضغط على العرب فى الاراضى المحتلة وتذكرهم بمجازر دير ياسين ·· وتحكى قصة امام المسجد الاقصى الذى بكى فى صلاة العيد وقال « عيد باى حال جئت يا عيد » ·· وتجاوب الجماهير معه وقولهم الصبر ·· الصبر ·· ثم رعب المذيـــع الاسرائيلى واســـتدعاؤه الجيش ·· وتعلق الجـــريدة على الرعب الاسرائيلى من مجموعة من العزل فتقول هل ستحرمون الناس حتى من حق البكاء ·· ومنها ايضا عرفنا ان النائبين الوحيدين اللذين عارضا وندا بحرب يونيو فى الكنيست الاسرائيلى كانا من اعضـــاء الحـــزب الشـــيوعى ···

هذه بعض التغيرات التى حدثت بالاضـــافة الى مد فترة الســـماح بالماء ·· واصلاح دورات المياه الجديدة ·· وحدثت فى حيـــاتنا تغييرات

www.alkottob.com

اخرى هامة ·· فلقد ابتدأت الملكات تتفتح لدى الضباط ·· وظهرت أنواع عديدة من الفنون بأقل امكانات ···

هـذا يرسـم ·· لوحا جيدة خريج كلية الفنون ·· فمـلأ جـدران الحجرات بالنسوة العاريات ·· وهذا يصـنع عرائس ويفتتح مسرحا للعرائس ·· وآخرون يؤلفون الشعر وزملاء لهم يلحنونه ويغنونه وظهرت أكثر من موهبة غنائية ·· وانتشرت حلقات الغنـاء فى جميـع الحجـرات تستمع الى الصبان ومجدى وعمر ·· واخرين ·· وتكونت فرق موسيقية بالات بدائية ·· واسـتمعنا الى أغانى محورة تحمـل معـانى جنسـية أو فكـاهية ···

وبجوار هذا انتشرت الحلقات الدينية ·· احضروا القرآن والاناجيل ·· وتكونت حلقات القراءة ·· وحلقات التفسير ·· وحلقات الذكر ·· وعـم المعسكر نوع من انواع التصـوف ·

وبجوار حلقات التصوف هـذه ·· كانت حلقات البوكر ·· والمقـامرة على السجائر ··· وانتشرت الاسـواق الخلفية لتبادل البضائع ·· الزنوبة بثلاث علب سجائر كبيرة وعلبة المربى بعلبتين والغيـار الداخلى بخمس علب ·· وكانت الاسعار ترتفع وتنخفض حسب توفر السجائر من عدمه ·

طلبت للاستجواب ·· كان المستجوب شابا صـغيرا يتكـلم الانجليزية ·· عرفنى بنفسه ··· طالب بالدراسات العليا بالجامعة العبرية ويعد دكتوراه فى العلوم السياسية والاجتماعية ·

ـ ما رأيك فى نظام الحكم فى مصر ··· ؟

ـ ماذا تقصـد ··· ؟

ـ الديمقراطية ···

ـ عظيمـة ··

ـ هل لديكم ديمقراطية ··· ؟

ـ نعـم ···

ـ وهل هذه ديمقراطية ·· هل لديكم أحزاب ··· ؟

www.alkottob.com

ـ وهل الديمقراطية معناها أحزاب ٠٠ ؟ هذا شكل قديم نظرى ٠٠ فى الحقيقة الديمقراطية ترتبط أساسا بمن يملك السلطة الاقتصادية ٠٠ فى أمريكا مثلا هناك حزبان ٠٠ ولكنهما يخدمان نفس الايديولوجية ٠٠ ونفس الهدف ٠٠ وهو تسلط أصحاب رءوس الاموال الامريكية على الحكم ٠٠ ما الفرق بين الحزبين اللذين فى أمريكا ٠٠ كلاهما سيطر عليه بواسطة الأقوى اقتصاديا ٠٠ بواسطة أصحاب الملايين ٠٠٠

ـ فلنترك أمريكا جانبا ٠٠ انجلترا ٠٠٠

ـ أيضا الحزبان الرئيسيان المحافظين والعمال ٠٠ لا فرق بنما ٠٠كلاهما يخدم نفس الغرض ٠٠ بل العمال أكثر رجعية من المحافظين ٠٠ جميع أعمال القمع التى عانت منها المستعمرات ٠٠ جميع أنواع الاستغلال والظاهرات حدثت أثناء حكم العمال ٠٠ الاكثر دلالة على ذلك حكومات الظل التى تكونها الاحزاب خارج الحكم ٠٠ أين الديمقراطية فى هذا ٠٠ الحكم فى انجلترا رغم الهايد بارك ٠٠ ورغم البرلمان الانجليزى ٠٠ فى الحقيقة يتحكم فيه مجموعة من محترفى السياسة ٠٠ المسيطر عليهم بواسطة أصحاب رءوس الاموال الانجليزية ٠٠

ـ ما قولك فى أن المواطن الانجليزى قادر على سب ملكة انجلترا ٠٠ ؟

ـ كل هذا كلام فى الهواء ٠٠ ما تأثير سب الملكه سوى تخفيف التوتر ٠٠ هل يغير ذلك الطبيعة الاستعمارية لانجلترا ٠٠ بالعكس لم تستطع ديمقراطية الهايد بارك أن تؤثر الا فى اباحة الشذوذ الجنسى ٠٠

ـ لدينا هنا فى اسرائيل ديمقراطية ٠٠٠ (قالها بتحد) ٠٠٠

ـ واليهود الشرقيون ٠٠ والعرب الفلسطينيون ٠٠ واهالى المدن المحتلة ٠٠٠ هل هذا رأيهم أيضا ٠٠ ؟ ٠٠ هل يزاولون حريتهم الديمقراطية مثلك أنت القادم من الغرب ٠٠٠

ـ بالتأكيد لهم حرية ديمقراطية ٠٠ الا بعض القيود الخاصة بأمن الدولة ٠٠٠

ـ هل تريد منى أن أتكلم بصراحة ٠٠م حديث بين اسير وآسره ٠٠؟

ـ لا ٠٠ وبصراحه فهنا من الديمقراطية ما يسمح لك أن تقول ما تريد ٠٠٠

ـ بعض القيود الخاصة بأمن الدولة هذه تزداد حتى تصل الى سجن وتحديد أقامة الاخرين كما حدث يوم ٥ يونيو ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ لا ٠٠ هذا غير صحيح ٠٠ العرب هنا لديهم الحرية الكاملة ٠٠ عندنا هنا جميع أنواع الاحزاب ٠٠ وكل منها له مجلته وجريدته ويطبع كل الكلام الحر ٠٠٠

ـ يا سيدى الفارق أن ٠٠ بامريكا حزبين ينفذان سياسة المليونيرات الامريكان ٠٠ وهنا عشرون حزبا ينفذون سياسة التوسع لحساب المليونيرات الامريكان أيضا ٠٠٠

ـ من قال هذا ٠٠٠ ؟

ـ هذا هو ما كتبتم فى الكنيست « من الفرات الى النيل » ٠٠

ـ لا هذا غير موجود ٠٠

ـ وحروبكم ٠٠ التوسعية أيضا غير موجودة ؟؟

ـ نحن لا نريد الارض المحتلة ٠٠ نحن نريد السلام ٠٠٠

ـ وهل يفرض السلام بالقوة ٠٠٠ ؟

ـ نحن ندافع عن أنفسنا ٠٠٠

ـ بالنابلم والاسلحة الهجومية والتكتيك الهجومى ٠٠ والاستراتيجية الهجومية ٠٠ هل تنكر أن استراتيجيتكم مبنية على الهجوم ونقل المعركة الى أرض العدو ٠٠٠ ألم تبدأوا الحرب ثلاث مرات ثم تقولون نحن ندافع عن أنفسنا ٠٠٠ !

ـ خرجنا عن موضوعنا ٠٠ هل عندكم ديمقراطية ٠٠٠ ؟

ـ الديمقراطية الاشتراكية ٠٠ تخالف الديمقراطية الغربية ٠٠ فى الدول الاشتراكية هى تحالف ٠٠ فى الدول الغربية هى تصارع ٠٠ والتصارع يبدد القوى فى تفاهات والتحالف يدعم القوى الحقيقية المنتجة فى الدولة وهم العمال والفلاحون ضد القوى الاستغلالية والطبقات غير المنتجة ٠٠٠ فى بلدنا الديمقراطية هى تحالف بين القوى المنتجة من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين ٠٠ وعن طريق هذا التحالف تتحقق آمال وأهداف الطبقات الكادحة فى حياة أحسن ٠

هذا عظيم جدا ٠٠ ولكن نظريا ٠٠ هل تتصور يا عزيزى أن الفلاحين والعمال المتخلفين حضاريا ٠٠ الذين هم فى الاغلب يجهلون القراءة والكتابة ٠٠ وهم الذين يشكلون ٥٠٪ من أعضاء التنظيمات السياسية قادرون على تحقيق هذه الحياة الاحسن ٠٠ هل يفهمون فى الاقتصاد والتخطيط والادارة والقانون ٠٠٠

www.alkottob.com

الفلاح الجاهل المتخلف بالطبع لا يفهم فى القانون والادارة والاقتصاد ولكنه يفهم مشاكلة جيـدا ويفهم ماذا يريد ·· وهو فى التنظيم يحقـق ما يريد ·· حقـا لم نصـل بعد الى العـامل والفـلاح المؤثر ولكن هـل تتصور أن هناك عصا سحرية تضربها فتحول العمال والفلاحين الى اساتذة فى القانون والادارة بالطبع لا توجد لدينا هذه العصـا ·· ولكن لدينـا ما هو أكثر جدوى وهو الزمن والممارسـة ·· فخلال ممارسة العامل والفـلاح للعمل السياسى فى وحدته الصغرى يتعلم ويثقف وينضج ويصبح أكثـر صـلابة عند انتقاله لوحدته الأكبر ·· فيشارك فى سياسة اقليمية ·· حتى يصل الى أعلى مستوى يصبح فيه قادرا على التخطيط لتسـيير مستقبـل وطنه ·· أن الممارسة والزمن كافيان لان يجعـلا فلاحينا وعمالنا زعمـاء سياسيين قادرين على تسيير دفة بلدنا ··

أيضا هذا الكلام نظرى ففلاحو وعمال التنظيمات الشعبية منفصلون عن الشعب والمجتمع قانعون بما وصلوا اليه من رفاهية ···

لن اجادل فى هذا أيضا ·· ولكن هذه الظاهرة ستزول عندما يكتشفهم ناخبوهم ومع الزمن سيحدث تطور وستصحح هذه الاخطاء وقد يكون ما حدث أمس كافيا لا حداث التطـور ·· كما حدث بعد حربنا معـكم سـنة ٤٨ ، سـنة ٥٦ ···

أنت عنيد ·· وتردد كلاما مملى عليك ···

لا ·····

لماذا اذن لا تقتنع ·· لقد غسلوا لك مخـك جيدا ··

هذه خرافة ·· والا فانا بين يديك اغسـل لى مخى ··· !!!

وضحكت ·· فضحك وانتقل الى موضوع آخر بعد ان نظر فى الورقات التى امـامه ··

أشتراكيتكم ·· هل عندكم أشتراكية ·· ؟؟ ·· بالمناسبة نحن لدينا الاشتراكية الحقيقية فى الكيبوتزيم ·· هل زرت الكيبوتزات ···

نعم زرت بعضها ·· فى الحقيقة الكيبوتز مستعمرة تعاونية عسكرية فرضها الواقع العسكرى الذى تعيشونه ·· وهى مبنية على فلسفة دين العمل لجوردن لا تتصل بالمـاركسية من قريب أو بعيد ·· الا فيما تنتجه الحياة

www.alkottob.com

الجماعية من فوائد ٠٠ ولقد قال بن جوروين احد المؤسسين لهذا النظام عندكم ٠٠ عندما يصبح عمال اسرائيل وحراسها من صفوفنا تصبح الارض لنا ٠٠ ولهذا أسستم مستعمراتكم العسكرية الزراعية ٠٠ من اجل ربط اليهودى القاهر بالارض وتحويله لمزارع أو عامل وانشأتم نظاما دفاعيا يسمح بالعمل والدفاع ٠٠٠

هذا صحيح فى البداية ٠٠ ولكن لا تنس أن الذين ساعدونا فى البداية كانت الدول الاشتراكية ذ دن حاربنا سنة ٤٨ ببنادق تشيكى ٠٠٠ ١١

الدول الاشتراكية ساعدتكم لأسباب خاطىء جعلها تعتقد انكم ستصبحون نقطة انطلاق للاشتراكية فى الشرق نظرا لتجاوركم مع حكومات اقطاعيه رجعية ٠٠ ولكن مع الوقت ظهر أنتماؤكم الحقيقى اولا لانجلترا وفرنسا ٠٠ ثم والان لامريكا ٠٠ ما رايك ٠٠ ١١.

ـ اكمـــل ٠٠٠

ـ وعلى هذا الاساس تقف اليوم هذا الموقف الشريف بجوار شعوب المنطقه المجاورة لكم ٠٠٠ كى تحميها ٠٠ ١١١

ـ تحميهـا ممن ؟؟ ٠٠٠

ـ ونكـــم ٠٠٠

ـ لا افهـم ٠٠٠

ـ من أعدائكم القوميه لحساب امريكا ٠٠٠

ـ يجب أن تجيب على سؤالى ٠٠ لمـاذا ساعدتنا الدول الاشتراكيه اســـاسا ؟؟

ـ عدا ما ذكرته فـلا أعرف ٠٠٠ سـأسأل لاعـرف ٠٠

ـ ستسال من ٠٠٠ ؟؟ ٠٠

ضحكت وقلت له : السؤال لمعلوماتى الخاصة ولن تعرف الاجابة بالطبع ٠٠٠ سأسأل عندما أعود ٠٠ عموما ٠٠ اشتراكية الكيبوتز اليوم هى نوع من الاستغلال الرأسمالى الجماعى ٠ فباسم الامن القومى لاسرائيل يعمل آلاف الشبان فى أسرائيل لصالح أصحاب الملايين الامريكان ولصالح المجموعة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة٠٠أما عندنا٠٠فاشتراكيتنا حقاق دور

www.alkottob.com

التجريب ولكنها اكثر صدقا٠٠فالدولة كلها تتبع النظام الاشتراكى فى التخطيط والتسيير٠٠ووسائل الانتاج ملكية شعبية٠٠وان كانت هناك بعض السلبيات فأنتم لكم دور كبير فيها ٠٠ فانتقالنا من حرب الى أخرى واستعداداتنا الدائمة للقتال تحت وقع التهديد المستمر٠٠يستقطب جزءا كبيرا من ميزانيتنا ومن جهتنا لو أننا وجهناهما تجاه التنمية لتقدمنا كثيرا فى طريق المجتمع الاشتراكى ٠

ـ لماذا لا نوفر ما ندفعه نحن وما تدفعونه للقتال ونعيش فى سلام نبنى بلدينا ٠٠٠

ـ هذا أقصى ما نتمناه ٠٠ ولكن هل ستتركوننا نعيش حقبا فى سلام أشك كثيرا ٠٠ لان دوركم الذى حددته لكم أمريكا فى المنطقة لا يسمح بذلك وأنتم منفذو ٠٠ السياسه الامريكيه هنا ومرتبطون بها ارتباطا كاملا

ـ لماذا لا نترك أمريكا ٠٠ وتتركون روسيا ٠٠ ونتصافى ونعيش فى سلام ٠٠

ـ يمكننا ان نترك روسيا ٠٠ لانه لا تربطنا بها اى ارتباطات مثل ارتباطكم بالسياسه الامريكية هل تستطيعون حقا أن تتخلصوا من أرتباطكم ٠٠ لا أعتقد يا عزيزى أن تفقدوا كنز الذهب الذى يتدفق عليكم فيتحول لمصانع ومستشفيات ومفاعلات ذرية ومشاريع رى ٠٠ وسلاح وتتوسعون به ٠٠ من اجل ماذا ؟؟ ٠٠ من اجل السلام ٠٠ ؟؟ وفرضا ان هذا ما تريدونه ٠٠ فلتتركوا لنا أراضينا التى استوليتم عليها بعد ٥ يونيو ثم نتفاهم ٠٠٠

ـ يا حبيبى والله ٠٠ والله نحن لا نريد أرضكم نحن نريد ان نجلس معا حول منضدة واحدة ٠٠٠

ولنقف قليلا لمناقشة هذا الحوار ٠٠ لقد كنا من الجيل الذى تفتح على الثورة ٠٠ وعاصر انتصاراتها ضد الملك والاستعمار والاحلاف العسكرية ٠٠ وكان يفخر بتأثير ثورته على شعوب العالم فى افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية ٠٠

وهو الجيل الذى لم يمارس السياسة فلقد كان عبد الناصر فى نظر جيلنا اول مصرى يحكم مصر ويقودها بدراية وحكمة وسط الزوابع ٠٠

www.alkottob.com

كان الميثاق والنظام المصرى فى نظرنا هو أرقى الصيغ التى تلائمنا وكان واجبنا هو أن نحفظ هذه الصيغ ونرددها دون اى تفكير كما نحفظ شعائر ديننا ولا نسمح لاى مخلوق كان بمناقشتها ·· وعن اقتناع وعن ايمان ·· ولذلك فعندما قيل لى انه لا توجد فى بلادنا ديمقراطية او اشتراكية لم اكن استطيع الا الدفاع عنها حتى ولو كنت أسيرا فى يد أعداء قد يؤدى اصرارى هذا الى ايذائى ·· وحتى بعد هزيمة عسكرية قاسية كشفت مدى ضعف الحكم وهزتنا من الداخل هزات عنيفة وحتى بعد أن قررت أن أراجع كل معتقداتى وأفكارى التى كونتها خلال الخمس عشرة سنة السابقة على الهزيمة·

بعد أيام استدعيت لمناقشة مع أستاذ العلوم السياسية والشرق الاوسط بالجامعة العبرية ···

نفس البداية ·· نفس النهاية ·· ولكنه حضر لكى يسألنى سؤالا لم يستطع تلميذه أن يسألنى اياه ·· وهو « هل فكرت ·· لماذا تساعدكم روسيا ؟؟ » ··· وأجبت عليه بسؤال آخر بعيدا تماما عن موضوعنا ·· هل انت مؤمن ؟ ·· اعنى ·· هل تؤمن بوجود الله ؟ ···

ـ صمت قليلا ·· ثم تردد ·· ثم قال ·· « لا » ·· لماذا ؟ ··
ثم اردف هذه خرافات ···
ـ هل يوجد مؤمنون كثيرون هنا ··· ؟؟؟ ···
ـ البعض مؤمن ·· ولكنه ليس متدينا ·· والبعض مؤمن ومتدين ··
ـ لماذا هم غير متدينين ·· ؟؟ ··
ـ تعاليم ديننا صعبة ·· بمعنى ان فى يوم السبت ممنوع على المتدين ان ينقل كرسيا من هنا للشارع ·· لانه يعتبر عملا ··
ـ معنى ذلك ان عددا كبيرا منكم غير مرتبط باليهودية ··
ـ نعـــم ···
ـ لماذا أنتم هنـا ··· ؟؟؟ ···
ـ نحن تربطنا الروح اليهودية ·· !!
ـ ميتافيزيقيا ايضا ··· ١١١ ···
ـ لماذا اذن نحن هنا ·· ؟؟ (سألنى لينهى المناقشة ويصل الى ما أريد)
ـ انتم هنا من اجل واقع اقتصادى انتم هنا رأس حربة للراسمالية

www.alkottob.com

العـالمية قريبـا من أسـواق الشرق الاوسـط وأماكن انتـاج المواد الخام ·· أنتم هنا قاعدة عسكرية متقـدمة تسـدالفراغ بين حلفى الناتو وسنتو ·· لسد فراغ أيزنهاور اتذكرونه ·· لاحتلام أمارت ضد الدول الاشتراكية · هل فهمت لماذا تسـاعدنا روسيا ··· ؟؟

ـ لا ···

ـ هل اخطأت فيما قلته سـابقا ···

ـ قريبا من الصـواب ···

فلنبدأ القصة من اولها ·· الاتحاد السوفيتى ايديولوجيته الاساسية تتنبأ بأن العـالم سـيصبح اشتراكيا يوما ما كمرحلة لانتصـار الشيوعية العالمية ··· وذلك نتيجة لصراع الطبقة العاملة ضد الرأسماليين ·

ـ هـذا صـحيح ···

ـ يمنع انتصار الثورة الاشتراكية فى العالم بعض الحقن المخدرة التى اعطتها الراسمالية لطبقاتها العاملة على هيئة بعض الامتيازات ·· من أين احضرت هذه الامتيازات ·· من استغلال الشـعوب المستعمرة ·· معنى هذا أنه لو انتهى الاستعمار فلن تستطيع الراسمالية الوفاء بالتزاماتها تجاه عمالها معنى هذا أنه ستزداد حدة التناقض الذى سـينتهى بثورة للطبقـة العامـلة ضدهـا ··

ـ هذا غير صحيح لان العمال لا يتقاضون مرتباتهم من المستعمرات ··

ـ ولكن الراسماليين يجمعون أموالهم من المستعمرات والتى وفى غيابها سيتحولون الى أستنزاف ما تبقى من دماء عمالهم ممـا سـيزيد التناقض تميثوروا ·· وبذلك سيفجر العالم بثورات اشتراكية متتالية تؤذن بقدوم العالم الشيوعى ·· معنى ذلك أن نهاية الاستعمار هو نهاية الرأسمالية · ومحاربة الاستعمار هو خطوة فى سبيل الاشتراكية من وجهة نظرهم أننـا قد التقينا ·· نحن وهم لا نريد اسـتعمارا لبلادنا ·· ولا نريد اسـتعمارا فى منطقتنا ·· ولذلك فهم يساعدوننا ·· يعطوننا السـلاح لندافع به عن أنفسـنا ضـدكم ···

وهنا وقف وقد اصفر وجهه ·· ومد الى يده مصافحا وقال ·· أختلف معك فى الرأى ولكننى لا استطيع الا أن احترمك ·· شـكرا ··

www.alkottob.com

استدعانى أحدهم للاستجواب ·· وبعد الاسئلة اللازمة لتلطيف جو الحديث وبعد أن أعطانى سيجارة أمريكية فاخرة وزجاجة عصير برتقال مثلجه ·· قال لى ··

ـ بالطبع تريد أن تعرف ماذا دار فى مصر بعد الحرب ···

ـ ··· ··· ··

ـ الرئيس عبد الناصر تنحى وخلفه زكريا محيى الدين ··

ـ حدثت بعد ذلك مسرحية ·· بكى الرئيس فى التليفزيون وبعد ذلك بعشر دقائق كانت الكاميرات تنقل المتظاهرين وهم ذاهبون له ·· والراديو يذيع بيانات التأييد والتلغرافات مباشره ·· الست دعى ان انتقال معدات التليفزيون لنقل الاحداث يحتاج الى مدة ·· هل كانوا يعلمون بأن الشعب سيخرج ···

ـ ··· ··· ··

ـ زكريا رفض المنصب وقال انه لا يقبل غير عبد الناصر رئيسا هو والشعب المصرى

ـ ··· ··· ··

ـ فى مصر خافوا من انقلاب فأطلقوا صفارات الانذار وصوروا أن هناك غارة واطلقت المدفعية طلقاتها على أهداف مزورة ···

ـ ··· ··· ··

ـ يوم ٩ ، ١٠ يونيو

ـ ··· ··· ··

ـ البلد الان فى فوضى شديدة ·· زادت الاسعار ·· ولا يوجد ما يكفى من الاحتياجات الاساسية للمعيشة ·· الناس فى ذعر وفوضى

كانت هذه المناقشات صورة لما حدث للاخرين ايضا ·· ولك ان تتخيل البدايات والنهايات المختلفة التى حدثت مع باقى الاسرى ·· والتى كان لها ردود افعال ومناقشات لاأول لها ولا أخر ·· فمثلا تعليقا عما سمعناه عن أحداث ٩ ، ١٠ يونيو ··

ـ البلد فى فوضى ···

ـ يا أخى انت عند عدو ···

www.alkottob.com

ـ يجب أن تكون هناك فوضى فعلا ·· أنا لا أستبعد هذا الكلام
ـ ولكن هل المظاهرات حقيقة ···
ـ لماذا لا تكون حقيقة ···
ـ هل فعلا التليفزيون كان يعرف فنقل المظاهرات بهذه السرعة ··
ـ والتلغرافات هل تصل بهذه السرعة ···
ـ فعلا هى مسرحية ···
ـ وهل بلدنا يمكنها الان ان تستمر بدون عبد الناصر ···
ـ وهل الذى خلقه لم يخلق غيره ···
ـ خلق غيره بالطبع لكن هل بلدنا تحتمل التخريب فى هذا الوقت الحرج·
ـ يتركنا فى حالنا ·· مائة آخرون يستطيعون ···
ـ صدقنى ·· هذه مصيبة حقيقية ···
ـ لا مصيبة ·· كان من الممكن أن نعيش أحسن بدونه ···
ـ والله أنا غير مصدق لما حدث ·· كلام يهود ودعاية ···
ـ ولماذا يكذبون ····
ـ لان من صالحهم أن تتصور بلدك فى فوضى فتستسلم لهم ···
ـ يجب أن تكون فوضى ···
ـ كانوا وصلوا القاهرة ···
ـ غير معقول لان الشعب ···
ـ شعب ايه ياعم ···
ـ الشعب الذى حارب فى بور سعيد ···
ـ بور سعيد يا ساذج ·· اسكتوا ·· اتركونا فى مشاكلنا ···

وهكذا كانت دائما ما تثور مناقشات حول امكانيات الحل السلمى ·· التناطح مع امريكا التفاوض مع اسرائيل ·· حق شعب فلسطين فى العودة ·· تحالف العرب والدول الشرقية هل الحرب هى أحسن الحلول ···

تبع ذلك تصنيف للضباط يمكننى أن اتصوره كالاتى ·· قسم يناقش بمنطق ويحاول أن يفهم وان يوضح ·· وقسم لا يريد أن يناقش فيوافق على كل ما يقال له ·· وقسم لا يريد أن يستمع حتى لما يقال ·· وابتدات التيارات اليمينية واليسارية والمعتدلة تظهر بوضوح خلال المناقشات ··

www.alkottob.com

ثم تتصارع وتعلو الاصوات وتنخفض ·· ويختلى كل اثنين فى جانب للتدارس وتتسع الدوائر ·· وتتكمش ويزيد المناقشات تأججا ضابط قادم من الاستجواب ·· فقد كانوا يدرسون الاتجاهات والمناقشات والنقاط التى يحدث عليها الصراع ثم يحضرون لها ·· ويدفعونها فى الاتجاه الذى يريدونه عن طريق من طرقهم ·· وقد تسألنى كيف كانوا يعرفون المناقشات التى تدور فى معسكر مغلق ···

كانت لهم أكثر من طريقة لذلك · الاولى سؤال مباشر لاحد الضباط الذين استطاعوا اجتذابهم ·· ماذا تقولون ·· ؟ ·· والثانية ·· طرح نقطة للبحث على جميع المستجوبين ثم يحضرون أفرادا من شرائح مختلفة فى المعسكر ويناقشونهم فى هذه النقطة ·· والثالثه كانت بالتقاط سؤال من احد الضباط لهم أثناء استجوابه أو مناقشاته ··

كذلك أصبح للاستجواب فى هذه الفترة دور جديد ·· وهو ترويج الاشاعات قد تتصور أن الامر بسيط ·· ما هى الاشاعات التى يمكن ترويجها ·· ؟؟ ·· ولكن فى الحقيقة كانت الاشاعة سلاحا حاسما فى تعذيبنا ·· استعملته المخابرات الاسرائيلية بمهارة شديدة ·· وكانت ابرز اشاعة لها تاثير فى هذه المرحلة هى اشاعة العودة ··

ـ متى سنعود ··· ؟؟

ـ قريبا اقرب مما تتصورون ··· ؟؟

ـ ··· ···

ـ فى حدود شهر ··

ويعود حامل الاشاعه لينشرها سرا ·· ثم تتزايد همسا ·· وتتناقلها الاذان ··· ويؤكدها اخرون حضروا من الاستجواب··وبمر شهر··ولا نعود· لماذا ··· ؟؟

ـ الحكومة المصرية لا تريدكم ··· !!

ـ معقول لا يريدوننا ·· نحن اولادهم ···

ـ لا يريدونكم لانهم يخافون منكم ان تقولوا الحقيقة ···

ـ وهل الحقيقة اصبحت خافية ··

ـ النظام قلق ولا يحتمل البلبله ··

www.alkottob.com

ـ وهل لدينا القوة لخلق بلبلة ...

ـ ... هذا رأى حكومتكم ...

وينقلب التفاؤل الى ضده .. ونصاب بحالة سوداوية وقلق وقرف .. بعدما كنا قد أعددنا انفسنا للعودة .. وتمر الأيام ونعتاد على سجننا .. ليطالعنا أحد المستجوبين ...

ـ المباحثات تقدمت وستعودون لبلادكم ...

ـ ... ...

ـ خلال الاسابيع القادمة ..

وترتفع حالتنا المعنوية الى أقصى درجة .. ونصاب بموجة تفاؤل تعم المعسكر اقتنكس ثانيا ...

ـ اختلفتا ثانيا ...

ـ لماذا ...

ـ من أجل ثلاثة جواسيس .. تصوروا لا يريدون مباطلة ٥٥٠٠ أسير بثلاثة جواسيس .

ـ لهذه الدرجة ؟؟

وتدور الاحاديث .. ما هذا الاستهتار .. لا أصدق ...

ـ بل صدق الفرد عندنا لا يساوى شيئا ...

ـ لو كان ابن أحدهم معنا لرجعنا من مدة طويلة ...

ـ اللواء ياقوت دفعة الرئيس لا يعقل أن يتركه عنا ..

هذا ما حدث ....

وهكذا ترتفع حالتنا المعنوية وتنخفض فى فترات متتالية متقاربة أو متباعدة حسب المخطط الاسرائيلى الموضوع لتدمير جهازنا العصبى لاتمام خطتهم ..

الحراس الاسرائيليون يضحكون .. المستجوبون يبتسمون بسعادة شديدة .. الاذاعة المحلية تفتح قبل ميعادها بمدة .. المذيع يذيع تعليقات ساخنة .. قالت السيدة أم كلثوم أنها لن تغنى الا فى تل أبيب قبل حرب يونيو .. والاذاعة الاسرائيلية يسرها أن تتيح للسيدة أم كلثوم

www.alkottob.com

الفرصة للوفاء بوعدها للفناء فى نل أبيب خصوصا وأن هنـاك اكثر من مليون من العرب فى انتظارها وأكثر من ٥٥٠٠ مصرى أسير بعتليب يتمنون سماعها تغنى لهم ...

نشرة الأخبار : أذاعت اذاعة القاهرة بأن المشير عبد الحكيم عامر قد انتحر خبر من بيروت بأن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر قد استقال .. وفى هذه المره كان رد الفعل مخالفا تماما لكل التوقعات .. فلقد تصـاعدت الهتافات من عناير الجنود ...

ـ تسقط الاذاعات الكاذبة ...

ـ عاش الرئيس .. عاش المشـير ..

ثم تلتها هتافات من عناير الضباط ...

ـ تسقط الاذاعة الكاذبة ...

ـ لا رئيس غير جمـال ...

الضباط يبكون .. الوجوه مصفرة .. كل منا يبكى .. بلدنا تسقط فعـلا ....

ـ وايه يعنى لما يموت ٠ عشرون الفا ماتوا في سيناء ٠

ـ بلاش كـلام فارغ ...

ـ كان رجـلا طيبا ...

ـ الى اين يا بلدى .. مات المشير .. واسـتقال الرئيس ...

ـ وهل تركه الرئيس ينتحر .. انها عشرة عمره ..

ـ رجل شريف .. رفض تقبل الهزيمة ...

ـ الصدمة كانت اكبر منه ...

الجنود فى حالة هياج شديد .. يقذفون الابراج بالحجارة .. عتاف واحد ل ٥٥٠٠ اسير ـ ناصر .. ناصر .. ناصر ..

اليهود يلبسون الخوذ .. فى حالة ارتباك شديد .. بعض كبار ضباطهم ينزلون المعسكر فجأة ويهددون بحرماننا من سماع نشرات الاخبار ..

وفى اليوم التالى انتظرنا النشرة ...

اخبار بيروت المشير لم ينتحر .. وانما انتحر ...

الهتافات تعلو قبل انتهاء الجملة .. عاش المشير .. عامر .. عامر ..

يحيـا عامر .. هس .. هس ...

اخبار بيروت تكذب خبر أستقالة الرئيس عبد الناصر ...

www.alkottob.com

ناصر ٠٠ ناصر ٠٠ ناصر ٠٠

ـ يعنى ايه انتحر ٠٠٠

ـ يعنى ضغطوا عليه لينتحر ٠٠٠

ـ يعنى مـات ٠٠٠

ـ تسقط الاذاعات الكاذبة ٠٠٠ تسقط الاذاعات الكاذبة ٠٠٠

ـ لا رئيس الا ناصر ٠٠ ناصر ٠٠ ناصر ٠٠٠

اليهود فى غيـط شـديد ٠٠

ـ عائدون لك يا فلسـطين ٠٠

ذهول بين الضباط ٠٠٠ بعضهم يبكى ٠٠٠

ـ لمـاذا تبكى ٠٠

ـ ألم تستمع لهذه المصيبة ٠٠٠

ـ المشير كان يجب أن يفعل هـذا ٠٠

ـ ولمـاذا تركوه ينتحر ٠٠٠

ـ كى لا تظهر الفضـائح ٠٠٠

ـ يعنى مات حقيقى !!

ـ ولماذا لا ٠٠٠

اليهود يطلعون اللواء ياقوت على رسائل وكالات الانباء المختلفة ٠٠ وهى تقول انه فعلا مات ٠٠ الاذاعة الاسرائيلية تدافع عن المشير الان اصبح بطـــلا ٠٠

ـ وما الذى قالوه عنه من قبل ٠٠٠

ـ هـذه اذاعة موجهة لنا فقـط ٠٠٠

ـ لا ٠٠ فهى اذاعة عالمية لا تكذب ٠٠٠

ـ يقال ان هناك مؤامرة وقبضوا على ضباط كثيرين ٠٠

ـ مثل من ٠٠٠ ؟

ـ صـــلاح نصر ٠٠ وجـــلال هريدى ٠٠ وعثمان نصـــار ٠٠ وشـمس بـدران ٠٠

ـ لا يعقل هذا ٠٠٠

ـ اللواء ياقوت رأى أوراق وكالات الانباء ٠٠٠

ـ الان ٠٠ هل هذا وقت مؤامرات ٠٠ ؟؟

ـ ممكـــن ٠٠٠

ـ ياناس البلد فى ازمة ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ من اجل تنغطية ما فعلوه فى سيناء ..

ـ هذا كذب

ـ الرجل قرأ رسائل وكالات الانباء ...

وتخفيف الضغط .. تحسنت اصناف الطعام .. وزادوا لنا القش فى المراتب .. واحضروا لنا دفعة من خطـــابات مصر وطرودها .. واحضروا لنا ايضا طرودا من الحكومة المصرية وخفت الازمة تدريجيا .. حتى تنسينا ما يحدث فى القاهرة ...

وفى يوم قالوا انهم قد أحضروا لنا سينما .. أخذ كل منا بطانيته او جردل التبول الليلى .. وجلسنا صفوفا على الارض امام شـــاشة للسينما .. ننتظر ...

عرضوا علينا اول فيلم .. عن الكيبوتزيم ... العمـــل بداخله ... الغذاء .. الراحة ثم مناقشات الاجتماعات .. وفى اخر هـذه المناقشـــات وقفت سيدة تقول .. اريد ان يكون لى منزلى ـ أطفالى ـ زوجى .. اريد ان اعيش حياة خاصة اربى اولادى وارعاهم واراعى زوجى .. نعيش فى فقر فى يوم ونغتنى فى يوم .. نأكل ما نريد نلبس ما نريد ـ حقـا الحياة فى الخارج اكثر صعوبة ولكننى اريد أن اعانيها ...

ثم فيلم آخر . عن حياة البدو فى صحراء النقب وقسوتها وكيف يقدم الاطباء الاسرائيليون كل رعاية لهم .. بل يخاطرون بحياتهم فى الصحراء من اجلهم .. ثم انواع الرعاية الاجتماعية المختلفة قوافل الصـــحة وقوافل التعليم .. وقوافل الاعاشه المستمرة فى النقب .. وتصل قمة الدعاية عندما يلحق مواطن بدوى بالجامعة العبرية ويصبح طبيبا يقوم برعاية اهله .. وفى النهاية هكذا تصبح اسرائيل رســـول الحضـــارة بين هؤلاء العرب المتخلفين .. ولكن ما ننبهم .. هذا الفيلم ناطق باللغة العربية .. اى انه موجه اساسا لعرب فلسطين ...

فيلم آخر عن المشروعات الاساسية لتعمير النقب . مصانع البوتاس على البحر الميت مشروعات رى النقب وتحويل نهر الاردن .. ثم فيلم عن اعداد المظليين الاسرائيليين وتدريبهم .. وهو فيلم شبيه بالفيلم المصرى عن اعداد المظليين المصريين .. ومجموعة من افلام الدعاية الواضـحة التى اضجرتنا . فى نهاية السهرة قمنا نسب لهم ولهذه السينما السخيفة التى صدعوا بها رءوسنا .. وبطبيعة الحال وصلتهم تعليقاتنا .. ولكنـــهم

www.alkottob.com

بالتأكيد كانوا يعرفون أن هذا سيكون رد الفعل بدليل أنهم أفرغوا جميع أفلام الدعاية المباشرة فى سهرة واحدة ·· ثم أصبحوا يعرضون علينا أفلاما طويله بعد ذلك فيلم كل أسبوع ···

فى منتصف الأسبوع التالى طلبونا لحضور محاضرة أو ندوة ·· وكان موضوعها اللغة العبرية وعلاقتها باللغة العربية ·· محاضرة طويلة عن قرابة اللغتين فهما من أصل واحد ·· فى اللغة العبرية تقول آحاد ·· اشنين ·· ثالوث ·· رباع ·· خمشه · فى اللغة العربية تقول رجـــل ·· فى العبرية يقولون رجال ·· وهكذا أمثله كثيرة لا أتذكرها جيدا ولكننى كنت موافقا عليها ·· فبالفعل اللغتان نشـأتا فى منطقة واحـدة ولابد أنهما قد تأثرتا ببعضهما ·· كما حدث بين الفرنسية والايطالية والاسبانية ·· ولكن المحاضر يتبع ذلك بأننا أبناء عمومة ·· وأنه ولابد أن يحل السلام والتفـــاهم بين أبناء العمومة وعموما كفانا المحاضر مئونة تحليل ما يريد ان يصـــل اليه فلقد اوجزها هو بنفسه فى نهاية المحاضرة عندما قال ·· وسواء رضيتم أم لا·· وسـواء كان هـذا اليوم (قريبا أو بعيدا) الذى سنتفاهم فيه ونتبادل المصالح التجارية والصناعية ·· فأنه من الضرورى عمل جسر بين اللغتين بدايته عمل قاموس للغة العربية العبرية ·· ونحن ندرس اللغة العربية فى مدارسنا كلغة اولى اجبارية لكل طلاب المدارس فى اسرائيل ·· وسنعقد دراســات للمعرب فى اللغة العبرية ·· فى الضفة الغربية وفى الجولان ·· وفى قطاع غزة وســيناء ···

وتطورت حياتنا ·· فلناخذ يوما من هذه الايام ·· عقليت الساعة ٧ صباحا الحجرة رقم (١٠) ·

ـ يا حضرات برتيتة البوكر جاهزة ··

ـ يا أخى قول يا صبح ·· بوكر ·· بوكر ·· بوكر ·· انتم ايه ··!

ـ احنا ورانا ايه ·· واحد ·· اثنين ·· ثلاثة ·· والرابع رفع راسه من تحت البطانية ·· الا أونه ·· الا دوه ··

ـ فســرق ··

ـ صباح الخير يا حضرات ··· الفطار ··· الفطار ··

ـ والنبى خذ لى ··· معـك ···

ـ لا قوم انت ···

ـ لما اخلص الدور ده ···

www.alkottob.com

ـ من يلعب بريدج ...
ـ انطاوه من حقنا النيوم .. أمس كانت فى الحجرة رقم (٩) ..
ـ أحضرها يا مجدى ...
ـ نسمل دورى ...
ـ أنا أخذت الدورى مرتين والرائد توفيق مرة .. ومحمود مرة ..
ـ ندمل القرعة لتحديد اللاعبين ...
ـ اذت يا جدع انت مش دبتى تستدرق وتطفى النور ...
ـ أنا مش يا أخى أسهر زى ما أنا عايز ...
ـ تصوروا فى الحجره رقم (٨) كانوا حـــاطين جردلين واحد للميه والتانى للبول واحد منهـم قام فى الضـلمة شرشر فى جردل الميه وشرب من جردل البول ...
ـ يا شيخ محمد الشهاوه حسعد نقرا شوية فى الاوده ١٢ ...
ـ الحب معاكم ...
ـ لا أعملوا برتيته تانية ...
ـ أنا عندى صولد محترم سجاير العال مش سياون ولا ناديف ...
ـ شارك الدكتور ...
ـ نعيما يا عم ... هـل توجد مياه فى الحمامات ..
ـ ميه جميلة .. حلقت فى الاوده ٦ واستحميت ...
ـ ثمن علبة المربى دلوقت ثلاث علب سجاير بلمونت صـغيرة ..
ـ وبكره ترخص كمان لما الناس تخلص سجاير ...
ـ انا محتفظ بالسجاير لغاية مترخص خالص وحشترى بها غيارات..
ـ يا اخى خـلى عندك دم .. زمـلائك بيشمشـموا على سيجارة وانت لا تدخن ومخزنها عندك .
ـ ايه حقى انا لا ادخن اكل مربى .. اشرب عصـــير .. أشـــترى غيارات ..
ـ وزميلك بيبقى بدون غيارات ..
ـ والله مزاجه هفه على كده .. يايدخن .. يايلبس .. حد ضربه على ايده ..
ـ تلاعبنى عشره طاولة بطبة بلمونت كبيرة ...
ـ لا صـــغيرة ...
ـ تعالى ححكى لك حكاية ...

www.alkottob.com

ـ عارفها القائد سسابك ٠٠ ومشى وتهت فى الجبل ٠٠ وكنت حتموت من العـطش ٠٠
لا ٠٠٠ ده فوزى بيقول ان الاتفاقية وقعت ٠٠٠
ـ ياعم والله ما عايزينكم احنا حنفضل هنا طول العمر ٠٠٠
ـ لادى حقيقى ٠٠ فوزى رشا الحارس بعلبة سجاير بلمونت كبيرة ٠٠ وسمعه صوت العرب النشرة ٠٠ بس متفولش لحد ٠٠٠
ـ تفتكر حقيقى حنمشى امتى ٠٠٠ ؟؟ ٠٠٠
ـ بتوع ٥٦ قعدوا شهر ونصف واحنا كده على شهر سبتمبر ٠٠٠
ـ لا سبتمبر كتير قوى ٠٠ نقعد ٤ شـهور ٠٠
ـ امبارح حضرنا الارواح فى السلة وكتبت اننا حنسافر فى سبتمبر ٠٠
ـ بـلاش كـلام فـارغ ٠٠٠
ـ والله السلة حقيقى أنا أعرف واحد ٠٠٠
ـ اسكت وحياة ابوك انا مش فاضى لك ٠٠٠
ضجة ـ ياه ٠٠ برافو ٠٠ برافو ٠٠ تصور ضرب صولد على فلوش ما نكيه٠
ـ كسـب قـد ايه ٠٠٠
ـ اربع علب سجاير ٠٠٠
المستجوب لمح لى من بعيد ان كنت عايز أسافر بره ٠٠ ممكن ٠٠
ـ ازاى ٠٠٠ !!
ـ قال لى لو تسـافر بره تحب تروح فين ٠٠٠ !!
ـ طيب م تسافر ٠٠ هى عيبها الوحيد انهم حيشـــغلوك هناك جاسوس ٠٠
ـ لا جاسوس ولا حاجة ٠٠ مش احسن من الرمية دى ٠٠ انا اقدر اسافر اى بلد ومن هناك أروح الكويت او ليبيا ٠٠ وابعت اجيب مراتى وولادى ٠٠٠
ـ فكرة عظيمة ٠٠٠
ـ اذا طولنا عن شـهر كمان حطلب منهم ٠٠٠
ـ يا شيخ محمد عيب كده انت راجل عارف ربنا كويس ميصحش ٠٠
ـ امال نسيبهم يموتونا هنا ٠٠ والله فى الاخر حيزهقوا ويموتونا ٠٠ الواحد يسافر بلد كده ولا كده ٠٠ ولا يقعد لغايه م يموتوه ٠٠٠
ـ فلان الفلانى ٠٠ مطلوب استجوابه ٠٠٠
ـ أيوه ياعم ٠٠ حتتشرب لك سيجارة نضيفه وشاى ٠٠ وحاجة ساقعة٠
ـ والنبى تقول لهم على الصـابون ٠٠ لحسن خلص وعايزين ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ وكوتشينه ...
ـ الجوابات اتاخرت والطرود ...
ـ حاول تشمشم كده حنمشى امتى ...
ـ الجرايد بتاعتنا جيبتوها ...
ـ لا .. هاتها والنبى ...
ـ شـوفْ يا سيدى الكـلام ...
ـ ايه ده يقصدونا احنا ...
الجريدة دى مدسوسة وحقيره جدا ...
ـ انا بقول نقاطعهـا ...
ـ وليه نقاطعها .. مش عايز تقراما بلاش انت لواحدك .. لكن
خلفضل حاطين خواجز على فكرنا لحد امتى ...
ـ الكلام ده كلام اعداء .. افهم .. ومطبوعة مخصوص علشان اهالى
المناطق المحتلة .. عايز تقرا .. اقرا الجيروزليم بوست .. يمكن
محترمة شـــويه ...
ـ اتفلسفوا علينا اكمنها بالانجليزى .. لا حقرا جريدة « اليوم » واللى
عايز تعمله اعمله ....
ـ قالك ايه المستجوب ...
ـ قال انهم مش عايزينا فى مصر .. وان المشكلة ٣ جواسيس مصر
مش عايزه تسـلمهم مقـابل الاسرى ...
ـ والله م انا مصدق ... بقى ده كـلام عاقل نصدقه ...
ـ بكره لما نروح مصر حتعرف ان ثلاثة جواسيس اهم منك ومن
الـف مثـلك ..
ـ وقال ايه كمان .. فيه طرود .. فيه جوابات ...
ـ بيقول مندوب الصليب الاحمر .. رجع ومعه ٤ جوابات فقط وطردين.
ـ واين هـم ...
ـ اتسلمت اللواءات ... كلها لهم ...
ـ شوف البلد .. حتى هنا كمان ... لواءات ايه احنا يعنى زبالة ..
ـ ده طبع .. مفيش فايدة سعد زغلول قال كده ... والله والله بيسرقوا
فى مصر طرودنا ميتورعوش عن سرقة سجاير اسير ...
ـ بالمناسبة الطرود فى المرة اللى فاتت جابوا اللواء ياقوت فتـــح
الصندوق بنفســه ...

www.alkottob.com

ـ فض الشمع الاحمر ·· وسابها فى الأوده بتاعة الاذاعة ومع ذلك وصلت ناقصة ··

ـ انا شفت بعينى العساكر المصريين اللى بينضفوا دخلوا الاوده وبصوا يمين وشمال وحطوا علبتين سجاير من الطرود فى جيبهم ··

ـ النهارده ذيه سينما ·· قاللى ··وسألنى ايه الافلام اللى بتحبوها ··

ـ شفت البنت أم صدر كبير ···

ـ لا ·· لكن شفت شويه رجلين ونخاد ·· يابوى ·· مش معقولين ·· ولا سلاسل الذهب ·· الشعور ·· الشعور ·· متفكرنيش ·

ـ كل الناس تقف انتباه ·· تحية للكنت رويال ···

ـ اتلعب صح ·· قال بارول عليه ·· البيه قال علبة سجاير والبيه الثانى رفعهم لخمس عليه ·· راح ضارب عشر علب ·· افتكروا بيبلف ·· دخلوا معاه ·· ولعه ·

ـ كان معاهم ايه ···

ـ غول رواه ·· وثلاثة آرس ···

ـ الغدا يا حضرات النهارده بولوبيف ···

ـ دى لحمة خنزير ·· والله اوعوا يا حضرات تكلوها ··

ـ هاتوا لى انا لحمة الخنزير ·· اوعوا يا حضرات تكلوها ·· هاتوها لى انا ··

ـ يا ناس والله دى لحمة بقرى ··

ـ الشيخ محمد اكل منها ···

الشيخ محمد ياكل الدردى ·· انت مش فاكره لما شرب بوله وقعد يصوت ويقول ويسكى ·· ويسكى ···

ـ انا رحت بنفسى المطبخ وسالت قالوا اللحمة بقرى مش خنزير ·· واليهود على كل حال مبيكلوش خنزير ···

ـ انت عارف ان فيه ترفيه جه من تونس ···

ـ مش معقول ايه ·· ؟؟

ـ مربى ·· وبسكويت ·· وامواس حلاقة ···

ـ بيشمتوا فينا ··

ـ والله بورقيبه راجل ·· هو اول واحد قال نلمها شويه ··

ـ يا اخى بدل ما تشتم اشكر ·· انت ايه ·· ؟؟

ـ انت امبارح ·· وانت نايم كنت بتحلم بايه ··· ؟؟

www.alkottob.com

ـ ليـه ؟؟

ـ كنت بتصوت وتقول ابنى .. ابنى ..

ـ حملت انه بيسـقط من البلكونة ...

ـ انا حوديك لواحد فى المعسكر هنا يرقيك .. بتضحك والله حقيقى .. يقرا لك شـوية قرآن قبل النوم ..

ـ لا ابدا انا رحت للدكتور وسألته .. ادانى « برت رانكيل » اختتهم قبل النوم ولا ورد .. ولا عفاريت .. يا راجل اتمدنوا بقى ..

ـ ايه رايك انا مش عاجبنى الطريقه اللى بنعيش بيها .. عايزين نجـدد ..

ـ وايه تصورك للتجديد ..

ايه رايك نعمـل محاضرات تثقيفية بدل البوكر والخيبـة اللى احنـا عايشـيين فيهـا ...

ـ موافق .. لكن ايه المواضيع الممكن الكـلام فيها

ـ الرسم ـ المسرح ـ السينما ـ علم النفس ـ التطور ـ القضـية العربية ..

ـ شـوف لنا كام واحد كده ونقعد انا شخصيا موافق ..

ـ ايه رايـك ...

ـ انا شخصيا لى رأى فى القضية العربية بلاش الكلام فيها لحسن كل حاجة بتوصـل ..

ـ يا اخى فى مواجهة الحرب النفسية دى لازم نعمل حرب مضادة ..

ـ ربنا يفوت الايام دى على خير .. وعندما نصـل بيتنا سينتهى كل شىء .. عموما مليش دعوه بأى حاجة .. لكن الرسم والمسرح .. الجنس موافق ... بالمناسبة شفت مجلة البلاى بوى ..

ـ لا .. تلاقيها حلـوه ..

ـ تجنن .. يا أخى بيجيبوا النسوان دى منين مش الغفر اللى فى مصر

ـ احنا حتى مش لاقيين لاقين الغفر دول ...

ـ لا انا عندى ماتشن تسيل .. حقفل البيجاما والكام خيار والاوفرول

ـ عندك شـويه اومو ...

ـ آه بعتوا لى من مصر رابسـو .. وتايد ..

www.alkottob.com

ـ بيوفر كثير فى الغسـيل ٠٠٠
ـ أنا بنقع الهدوم فى الميه والرابسو يوم ٠٠ ثم اضـع الصفيحة تحت الدش ساعة اثنين ٠٠ وانشر الهدوم على السلك لغاية م تنشف
ـ لا مينفعش لازم تدعكهـا ٠٠
ـ ياعم عنها مندعكت المهم تكون ريحتها كويسة وخلاص احنا حنتجوز
ـ النهاردة سينما ٠٠ وقفل الابواب متأخر بعد السينما ٠ احجز لنا ببطانيتك ٠٠
ـ أيه الفيلم ٠٠ بيقولوا كيلوباترا ٠٠٠
ميت مره كيلوباترا ويجيبوا أفلام اخرى ٠٠ اشاعات ٠٠

ونحضر الفيلم ٠٠ فيلم فرنسى جنسى جدا ٠٠ عن سيرك انثى تغرى رجلا لمزاولة الجنس ثم تهرب مع رجل اخر ويضطرون لقضاء ليلتهم فى كشك بالجبل يشغلون الدفاية ٠٠ ويزاولون الحب مرات عديدة بتفاصيل كثيرة ٠٠ ٠٠ وينتهى الفيلم ٠٠

ـ ايه رأيك ٠٠ أما حتة فيلم ٠٠
ـ يابوى على النسـوان ٠٠ والقبلات والحب ٠٠٠
ـ والموسيقى والرقص ٠٠٠
ـ الناس دى اكيد عايزه تجننا ٠٠ الفيلم مستحيل يتعرض عنـدنا بالشكل ده واحنا مطلوقين ٠٠ يقوموا يعرضوه والواحد آخر ذل ٠
ـ حتى الواحد مش لاقى مكان يدارى فيه حاجة تكسف ٠
ـ ياواد ياشقى ٠٠ كل واحد يا سـاده يحاسب على نفسـه مقى ٠٠
ـ مسـاء الخير ٠٠ أحاد ٠٠ اثنين ٠٠ ثالوث ٠٠ تصبحوا على خير ٠
ـ عندنا اليوم الصبانّ سيقنى يا حضرات بدلا من محمود لان فى الاوده ٨ برتيتة بوكر سيحضرها ٠٠٠
ـ معزمتش ليه ايمنّ بيطبـلّ كويسّ ٠٠٠
ـ انت صاحبه معزمتوهش ليه ٠٠٠
ـ الصلاة يا حضرات ٠٠ حى على الصلاة ٠٠ حى على الفـلاح ٠٠ الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠
ـ انت م بتصليش ليه ٠٠
ـ نفسى والله ٠٠ لكنّ حاسس انى بضحكّ على ربنا ٠٠٠
العدد اللى بيصلى كبر ٠٠ لم يبق الا انا وانت والرائد توفيق ٠٠

www.alkottob.com

ـ علشـان مسيحى ...
ـ عارف .. لكن بيصلى يوم الاحد .. القسيس بيجى لهم ويصلوا ..
ـ مشتاق يا أحباب مشتاق .. وتعبت من الاشـواق .. صمت شديد وشـرود
« ياما زقزق الامرى على ورق الليمون .. نصفيق على الواحدة..
ـ حبيب قلبى واعدنى ...
ـ فى الحجره ٢٠ عملوا مسرح عرايس عايزين نعزمهم يوم يعملوه لنا..
ـ مين اللى أخد بولة الطاولة ...
ـ فاضـل دور بين محمود ومجدى ...
ـ معاك سيجارة نضيفة ...
ـ انت قريت الجواب ده ميت مرة ...
ـ يا جماعة الساعة بقت ثلاثة عايزين ننام ...
ـ م تنام حـد مسـكك ..
ـ النور ...
ـ كل واحد حر .. يعنى لو كان اليهود اللى بيقولوا تنام والنـور مفتوح تنـام ..
ـ لازم كل واحد يحترم الاخرين ..
ـ قوللى من فضلك مين يستحق الاحترام فيكم ...
ـ حكسر اللمبة ...
ـ اكسرها وانا أكسر رقبتك ..
ـ أنت أخلاقك حقيرة ...
ـ انت فاكر نفسك بنى آدم .. الدلورنـ منك بقرش ...
ـ وانت اذا م سكتش حقوم أضربك ...
ـ يا جماعة صلوا على النبى ...
ـ لا .. دى عيشة تزهق أنا حَعزل من الاوده دى بكره .. مليش قعاد معاكم .. كل يوم سهر لمساعة ثلاثة .. واربعة .. لا ياحضرات .. واذا الواحد اتكلم بيتشتم .. لا يا حضرات .. دى مش عيشة .. الواحد بيقاسى من المصريين اكثر من اليهود .. لا يا حضرات .. دى مش عيشة .. لهم حق يغلبونا ...
ـ اتكتم واسكت ..
ـ حاضر حتكتم انتم ايه مش مصريين .. فراعنة ...

www.alkottob.com

ان الاسرائيليين لا يملون الدعاية ·· وحربهم النفسية مستمرة ·· قبل الحرب ·· واثناء الحرب ·· واثناء الاسر ·· وبعد الاسر ستستمر ايضا دعايتهم وحربهم وتاثيرهم وهم لهذا يبذلون جهدا كبيرا ·· وتخطيطا علميا حقيقيا للوصول الى اهدافهم ·· وهى ترسيخ بعض المفاهيم فى عقولنا عن ضعفنا وتفككنا ·· وقوتهم وسيطرتهم وعظمتهم ·· وبالتالى عدم قدرتنا على مناطحتهم والصمود امامهم وما تبقى ان نستسلم تماما لما يريدون ·

فقبل الحرب لم تمل اذاعتهم ابدا عن الدعاية ·· بل استغلوا ان حالتنا تستوجب البعد عن أهالينا دائما ·· فاغرقوا اذاعتهم باغانى التشويق للاحباء البعداء ·· وكان لهذا تاثير بالتاكيد بطىء ولكنه فى النهاية مثمر ·· واثناء الحرب استغلوا التدهور والتفكك الذى حدث للجيش المصرى أحسن استغلال ·· وقد كنت اعجب للنداءات التى كانوا يذيعونها واعجب لسعة خيالهم كما راينا قبلا ولكننى فهمت ما معنى ذلك عندما رايتهم يجمعوننا من الصحراء كسمان وقع فى اقربه شبكة منصوبة له على شاطىء البحر بعد رحلة طويلة مرهقة ·· وفى بداية الاسر كانت دعايتهم مركزة على اسقاطنا من الداخل ·· على كسر انسانيتنا جماعيا ·· على تكثيف الاحساس باننا نعيش فى غابة ·· وكيف تزيد التنازع والضغائن بيننا ·· بل وبالعكس كيف كنا نشعر بانسانيتنا أثناء الاستجواب ·· ومع العدو فقط وكيف توصلنا الى نتيجة خطيرة جدا وهى اننى كمصرى بين المصريين محتقر وذليل وكانسان فرد امام مستجوب شخص يستحق الاحترام حتى من عدوه ·· وكيف توصلنا ايضا الى نتيجة خطيرة ان سبب ذلى هو مصريتى وهو انضمامى لجيش مصر ·· واسرى مصر ·· وكيف توصلنا فى النهاية للتبرأ من مصريتنا ·· وعضويتنا بجيشها وانضمامنا لجماعاته ·· ثم وبعد ذلك محاولتهم لبث فكرة انهم لا يحملون لنا اى ضغينة وهم المظلومون المدافعون عن انفسهم ضد طغيان حكامنا الحرب الذين تدفعهم تطلعاتهم الشخصية ·· ورغبتهم فى مجد شخصى للتضحية بنا ·· وكانت وسائلهم لذلك متعددة ·· حبس الاخبار عنا وتركنا عميانا فى بلد من المبصرين ·· ثم السماح لنا بالاخبار المسيطر عليها بطرق مختلفة ·· وكيف كانوا يقلبون اوجاعنا كلما هدانا ببيان او فيلم او محاضرة أو اشاعة أو استجواب أو كتاب أو أغنية أو قطعة موسيقى ··

ثم كيف استغلوا الحرمان وربط السيجارة النظيفة والقهوة والشاى والمرطبات بالاستجواب ·· وتحويله الى قضاء وقت سعيد بدلا من الضرب

www.alkottob.com

منه ٠٠ كذلك استغلوا الجنس الاذرع العارية ٠٠ الأرجل العارية ٠٠ الصدور العارية ٠٠ المجالسة فى الطريق للاستجواب ٠٠ الذاهبة للمطعم والمتكلمة فى الميكرفون ٠٠ ثم كيف زادوا انفعالنا الجنسى عن طريق المجلة ٠٠ والفيلم ٠٠ والزيارة ٠٠ وهكذا استعمل اليهود كل شىء ٠٠ الخطابات ٠٠ الاكل ٠٠ النوم ٠٠ المرحاض ٠٠ الترفيه للوصول بنا الى هذا الشكل ٠٠

كنا كفئران التجارب فى معمل ابحاث ٠٠ يضعهم الباحثون فى الظروف والاماكن ويعالجونهم بالشكل المطلوب لابحاثهم ليطوروا عليهم تجاربهم ثم يعيدوهم بعد اخذ النتائج ٠٠٠

ولقد اجرى علينا الاسرائيليون تجارب عديدة نفسية وجثمانية وعلمية واجتماعية ٠٠٠ ودونوا نتائجهم وطبقوها ثانية علينا ٠٠ من هذا المفهوم ٠٠ نستطيع ان نقول ان معظم تصرفاتنا ٠٠٠ وحياتنا فى معسكر عتليت كانت انعكاسا للتجارب التى يجريها باحثو اسرائيل ٠

تجمعنا فى يوم أمام السور الامامى للمعسكر فى انتظار نشرة الاخبار وكان الاسرائيليون فى حالة ارتباك شديد ٠٠ وفى الموعد لم تذع النشرة ٠

ـ لماذا ٠٠٠ ؟؟

ـ النور مقطوع عن المعسكر ٠٠

ـ لا بد وأن شيئا ما قد حدث ٠٠٠

لا أعرف ٠٠٠

ثم انتشر الخبر بعد ذلك ٠٠ انتشر من معسكرات الجنود ٠٠ لقد غرقت مدمرة اسرائيلية دمرتها لهم البحرية المصرية ٠٠٠

ـ كيف عرف الجنود ٠٠٠

ـ وهل يخفى عليهم شىء ٠٠٠

ـ حتى هنا ٠٠٠

ـ مش معقول ٠٠ لقد انتهت الحرب ٠٠

ـ وما الذى يمنع ٠٠٠

ـ حقا ٠٠ كيف عرف الجنود ٠٠٠

ـ لا اعرف الا انهم ارسلوا لنا ورقة بالخبر ٠٠٠

وفى اليوم التالى تجمعنا ثانية للاستماع لنشرة الاخبار ٠٠ حرائق فى مستودعات البترول بالزيتية ٠٠٠

www.alkottob.com

الحرائق تتشـاهد على بعد ٢٠ كيلو متر ..

الدخان الاسـود يغطى مدينة السويس ..

مستحيل السيطرة على الحرائق ..

ضجة فى العـالم نتيجة لغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات ..

هيه .. هيه .. (صيحات فرح للمصريين) ...

الجنود الاسرائيليون يصوبون رشـاشاتهم لنـا ..

اسكت خلينـا نسـمع الباقى ...

ضرب مسـتودعات البنـزول فى الزيتيـة رد عملى على اصـابة المدمرة ايـلات .

المدنيون يهاجرون من مدن القناه .. الاقتصاد المصرى ينهـار ..

ودارت المناقشـات حول هذا الموضوع ...

ـ ضربة معـلم ...

ـ والله خبر جميل جدا .. لكن كيف عرف الجنود ...

ـ هيه المدمرة بيقى فيها كام ...

ـ حوالى الف ...

ـ بلاش هباله ... الف ايه لا يزيد عن ميتين ...

ـ طظ فى الزيتية ...

ـ لكن هم مجانين يسيبوا بترول فى مستودعات على مرمى بنـادق العدو مش مدفعيته .

ـ كله بثمنه .. يعنى ميضربوش ايلات لغايه م يفضوا المستودعات .

ـ الواحد اترد له ثقته بنفسـه ..

ـ عقبـال سـينا ...

كان هذا الخبر ايذانا بمرحلة جديدة فى حياتنا .. فلاول مره نشـعر أن العالم خارجنا تحدث فيه احداث مخالفة لمـا نسـمعه عن أن الكباريهات فى القاهرة مفتوحة وأن المواطنين يتنزهون على الكورنيش وأن الاقتصـاد المصرى فى انهيـار وأن هنـاك انقـلابات وانتحارات وانهـم لا يريدوننا كى لا نثير البلبلة ... الـخ ...

وصاحب هـذا انفجارات متتالية فى معسكرات الجنود .. واضراب عن الطعام وانتقلت الاضرابات الى معسكرات الضباط .. وقامت أكثر من معركة بين الجنود المسـلحين بالطوب وقطـع القمـاش المبـلل بالسـولار

www.alkottob.com

والمحترقة .. وبين الاسرائيليين المسلحين بالرشاشات وهاجم الجنود برج حراسة واستولوا على رشاش .. واستدعى احتياطيات جديدة للسيطرة على المعسكر ثم اعادوا دراسة نظام الحراسة بالمعسكر واحضروا اللواء الجولانى ليشاركنا فى معسكرنا .. وسارت طوابيره ليلا ونهارا تستعرض خطوتها وتغنى أغانى بالعبرية على الحان موسيقى غربية وزادت ورديات الحراسة الراكبة عربات جيب المصطحبة للكلاب وشاهدنا محاولتين للهرب سانجتين .. احداهما كان ضابطان صغيران وقعا عند أول منعطف خارج المعسكر عندما تحدث معهم احد الجنود الاسرائيليين فلم يستطيعا الاجابة الا بكلمة « شالوم » وهى الكلمة الوحيدة العبرية التى يعرفانها ..

واضطر اليهود لاصطحاب اللواء ياقوت والرائد صفوت للسيطرة على الجنود فلقد منع الجنود المصريون الاسرائيليين من اخذ التمام .. ولقد عاد لنا الرائد صفوت بصورة لما يحدث فى معسكرات الجنود .. فهناك نظام الحكم مختلف لقد استقر بشكل قبلى .. فافراد المحافظات المختلفة تجمعوا فى وحدات صغيرة .. والمحافظة التى لها رجال اكثر تحكمت وفرضت سلطتها على الاخرين .. وهكذا وفى ظل الحكم القبلى اوقف الجندى ذو العصبية الكبيرة الصف ضباط فى الصف بغض النظر عن رتبتهما وساعد على ذلك أن عددا كبيرا منهم كان من الجنود الاحتياط أو المستدعين قبل الحرب مباشرة .. ثم برزت بعد ذلك القيادات الحقيقية التى استطاعت تنظيم الحياة فى المعسكر وقيادة الاضرابات وقيادة المعارك المختلفة .. ووصفهم بانهم رجال فى منتهى الصلابة والجدة ...

كنا نجلس صامتين .. نستمع الى اعلان حلول شهر رمضان من الميكروفون المعلق بالمعسكر .. ثم صوت المذيع وهو يهنئنا بهذه المناسبة الدينية ثم القرآن المذاع بعد ذلك وانفجر الرائد عادل فى البكاء والتشنج .. متذكرا زوجته وأولاده .. وحسرتهم وهم يحتفلون برمضان دون عائلهم .. وتمتم آخر .. أول مرة أغيب عنهم فى مثل هذا الشهر .. واندفع آخران لنجدة الرائد عادل المغشى عليه .. ثم انفجرا فى البكاء مع الكلمات الحزينة التى يقولها خلال بكائه .. وتنبهنا على صوت أحدهم يقول « وحدوه .. يكره نرجع ونعوض اللى فات » ... جلست ساهما افكر ترى كيف ستحتفل بلدنا برمضان .. بعد هذه الهزيمة النكراء .. ترى .. هل ستضاء الانوار .. وهل ستباع الكنافة والمكسرات .. وهل ستستمر السهرات للفجر فى الحسين ... !! ـ وهل سيقول بعضهم لبعض كل سنة

www.alkottob.com

وأنت طيب ٠٠ ؟؟ ترى كيف تعيشين يا بلدنا ٠ جفف البكاؤن دموعهم ٠٠ وجلسنا نحكى ذكرياتنا ٠٠ أيام طفولتنا ٠٠ وأيام صـــبانا ٠٠٠ وأيام شبابنا ٠٠ المكسرات ٠٠ قمر الدين ٠٠ الفوانيس الملـونة ٠٠ الاغـــانى القديمة ٠٠ جو ورائحة ليـــالى الف ليلة وليلة ٠٠ حضر الحراس وفتحوا لنا الابواب مهنئين برمضان ٠ فالنظام الجديد للمعسكر أن تغلق الابواب فى الساعة الثامنة ٠٠ وتفتح فى الثانية عشر لقد تقلصت ســاعات الحبس الى أربع ســاعات يوميا ٠٠ وسـمح بإذاعة الاغانى والقرآن ليـلا ٠٠ وســاد المعسكر شكل جديد من أجل رمضان ٠٠٠

فى الصباح انتشر خبر قدوم اللواء الكاهن الاسرائيلى ٠٠ليقابل ٠مندوبى الاسرى ويرتب معهم الترتيبات المعيشية خلال شهر الصيام ٠٠٠

وبعد الظهر عرفنا انهم قرروا أن يحسنوا ويزيدوا كمية طعامنا ويعدلوا مواعيده بما يناسب الشـــهر الجديد وأنهم قرروا أن يصرفوا لنـــا (لبن زبادى) ٠٠٠ ومكسرات وفراخ على الافطار ٠٠ وقابلنا فى البداية موضـوع صرف الفراخ باســتغراب ثم ابتدأت بعد مدة مناقشـــة الموضـــوع تـــارة باستهزاء ٠٠ واخرى بشهوة وامتدت المناقشـــة بين هل صحيح ان اليهود سيطعموننا فراخا وزبادى ومكسرات أم لا ٠٠٠

واذا كان فما مقدار الفراخ ياترى التى سياكلها كل منا ٠٠ وكم مرة فى هذا الشهر ٠٠

وكان من قبـــل قد حضر لزيارتنا اللواء اســحق رابين رئيس اركان الجيش الاسرائيلى مر علينا فى حجراتنا وشاهد اماكن نومنا ٠٠ وعندما وجد عندنا كتابا لمؤلف هندى عن (عبد الناصر مصر) سألنا ترى لو كان اسرانا عندكم هل كنتم ستعطونهم كتبا عن ليفى اشـــكول او بن جـوريون ٠٠ ويومها قلنا له سنجعلهم ينامون فوق أسرة بدلا من النوم على الارض ٠٠ ووعد بأن يأمر باحضـــار اسرة لنا ٠٠ واعطونا كميـــة من البرقوق كهـــدية لزيارته ٠٠٠

وفعـــلا أحضروا لنا اسرة قرب بداية رمضان ٠٠

أصبح الجو أكثر برودة ٠٠ المطر الغزير يهطل ٠٠ أحضروا لكل منا ٤ بطانيات بدلا من البطاطين السابقة ٠٠ وأكثر نظافة وجدة ٠٠ وأحضروا لنا بعض الملابس الصوفية القديمة ٠٠ بدل كاكى صوفية من النوع الذى نسميه « باتل درس » ٠٠ وسمحوا لنا بطرود جديدة من مصر ٠٠ تحمل ملابس

www.alkottob.com

صوفية وبيجامات صوفية وكستور .. وادخل للحمامات نظام المياه الساخنة والباردة .. ثم احضروا لنا بعض الحلوى وقالوا هدية من نجمة داوود (مثل الهـلال والصليب الاحمر) وبعض اللب والسودانى والحمص وقالوا هدية من الشعب الاسرائيلى ..

ثم تلت زيارة اسحق رابين .. زيارة للقادة الاسرائيليين .. الجنرال اهرون مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية .. والجنرال مردخاى هـود قائد الطيران ومدير الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية .. واعضاء من الكنيست الاسرائيلى ومن الحزب الحاكم .. وزادت حفـلات السينما .. وتحسنت نوعيتها .. بعضـها عن السـيرك .. واخرى عن حيـاة مغنى الاوبرا كروزو وكان فيلما جيدا وبعضـها افلام هندية ولكن مـا يسـتحق الاهتمام منها حقا فيلمان او ثلاثة اسرائيلية ناطقة باللغة العبرية .. وكان الجنود الاسرائيليون يترجمون لنا الحوار وان لم يكن فى حـاجة للترجمة الفيلم الاول تدور احداثه فى المـانيا اثناء حكم النازى .. وخـلال مطـاردة الجستابو لليهود اختفت عائلتان فى حجـرة سرية هربا من الاعتقالات وفى انتظار تهريبهما للخارج .. فى العائلتين شـاب وشابة .. فى سن الحب .. فى سن التفتح .. كان لابد ان تنشأ بينهما علاقة عاطفية .. ولكن فى مثل هذه الظروف .. وتحت انظار الاباء والامهات والعمـات والجدود تتحول هذه العـلاقة الى عذاب .. الانظـار تحيطهما .. وتفهم سرهما .. ولا يستطيعون مساعدتهما الشـابان يحاولان ان يختليا ببعضـهما فى ركن ولكنهما يخجلان من اهلهم وهم لا يشـعرون بانهم يفهمونهما ويعطفـان عليهما ... الاعصاب تتوتر مع كل طارق .. الاعصاب تتوتر من الحبس .. والرعب من الموت .. عمة عانس تتفعل .. يا للقسـوة .. حق الحياة الطبيعية محرومان منه .. فى نهاية الفيلم ومع اصوات ابواق عربات الجسـتابو القادمة للقبض عليهـم تندفع الفتاة الى حضن فتـاها ويغيبـان فى قبلة طويلة .. ثم يصلحان ملابسهما ويسيران مع باقى عائلتيهما الى قدرهم ..

وهو فيلم جيد كقصة وتصويرا واخراجا وتمثيلا .. يستطيع فعـلا وفى الظروف الطبيعية ان يسرق منك الحب والعطف على اليهود .. والصهيونية .. ثم يصـل بك للنقطة الحاسمة وهو حقهم فى ان يكون لهم وطن يمرحون فيه ويحبون ويزاولون حياتهم من خلال حوار غير واضح وغير ظاهر فى الفيلم ولكن تاثيره علينا كان تعليقا ظريفا من احد الزملاء اذ قـال « الله يخرب بيته هتلر »

www.alkottob.com

لمـــــاذا ؟؟

لانه لم يقض على اليهود ويريحنا منهم ٠٠ فيلم آخر ٠٠ أم يهودية ٠٠ ضمن عائلة كلاسيكية تعيش فى فرنسا ٠٠٠ الاب يقرأ والام تشتغل التريكو والطفلة تعزف على البيانو والطفل يستذكر دروسه ٠٠ الاضـاءة خافتة نظرا لقيود الاضاءة اثناء الحرب العالمية الثانية ٠٠ ثم صوت صـفارات الانذار ٠٠ وتحدث غارة ٠٠ ويسقط المنزل وتموت تحت الانقاض الابنة ٠٠ ثم يدخل النازى المدينة ويقبضون على الاب ٠٠ وتهرب الام ٠٠ ويشـاهد الطفل اعدام النازى لمجموعة من رجال المدينة ومنهم أبوه ٠٠ الابن يهرب عن النازى وهم يطاردون جميع اهل المدينه ياكل من صندوق الزباله مثـل القطط والكلاب الضالة ٠٠ الام تنضم الى ملجأ لتربية أطفال اليهود فى جانب من الارض غير المحتلة أطفال كثيرون ٠٠ الام تبحث عن ابنهـا ٠٠ والابن مشرد ثم تتوالى أحداث الفيلم حتى دخول الامريكيين فرنسا ٠٠ ويتعلق أحد جنودهم بالطفل ٠٠ ويعلمه الانجليزية ويحاول تبنيه ٠٠ والام تجد سلوتها فى حب الاطفال بدلا من ابنها ٠٠ والاطفال يبادلونها حبا بحب ٠٠ وزميلاتها فى الملجأ يعطفن عليها ويحاولن البحث لهـا عن ابنها ٠٠ الجندى الامريكى يقرر أمرا بعد ما جاءته الاوامر بالتحرك سيرسـل الطفـل الى الملجأ ٠٠ وفى نفس الوقت تقرر الام أمرا ستبحث عن طفلها ٠٠ الام تتجه الى محطة السكة الحديدية بعد حفلة وداع صغيرة يقيمها لهـا الاطفال ٠٠ فى المحطة تجد فوجا من الاطفال ذاهبا الى الملجأ ٠٠ تبكى من اجلهم تحن لهـم تقرر الا تسافر وتهب حياتها للاطفال من أجل ابنها ٠٠ ترجع معهم تداعبهم وهم يغنون تضع يدها على رأس احدهم ينظر لها تنظر له ٠٠ انه ابنهـا ضمن هذا الفوج ٠٠ وبين القبلات والدموع يكتسب اليهود عطف العـــالم وتكتسب اسرائيل ملايين من الدولارات التى تحولها الى أسـلحة تشرد بهـا أطفال العرب ٠٠٠

هذه امثلة لافلام شاهدناها فى هذه الفترة محاولة لكسب عطف اسرى حرب لا حول لهم ولا قوة على القضـية اليهودية ٠٠ ومحاولة لترسـيخ مفهوم أن اليهود مظلومون وانه من العدالة قيام وطن لهم ناسين ان لنا اطفالا نبحث عنهم ٠٠ بين اللاجئين والمشردين فى فلســطين وســوريا والاردن ومصـــر ٠٠٠

وفى الليالى التى خلت من الافلام كانت هناك المحاضرات ٠٠ محاضرة عن الديمقراطية فى اسرائيـل ابتدأ المحاضر حديثه بأن اسرائيـل هى البلد

www.alkottob.com

الديمقراطى الاول فى العالم ٠٠فتعدد الاحزاب وتنوعها من أقصى اليمين الحينى الرجعى التوسعى ٠٠ الى أقصى اليسار الشيوعيي الصيني أو السوفيتي ٠٠ وما بين هذين الطرفين أحزاب تتفاوت درجة يمينيتها أو يســـاريتها ٠٠ جعلها قمة الديمقراطية ٠٠ وهو الشيء غير المتوفر فى دول العـالم أجمـع حتي انجلترا أو أمريكا ٠٠ الفرد فى اسرائيل يستطيع ان يقول أى شيء فى اى مكان وباى صورة ومسموح بذلك عدا العنف فى فرض الرأى ٠٠٠

هامش (ان هذه الاحزاب فريدة فى نوعها اذ هى قد نشأت قبل قيـــام اسرائيل وفى ظل مجتمعات غريبة فى أوروبا الشرقية وبولونيا وروســـيا القيصرية على وجه التحديد ٠

أغلب هذه الاحزاب بدأت أحزابا طائفية متعصبة ولقد شجعتها حركة الصهيونية العالمية أنها ليست احزابا على الطريقة الاوروبية رغم انهـــا أوروبية النشأة فى الغالب فهى تقوم بنشـــاطات متعددة فى حقـول مختلفة من الاقتصاد الى الخدمة الاجتماعية والضمان الصحى والثقافى والانبـــاء والمصارف والمسارح والجرائد والنوادى وليس بمستغرب ان تشكل « دولة داخل دولة » رغم تعددها وشدة صراعها العقائدى وحدة التنافس والتناحر الا انها بمثابة تنوعات مختلفة على الموضوع الاساسى الواحد ة الصهيونية ومخططها العدوانى فى جمع شمل يهود العالم تحت ظل دولة اسرائيل » ٠٠ هذه الاحزاب تعكس المذاهب الســائدة فى القرن التاســع عشر ٠ العلمـانية والاشـــتراكية والليبرالية والقومية المتطرفه وتنافســـها ليس عقـــائديا او ايديولوجيا بقدر ما هو من قبيل السعى وراء المصالح الخاصة والمنافع الاقتصادية أو الحصول على أكبر جزء من الميزانية ٠

بعضها تحول الى تروستات اقتصادية هذه الاحزاب تقوم على مركزية القيادة حيث تنحصر السلطات الحزبية بايدى فئة قليلة من الزعماء أما باقى الاعضاء فينضمون للحزب لكى يستطيعوا أن يجدوا عمـــلا او خـــدمات او تسهيلات ٠٠ والتى بدون ذلك لن يجدوها ٠٠)

(نظرة فى أحزاب اسرائيل « أسعد مرزوق »)

لم يعارض مغامرة ٥ يونيو سوى عضوين شيوعيين فى الكنيست وباقى الاحـزاب أيدت الاعتداء على العـرب ٠٠ أســاس الدعاية الاسرائيلية فى اسرائيل مركزة على اعتبـار العرب مجموعة من المتوحشـين الذين يريدون الفتـك بالاسرائيليين ولذلك يجب مقـابلة القـوة بالقـوة والارهـــاب بالارهاب ٠٠٠

www.alkottob.com

المحاضره الاخرى عن نشأة اسرائيل ٠٠ ومن خلال المحاضره نفهم أن اكثر من ٨٠٪ من مواطنى اسرائيل ليسوا متدينين وأن نسبة ٣٠٪ من هؤلاء غير مؤمنين اساسا بل هم ملحدون أما الهدف من التجمع الصهيونى فهو تحقيق تقابل للروح اليهودية ٠٠ وهو نهاية المجز الايديولوجى الذى تقوم على اساسه دولة اسرائيل ٠٠ الروح اليهودية فى مفهومهم هى أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لاقوا من الاضطهاد والتشريد والقسوة ما لم يلاقه غيرهم ٠٠ فهم من البداية مطرودون من مصر مستعبدون فى العراق مضطهدون فى الجزيرة العربية فى صدر الاسلام ومع بداية الدعوة من النبى محمد بالذات ٠٠ ثم وفى العصر الحديث واقعون تحت اضطهاد القياصرة الروس والنازية وأعداء السامية فى اوروبا وحاليا منبوذون من ١٠٠ مليون عربى يحوطونهم بالكراهية ولقد نجوا من اعداءهم العديدين ثلاث مرات خلال عشرين عاما ٠٠ والسبب فى هذا (هو الروح اليهودية والتضامن اليهودى النابع من التوراة ٠٠ التى ما هى الا تاريخ الا جداد ووصاياهم) والروح اليهودية تصل الى اقصى حالتها فى المساعدات التى يقدمها لنا اخواننا يهود العالم جزءا من حقنا فى أموالهم ٠٠ ويسكب المحاضر الاعمى يستجدون حتى أسراهم ٠٠ اننا فى ايديهم يفعلون بنا ما يشاءون فلا يجدون طريقة لاقناعنا الا بواسطة محاضر اعمى يبكى لنا ٠

ولكن النقطة الهامة فى هذه المحاضرة هى كيف أستطاع اليهود المتفرقون القادمون من جميع أنحاء العالم أن يكونوا وحدة متجانسة تشكل شعب اسرائيل ٠٠

ويعترف المحاضر ٠٠ انه لولا عداء الدول العربية لهم لما استطاعوا ان يحققوا هذه الوحدة فاليهود العرب الشرقيون (مراكشى ٠٠ جزائرى ٠٠ عراقى ٠٠ مصرى ٠٠ يمنى) واليهود الغربيون واليهود الروس واليهود الامريكان ٠٠ بتباينهم واختلاف فكرهم ولغاتهم واشكالهم وطرق حياتهم لم يوحد بينهم الا عداء العرب لهم ٠٠ وبالتالى الدفاع عن النفس ٠٠ وكانت كلما ظهرت التناقضات تتلوها باسم العدو الرابض على الحدود ٠٠ معنى هذا انه لولا خوف اليهود المشترك من العرب لا نفجرت اسرائيل من داخلها ٠٠ ولكن هل مجرد الخوف هو الذى اذاب الفوارق وحافظ على الكيان الاسرائيلى يقول المحاضر أنهم قد كونوا معسكرات تستقبل اليهود الجدد المهاجرين ٠٠ تعلمهم اللغة العبرية وتدرس لهم الايديولوجية الاسرائيلية ٠٠ ثم تحكى

www.alkottob.com

لهم كيف يعانون فى سبيل التقدم والمدنية عنا وتطلب منهم المحافظة على المكاسب واكمال النضال من أجل الدماء المهدرة على مر التاريخ • ومن خلال هذه التربية تستطيع اسرائيل تجنيد ١٠٪ من سكانها (وهى نسبة عالية جدا اذا عرفنا أننا نجند ١٪ من سكاننا) •• ومن خلال هذه التربية تدفعهم للعمل فى مستعمراتها الجماعية العسكرية على الحدود وفى الاماكن الصعبة ••• ويستطرد المحاضر •••

ان اغانيكم ودعايتكم كانت تحمسنا أكثر منكم •• فيكفى أن نستمع لمن يقول سنرميكم فى البحر •• اضربه •• اقتل •• اقتل •• اذبح •• بالنسبة لك كلام اما بالنسبة لى خوف ورعب وحرب وانتصار وموت وتعذيب ثم حماس •• وهناك نقطة أخرى طرحها المحاضر وتستحق الاهتمام وهى كيف استطاع اليهود بناء اقتصادهم ؟ ويركز المحاضر صراحة بأن أغلبية يهود العالم تجار •• وأن الانتاج يحتاج للزارع والصانع وهى مهام لا يتقنها اليهودى ولحل هذه العقبة اشترت الوكالة الصهيونية اراضى فى فلسطين وحولتها الى مستعمرات زراعية يعمل بها اليهود فى زراعة جماعية •• ثم حولت جميع المعونات التى تتلقاها من دول العالم الى مصانع ومعامل ومشروعات اقتصادية وبذلك استطاعت تحويل ما تتسحته الى انتاج وفى هذا المعنى قال المحاضر •• وبعد عشرين سنة من العمل والانشاء وبعد ما ابتدانا ناخذ نتاج هذا العمل •• تريدون أن تحرمونا منه •••

حقا ••• بعد هذا المجهود هل نريد أن نحرمهم منه •• وبالتالى هل سيستسلمون بسهولة ••• !! سؤال لابد سيضغط على عقولنا بعد هذه المحاضرة •••

والنظرة الأولى ونتيجة لظروفنا يمكن ان تجعلنا نقول •• لا ••• حرام ••• لابد من الصلح والاتفاق ولكن النظرة التالية ستجعلنا نفكر فى هذه الدول التى تقدم لنا قمحا وعربات واجهزة تكييف هواء ولبن وجبن وادوات زينة وكلها مواد استهلاكية •• تنتهى باستعمالها مقابل بترولنا وقطننا ••• وتقدم لاسرائيل المصانع والمعامل والخبرة وادوات الانتاج وكلها أدوات تنتج وترفع مستوى المعيشة حضاريا مقابل •• لا شىء •• هذا هو الفارق ••• لماذا تقدم لنا امريكا القمح والجبن وتقدم لاسرائيل المفاعل الذرى لتحويل المياه المالحة الى مياه صالحة للشرب ؟؟ هذا السؤال لابد من تفهمه جيدا واستيعابه ونحن نجيب على سؤالنا الاول هل بعد هذا المجهود نريد أن نخرجهم من ارضهم •• هكذا نصل الى منطلق آخر للقضية •• المفروض ان تصبح بلادنا مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة •• وأن تصبح

www.alkottob.com

اسرائيل قاعدة صناعية متقدمة اى نظل نحن متخلفين لما لا نهاية ·· وتزداد سرعة تقدمهم وفرصتها الى ما لا نهاية وفى ضوء الحياة والموت تصـــبح الاجابة على السؤال ·· يجب اخراجهم ·· او تحويلهم الى شكل مخالف لهذا الشكل القاتل لنا ···

فلنعد لحاضرنا ···

لنجده يلقى ببذوره لتنمو ·· او يؤكد نمو بذور اخـــرى ·· ومن اهمها ان اليهود اصبحوا شعبا له مقومات الشعب من لغة وارض وحضارة ودين ·· وان الدولة اليهودية فى اسرائيل ذات تاريخ حضارى عريق وحاضر حضارى متقدم وان اقتصادهم اصـــبح اقتصـــادا يعتمد على مجهوداتهم الصناعية والزراعية وميزانهم التجارى تخدمه الزراعة والصـــناعة المصدرة وليست المعونات ·· فالمعونات تحولت الى مراكز الانتاج ·· وانهم لكى يحققوا ذلك بذلوا مجهودا كبيرا ·· ودما وعرقا واعصابا ·· لا اول لهـــا ولا آخر وانه بحرمانهم من نتاج عرقهم ومجهودهم بربرية ولا انسانية ·· وبذلك تتحول حربنا الى تعصب وتدمير لدولة حضارية متقدمة تســـتحق كل احترام وتقدير لمجهوداتها الجبارة فى سبيل الحياة ·· تسلسل منطقى معقول جدا ولكن هل يقنعك ·· !!

المحاضرة التالية كانت عن الكيبوتزيم ·· وفى هذه المحاضرة يحاول بلورة وانماء البذور التى طرحتها الزيارات والاستجوابات ·· من جهة ومن الجهة الاخرى التشكيك فى اشـــتراكيتنا العربية بمقارنتها باشـــتراكية الكيبوتز ·· والكيبوتز هو مستعمرة زراعية صناعية لها حجم معين فقد تكون كبيرة او متوسطة او صغيرة بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة ولقد انشئت لحماية اليهود من العرب المغيرين عليهم فى بداية الهجرة الثانية هكذا يقول ولقد اشترت الوكالة الصهيونية بعض الاراضى ·· واستولت على اراضى اخرى بعد ان تركها اصحابها العرب ورحلوا فاخذناها نحن وحولناها الى زراعة متقدمة ·· والحياة فى المستعمرة اختيارية ولكن يشترط فى بعض الاحيـــان ان يقضى بعض المستوطنين الجدد مددا متفاوتة وفى هذا يقول بن جوريون « لابد وان يعانى المستوطن الجديد ما عاناه المواطن القديم فى الانشاء » وهذا بالطبع ان لم يكن هذا المستوطن من الاغنياء او حاملى الشهادات والخبرة التكنيكية ·· او منضما لحزب من الاحزاب الكبيرة او الهستدروت ·· فالحياة هناك شيوعية كل الناس تعمل ·· كل الناس تستفيد اســـتفادة متساوية ·· وان اختلفت الاستفادة من كيبوتز لاخر حسب درجة غنى هـذا الكيبوتز ·· وعموما لا جديد فى هذه المحاضرة عما عرفناه من قبل ···

www.alkottob.com

فى صباح أحد أيام الشـــهر انتشرت اشاعة بأن الفراخ فى طريقها الى المطبخ واندفع الضباط الى الاسوار لنجد اكياس الفراخ الدنمركي وهى تنزل من العربة الى المطبـــخ ٠٠ ثم اندفع اخـــرون الى الرائد فريد ٠٠ المكلف بالاشراف على التعيين يستحثونه لمعرفة الاخبار من المطبخ ٠٠٠ وقف الرائد فريد بكرشه المخارج من بنطلون البيجاما ووجهـة التركى الاحمـر وعينية المتعبتين لصحوه فجأة من النوم يطلب مقابلة الشاويش أمزراحى حكمدار المطبخ وحوله الضباط يتغامزون ٠٠٠

ـ ايوه ياعم الفراخ جت ٠٠٠
ـ يومك ٠٠٠ ده ٠٠٠
ـ أوعوا يحرقوها ٠٠٠
ـ أنا عايز نصيبى مسلوق ٠٠٠
ـ وحياتك خليهم يحمروها قوى ٠٠٠
ـ انا عايز فرختى كامله زى م ٠ هى ٠٠٠
ـ يا ترى حيعملوا على الشوربة أيه ٠٠٠
ـ لو كان عندهم ملوخية ؟؟

واخيرا سمح للرائد فريد بمقابلة الشاويش أمزراحى ٠٠ وبعد حوالى ربع ســـاعة رجـــع منكس الرأس ٠٠ وتوالت التعليقـــات ٠٠ لازم مش لقـــا الفراخ ٠٠٠

ـ يا ترى زعـــلان ليه ٠٠ !!!
ـ لازم أتخانق ٠٠٠ !! وعندما دخل من بوابة المعسكر التف حوله الضباط ثم انتشرت اشـــاعة فى المعســـكر بأن الفرخة ســـتقسم على عشرة أفراد ٠٠ ومع انتشار الاشاعة توافد الضباط الى حجرة الرائد فريد ٠٠ غير مصدقين وللتأكد منه شخصيا ٠٠ واجتمع كبار الضباط فورا لمناقشة هـــذه المشكلة الهامه : ـ

قال أحدهم ـ ياحضرات هذه اهانة لا تغتفر هل نحن شـــحاتون ٠٠ الفرخة على عشرة ٠٠ انا رايى ان نرفض اكل الفراخ ٠٠ وصـــفق له الحاضرون وهتفوا ٠٠ فلتسقط الفراخ الاسرائيلية ٠٠ قام اخـــر خـــلال الهتاف ٠٠ حاول أن يرفع صوته قائلا ٠٠٠

اسمعوا من فضلكم ٠٠ لو رفضنا الفراخ بماذا سنفطر ٠٠ واحنـــا ناس صايمين ٠٠٠ أنا من رايى ان نطلب زيادة الكمية ٠٠٠

رد الاخرون ٠٠٠ ـ مستحيل سيرفضون ٠٠٠
ـ نعمل مظاهرة ٠٠ ونضرب عن الطعام ٠٠

www.alkottob.com

ـ لسه قاتلين اثنين من كام يوم ٠٠ واحنا قربنا نروح بلدنا ٠٠
ـ بلاش مشاكل ٠٠٠
ـ ناكل الذى مع الفراخ ٠٠ ونتركها لتعفن فى حللها ٠٠٠

واخيرا تقرر أن يشكل وفد يطلب مقابلة قائد المعسكر للتشـــاور معه ليحفظ لنا كرامتنا ٠٠ وخرج الوفد ٠٠ ومن حوله الضـــباط يؤيدونهم ٠٠ ويرجون لهم التوفيق ٠٠ ووقف الضباط قريبين من الاســـوار والبوابة منتظرين ما سيحدث ٠٠ وبعد نصـف ساعة عادوا يسـيرون بسـرعة ونشاط ٠٠ وهتف الضباط عندما رفع أحد اعضاء الوفد كفه بعلامه ٧ أى انتصرنا ٠٠٠ وعندما فتحت البوابة حمل الضباط اعضاء الوفد على اكتافهم وذهبوا الى حجرة الرئاسة ليقف اقدم الضباط خطيبا ٠٠٠

أولا : يا حضرات الفرخة مش على عشرة الفـرخة على ثمـانية ٠٠٠

ثانيا : واضـح ميقدروش يزودوا العـدد أو يغـيروه باللحمـة لانه اتصرف وهم عندهم روتين زى عندنا بالضبط ٠٠٠

ثالثا : هذا هو التعيين الذى يصرف للجندى الاسرائيلي العـــادى حسب قوائم التعيين وبالمناسبة الفراخ كبيرة شوية ٠٠٠

رابعا : وهو الاتفاق ٠٠ اتفقنا ٠٠ وسكت قليلا ٠٠ وتعلقت الاعين به لتعرف الحل رغم كل هذه الاعتراضات ثم اكمل ٠٠ ان نصف النـــاس تاكل اليوم ٠٠ والنصف الاخر ياكل فى وجبة الصرف القادمة ٠٠ وبهـــذا الشكل تصبح الفرخه على اربعة ٠٠٠

كان لشهر رمضان طعم آخر فى الاسر ٠٠ فلقد كنا قد قاربنا الوصـــول الى الشكل المطلوب أن نكونه أى تم بنجاح الانتقال بنا من مرحلة كسر الانسانية لمرحلة التشكيك فى أنفسنا ومجتمعنا ثم انتقلنا الى مرحلة استقبال افكار جديدة وآراء جديدة ٠٠ ولم يبق الا مرحلة الصـــداقة أو الذكرى الحسنة ٠٠ لذلك فلقد تحول المعسكر فعلا فى النهاية الى معسكر جـــوالة أو اصطياف ٠ أسرة ننام عليها والحبس لا يزيد عن ساعات معدودة ٠٠ كنا نحشر فيها فى غرفة بعينها عشرون أو ثلاثون اسيرا ٠٠ حول احـدهم يغنى أو مسرحا للعرائس ٠٠ أو مسرحية أو بارتيته بوكـــر أو نحوة ٠٠ أو حلقة ذكر ٠٠ وتشتعل لفافات الدخان ٠٠ وتحمر الاعين من السهر ٠٠٠ وترتفع الضحكات ٠٠ وفى بعض الاحيان ـ التشنجات والتهنهات ثم يوزع السحور كميات كبيرة وجيدة من الجبن والزيادى والمربى والعدس ٠٠ ونسهر حتى الفجر نتجول فى المعسكر نتكلم ٠٠ أو نجرى تحت زراز المطـر الخفيف نلعب كالاطفال ٠٠ وتقام صلاة الفجر بالحتمال يؤم اغلب مسلمى

www.alkottob.com

المعسكر وفى هذه الايام أحضروا لنا منضدة للبنج بونج ٠٠ وشبكة فولى بول وكرات فتقام مباريات البنج بونج لليوم التالى ٠٠ لننام ساعات قليلة نقوم منها لنلعب البريدج والبوكر والفولى بول ونغسل ملابسنا ٠٠ ونقرأ بعض القصص التى جاءتنا من مصر ٠٠ سواء فى طرود خاصة أو عامة ٠٠ ويقوم بعضنا للاستجواب الذى لم يعد يشد اهتمامنا كثيرا ٠٠ ثم نستمع لمحاضرة أو فيلم سينما أو نحضر ندوة من الندوات ويتكرر اليوم ٠٠ الان اتخيل انك تسألنى وماذا كنتم تقولون فى ندواتكم ؟؟ سأقص عليك منها ٠٠ فى احد هذه الندوات كان موضوع الحديث التطور ٠٠٠

ـ هناك نظريتان يحكمان تفسير الحياة على الارض ٠٠ النظرية الاولى تقول أن الحياة خلقت كما هى الجبال كما هى والبحار كما هى ٠٠ والمخلوقات كما هى ٠٠ لم يحدث عليها تغيير ٠٠٠ والنظرية الثانية تقول بل الحياة متحركة متفاعلة متطورة ولا وجود للثبات الجبال لم تكن بهذا الشكل منذ مليون سنة ولن تصبح بهذا الشكل بعد مليون سنة أخرى والبحار واليابسة والموجودات الحية على الارض لم تكن بهذا الشكل ولن تكون فهى فى حالة تطور وحركة مستمرة على مر الزمن ٠٠٠

ـ بالطبع النظرية الاولى هى السليمة ٠٠ فهذا يتفق مع الكتب السماوية ٠٠٠

ـ ولكن النظرية الثانية تتفق مع العلم ٠٠ وما دمنا نتكلم كلاما علميا فلنترك جانبا الى حد ما الديانات ونتكلم حسب النظريات العلمية ٠٠

ـ لا ٠٠ احنا مسلمين أو مسيحيين ولنا دين ٠٠٠

ـ يا اخى انت ضابط مدفعية عندما تدرس رياضة او نظريات الميكانيكا انتسال الاول هل هذا يتفق مع الدين أم لا ؟؟

ـ الكلام ده تخريبى ٠٠٠ انت مخرب هل معنى ذلك انك تكفر بالاديان ٠٠٠

ـ لم أقل هذا وانما قلت عندما تكون الكلمة للعلم فلنتفق على أن يكون محور حديثنا ومراجعنا هو النظريات العلمية ٠٠ وتتعالى الاصوات تسكته ٠٠٠٠

ـ لكن من اين جاءت الارض ٠٠٠٠ وما عليها ٠٠٠٠

ـ يعنى انت عايز توصل ان الانسان كان قردا ٠٠٠

كان هناك سديم ٠٠ انفجر ٠٠٠٠

ـ وقبل هذا السديم ماذا كان ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ وقبل وجود الله ماذا كان ٠٠ ؟؟ سنضل الى مجهولين ٠٠ وبالتالي فعلينا ان نؤمن بالموجـود ٠٠٠

ـ طيب ٠٠ طيب انقل ٠٠ الارض موجودة حتى ظهر الانسان ٠٠٠

ـ انا آسف يا جماعة بهذه الطريقة لا اسـتطيع أن اكمل ٠٠ فلنتكلم فى موضوع آخر ٠٠٠

ـ هل تريد أن تحجر علينا تقول ما تريد ونحن نستمع لك فقط ٠٠ تعـلم الديمقراطية ٠٠

ـ الديمقراطية هى أن تتركنى اقول وجهة نظرى حتى النهاية ٠٠ ثم تقول أنت وجهة نظرك أيضا حتى النهاية ٠٠٠ وعلى كل منا الا يتعصب لرأيه ويحاول ان يقتنع ٠٠

ـ اكمل ٠٠٠ اكمل ٠٠٠ نحن نريد أن نسمع متى ظهر الانسان على الارض ٠٠٠٠

ـ ظهر الانسان فى نهاية تطور طويل وصلّ الى ملايين السنين ٠٠ فمنذ كانت الحياة نبضة صغيرة حتى أصبحت نبضات فى الماء تنمو لتصبح خلايا فاميبا ٠٠ وتطور الاميبا لتصـــبح جـــد المملكة الحيوانية وتثبت أخريات على الشاطىء مكونة المملكة النباتية ٠٠ ثم تتطور الاميبا الحيوانية الى اسماك كثيرة فحيوانات برمائية ٠٠ فزواحف فطيور فثدييات وتتفرع من الثدييات عائلات كثيرة ٠٠ كثيرة ٠٠ حتى نجد القرد الانسانى الاورانج أوتان ٠٠ والغوريلا ٠٠ والجيبون ٠٠ والشمبانزى ومنه عائلتان احداهما قخط فتصبح قردة ٠٠ وعائلة أخرى تسـتعمل أصـبعها الخامس فتمسـك بالادوات وتنتصب لتسير على رجلين فتكبر رأسها ٠٠ ويكبر عقلها فتزداد التجاويف فى مخها ويزداد بذلك عدد الخلايا المفكرة ٠٠ ويصبح بذلك القرد الانسانى ٠٠ انسانا ٠٠٠ بالعمل وبالانتصاب واقفا وذلك خلال حلقـــات طويلة قد تستغرق كل حلقة آلاف السنين ٠٠

ـ أولا ٠٠٠ قصة أنه كلما كبر المخ زاد الذكاء هذه غير حقيقية ٠٠ فلا علاقة بين كثرة التجاويف والذكاء ٠٠٠

ـ مستحيل بل هناك علاقة سببية حقيقية لو رأينـــا مخ قرد ومخ انسان سنجد أن مخ الانسان انحناءاته أكثر وتجاويفه اكثر ٠٠

ـ أنا أتحداك ٠٠ لا علاقة بين الخلايا وبين مقدار الذكاء ٠٠٠

ـ احنا بنتكلم بالعلم الآن ملكش حجة ٠٠

ـ هل تتذكر سلسلة التطور هذه ٠٠٠

ـ بالطبع ٠٠ الان أصبحت كلها مغلوطة وبهـا سلبيات وفراغات كثيرة ٠٠ وهى نظرية لا علمية ٠٠

www.alkottob.com

ـ الم تدرسها فى كليتكم ...

ـ لا .. لا ندرس هذه المغالطات ..

ولولا أن الحراس أنقذوه بفتح الابواب لتطورت الندوة الى معركة ولكن سلم الامر ...

ممس فى اذنى ...

ـ اليوم عندنا ...

ـ لمـــاذا ... ؟؟

ـ عندنا العقيد فلان سيغنى

ـ عقيد يغنى ...

ـ صوته رائع .. أغانى عبد الوهاب القديمة ...

ـ عقيد ... عقيد ...

ـ عقيد احتياط كان فى معهد الموسيقى العربية .. وعنـــد اللواءات ضاغطين عليه لدرجة انه فعلا بيقول عايز اقعد معاكم ...

فى المساء كنا حوالى الثلاثين .. نجلس فى دوائر ضيقة جدا حول منضدة أمامها عقيد كبير السن أبيض الشعر ابوى الملامح .. وبعد ما اخرجنا ما عندنا من سجائر محترمة .. وتبادلنا بعض النكات .. وقفل علينـــا الحراس البـاب .. ابتدأ فى الغناء .. صـوت هادىء ممتلىء بالشـجن والتطريب الشرقى ..

ياوابور قولى رايح على فين ... ياوابور قولى وسافرت منين ...

واشعر اننى انتقلت لعالم آخر .. بهت الثـلاثون رجـــلا تماما من حولى .. وبهتت صورة العقيد ولم تبق الا ذبذبات حلوة متتالية متلاحقة تستقبلها أذنى فتنفجر بداخل عقلى براكين وانفعالات وأضواء مشـــعة حلوة .. يعقبها .. أحزان دفينة عمرها آلاف السنين ورثتها عن أجدادى عندما كانوا يلتفون حول ناى أو مزمار حزين فى ليلة من الليالى القمرية يبثون شوقهم وحزنهم وقهرهم ...

الورد جميل .. جميل الورد .. الورد جميل وله اغصان عليها يميل من .. واسرح واضغط على شفتى السـفلى .. واخـرج عليه السـجاير المسيلتون واشعل سيجارة يلتصق بطرف لسانى جزء من الدخان فابصقه محاولا الا يلتصق بقفا زميل جالس أمامى .. يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الاحزان من ذكراك .. ما هذا الحزن .. عيناه تمتلئان بالدموع صوته يهتز .. رائع .. صـوت رائع .. ينثر حوله موجات من الشجن

www.alkottob.com

فيفجر طاقات حزن على وجوه سمراء ٠٠ وصفراء ٠٠ امضها الارهاق والجوع والحزن ٠٠ والذكرى ٠٠ وتنتهى ليلة من أحلى ليالى حياتى ٠٠ ممتعة ٠٠ ممتعة ٠٠ كما لو لم أكن أسيرا ٠٠٠

قال أحدهم ـ عندما يقفل علينا الباب أعود ثانيا للقاهرة بين مجموعةمن الاصدقاء ٠٠٠

ـ متى نعود ٠٠٠ متى نعود ٠٠٠

ـ طالت المدة كثيرا ٠٠٠

ـ هل سندفن هنا ٠٠ يا دنيا ٠٠ ياحياة ٠٠ ياهواء ٠٠

ـ اريد ان اتنفس ٠٠٠ آه ٠٠٠

لقد تعودنا على هذا النمط من الحياة ٠٠بل لقد حدث ما هو أعجب من ذلك٠ لقد كسر الضباط أبواب وحوائط دورات المياه والمنشئات الاخرى وعملوا دوالبب وترابيزات ٠٠ وكراسى ٠٠ وقطعوا البطـــاطين وعمـــلوا منها جاكتات وبلاطى ٠٠ وشنط (هاند باج) ويمر شهر رمضان سريعا ٠٠ تأقلمنا ٠٠ تبلدنا ٠٠ لم تعد تؤثر فينا اشـــاعات العودة التى كانت تتكرر كثيرا ٠٠ وصلنا لاتفاق ألغى الاتفاق ٠٠ وصلنا لاتفاق ٠٠ ارسلنا ٥٠ اسيرا لمصر هدية بمناسبة العيد ٠٠ لكى نظهر حسن نوايانا ٠٠ هل معقول هـذا الكلام ٥٠ أسير هدية ٠٠ لمـاذا ٠٠ ؟ من الابله الذى يسـتطيع أن يصـدق هـذا الكلام ؟ ٠٠ انها محاولة لاثبات أن المفاوضات المباشرة خير وسيلة للوصول الى حلول ٠٠ لقد ارسلنا العميد فريد مع الاسرى عندما سيصل الى القاهرة محملا برأينا سيتفاهم مع المسئولين وسنصل لاتفاق برجوعكم ٠٠٠

ليلة العيد ٥٠ اسيرا نعـلا يحملون مهماتهم ويتحركون فى طوابير متجهين الى القاهرة ٠٠ نرقص نضحك نغنى ٠٠ لاول مرة تصدق الاشـاعة ٠٠ يحتضن بعضنا بعضا ولكن ٠ قد يتفقون ٠٠ وقد لا يتفقون ٠٠ يصرغون لنا علبة جبنة بيضاء وعلب فول وعلب مربى كانت قادمة من مصر والمفروض أننا كنا سنستهلكها خلال شـــهر رمضـــان ٠٠ كميات هائلة من الاكل أصبحت لدينا ٠٠ الصليب الاحمر يحمل لنا هدايا ٠٠ بطانية صوف وحلوى ٠٠ وسجائر ســويسرية ٠ لم تبق الا أيام ٠٠ من يعرف ٠٠ ؟ ٠٠

الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ لا اله الا الله٠٠الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ٠٠وسبحان الله بكرة وأصيلا ٠٠ لا اله الا الله ٠٠ صـدق وعده ٠٠ ووفى عهده وهزم الاحزاب وحده ٠٠ أصوات قوية ٠٠ قوية ٠٠ تتصاعد ويمتلىء المعسكر بترنيمات العيد ٠ يتوافد الضباط ٠٠ يجلسون فى صفوف ٠٠ الاصوات تعلو لا اله الا الله ٠٠ اللهم صل على محمـــد ٠٠ وعلى آل محمد ٠٠

www.alkottob.com

اليهود يتجمعون حول الاسوار ينظرون لنا يصورون الصلاة بالكاميرات وبالسينما أصوات قوية تملأ عتليت .. اليوم عيد .. الاغانى طول اليوم .. على بلد المحبوب وديفى زاد وجدى والبعد كاوينى نخرج بطاطينا ونجلس نتشمس .. اليوم سينتهى شهر الاعياد .. يوزعون علينا دفعة من الخطابات والطرود القادمة من القاهرة .. وتبدأ فترة جديدة .. مرحلة جديدة من حياتنا فى الاسر .. بعض جرائدنا نستطيع تهريبها مع الطرود .. قصة ايلات .. ضرب مدينة القنطرة .. مقال لمحمد عودة يدعو فيه الى الصمود واستمرار النضال ..

محاضرات الصفرة النهائية .. تركز على ثلاث نقاط تريدنا أن نحملها الى القاهرة . السلام .. المفاوضات المباشرة .. التقليل من قيمة العمل الفدائى والحرب .. من خلال كمية هائلة من الدموع يذرفها المحاضر السجان الاقوى مسترحما المسجون الاضعف . اقرب الطرق للوصول الى عواطفنا بحون المرور على العقل .. نحن رجال سلام .. السلام امنية حياتنا .. فهو سيتيح لنا الفرصة لان نعمل .. لان ننتج .. لان نعيش . نريد أن تخرج أطفالنا من الخنادق. ثم تهديد سنحارب حتى نحقق السلام ..

وطريقهم للسلام المفاوضات المباشرة .. (الجلوس على مائدة واحدة) على حد تعبيرهم .. وخلال هذا الكلام على ان انسى أن اسرائيل انشأتها بريطانيا .. عندما كانت اعتى دول الاستعمار العالمى . وحافظت عليها امريكا عندما انتقلت لها زعامة المعسكر .. وكان مندوبوها يتفاوضون مع النازى فيما لو انتصر النازى .. وسيتفاوضون مع الشيطان لو أصبح حاكما لاقوى دول الاستعمار فى العالم .. وكان عادة ما تربط احاديث السلام .. بعبارة صغيرة « احنا اغنى منطقة فى العالم .. عندنا البترول والقناة والقطن والرجال والموقع .. نحن بخبرتنا ورءوس اموال أقاربنا يهود العالم الاغنياء .. وانتم بموادكم الخام وايديكم العاملة .. نعيش فى سلام واكتفاء ذاتى » .. اما العمل الفدائى .. والحرب .

العمل الفدائى عمل طفولى .. غير مجد .. والحرب مستحيل انشاء جيش فى اقل من ثلاث سنوات هذا ليس رأينا .. انه راى اكبر المعلقين العسكريين فى العالم الجيش ليس دبابة فقط .. الانسان الذى يحرك الدبابة يحتاج الى ثلاث سنوات تدريب وخبرة .. الطيار والطيارة .. وعموما انهم يمتلكون قوة لا تقهر واسلحة سرية لم تستعمل فى حرب يونيو لان الاسلحة التقليدية ادت دورها .. هكذا يقولون .. لقد ادار النصر السريع رءوسهم وهم مستعدون لتحدى الاله اذا حكم ضدهم رغم كميات البكاء الهائله .. .. وابتدأت الاستجوابات تأخذ شكلها النهائى .. فاكمالا للشكل السياسى

www.alkottob.com

- أجروا لنا اختبارات قياس الذكاء ٠٠ وتجارب على جهاز كشف الكذب ٠٠ وتصنيفات للمجتمع ٠٠ أعمال المهندسين ٠٠ الزراعيين ٠٠ التجاريين ٠٠ الفلاحين العمال ٠٠ طرق المعيشة فى مصر ٠٠ الترفيه ٠٠ الكباريهـات ٠٠ السينمات ٠٠ ٠٠ أماكن التجمع ٠٠ المناهج الدراسية فى المعـاهد المختلفة والكليـات ٠٠

ـ متى تستطيع أن تصمم منزلا ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ هل تعمـل مساعدا لمهندس لفترة ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ كم أجرك فى بداية تخرجك ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ كيف تزيد مرتباتكم ٠٠٠

ثم كيف تكتب خطابا مسـجلا ٠٠ كيف توصل الطرود ٠٠٠

ما رتبتك ٠٠ ؟؟ عبد الناصر ماذا كانت رتبته عندما قام بثورة ٥٢ بعد حرب ٤٨ ٠٠ ؟؟ ثم سمحوا بأن تتم زيارات بين معسـكر القـادة ٠٠ ومعسكرنا ٠٠ كل قائد سـلاح أو ضابط كبير حضر ٠٠ ليرى رجاله وثارت من جديد أخبار الحرب ٠٠ تصوروا ٠٠ لقد وجدوا كتيبة دبابات سبتالين فى خنادقها كاملة بعد شهرين من انتهاء الحرب ٠٠ وكانوا يعجبون لمـاذا تركوا هذه الدبابات ٠٠ لقد انهى الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية بها ٠٠ ونحن تركناها فى خنادقها ٠٠

وفى الاذاعة ٠٠ كاسترو يشيد بشجاعة الجندى الاسرائيلى فى الحرب ٠٠ ١١ ٠٠ توسـع حجم التبـادل التجارى بين اسرائيل ورومانيا ٠٠ ١ ٠٠

وهكذا وفى نهاية المدة صدق المثال الذى يقول ٠٠ كل من يزرع يحصد ٠٠ وكل من يخطط بدقة يصل الى ما يريد ٠٠ وهكذا نصل الى شكل كان فى يوم ما بعيـدا كل البعد عن التصـور ٠٠ ولكنه كان نتاجا لما خطط له بدقة شديدة ٠٠ لقد استعمل الاسرائيليون ما يسمى بالحرب النفسـية لعمل غسـيل مخ أو فرض ارادة ٠٠ ولقد نجح يهود اسرائيل فى النهـاية للوصول الى ما يريدون ٠٠ لم يعودوا اعداءنا ٠٠ اعتدنا عليهم ٠٠ وعرفنـا مزاج كل منهم ٠٠ قائد المعسكر ٠٠ امزراجى المسئول عن التعيين ٠٠ اهرون كبير المستجوبين ٠٠ الحراس ٠٠ اصوات المذيعات فى الاذاعة الداخلية ٠٠ بل والجمـل العبرية التى ينطقونها ٠٠ السجائر التى يدخنونها ٠٠ والفوارق بينها ٠٠ طريقتهم فى التهدئه والتهديد ٠٠ الاخبار السارة والاخبار السيئة

www.alkottob.com

على وجوههم ·· الاغراب بينهم زوارهم الاجانب ·· ومن الناحية الاخرى تاكدوا من اننـــا اصـــــبحنا مسالمين مســـتسلمين لقدرنا وحيـــاتنا ولم نعد نفكر فى الهـروب أو الاعمـال العنيفة ·· أو حتى ابداء الامتعاض او الكره ·· فخفت الحراسة ·· وأصبحت صورية ·· وزيدت مدة الخروج خارج الحجرات ·· وتبادل الحراس والاسرى بعض النكات ·· ولم يمتعض احد لهـذه النكات فهم آدميون ·· بل اطلقت النكات عن تصورنا السـابق لليهودى ذى الانف المعقوف والشعر المنكوش ·· وأصبح بعضهم لا يخجـل من ان يقول صديقى المستوجب قال ·· وتبودلت الهدايا الرمزية ·· وأصبحت المسألة مسألة وقت واجراءات تعطلهـا الحكومة المصرية ثم ترحلون لاهاليكم ولم نسمع الاصيحات ليلية تقول يا امزراحى حضر السندوتشات ·· ايذانا بالرحيل ·· لقد نضجت الطبخة ·· ولم يبق الا أن يتذوقها الشـعب المصرى الكريم الذى لا يحمل له الشعب اليهودى أى ضغينة أو حقد ·· سيرسـل اليهود خمسة آلاف وخمسمائة سفير لهم محملين بأفكارهم وتصـوراتهم ينشرونها فى أعماق مصر ومدنها ·· وأصبح رجال المخابرات الاسرائيلية فى منتهى السعادة ·· لقد استطاعوا أن يقدموا عملا طيبا ·· لقد غسـلوا مخ خمسة الاف وخمسمائة حاقد متوتر بكرههم وحولوهم الى خمسة الاف وخمسمائة سفير لهم يستطيعون الاعتماد عليهم الاعتماد الكامل ·· ولم يبق الا الوجه الاخير ·· التلميع النهائى ·· قبلما يدخلون الامتحان ·· وبعدها ··ستنفجر هذه الالغام ·· حاملة أفكارهم داخل الشعب المصرى ··وعاصرت هذه الايام نشاطا ملحوظا ·· انتهى بأن جاء موشى ديان ليرى بنفسه ما فعله رجاله ·· وأعضاء من الكنيست ومدير الاذاعة الاسرائيلية للقسم العربى (وهو مدير المخابرات السابق) ورجال الاحزاب المختلفة ·· كل بكلمة ·· وكل بمحاضرة ·· وكل بسلامات ·· وكل بقبلات واختفت الرشاشـات ·· واصوات الطلقات ·· أعتقد انكم فى شوق لتعرفوا ماذا قال موشى ديان سأقص ·· كان يوما من ايام شتاء يناير ·· الامطار تضرب أسـطح المبانى بشدة ··· البرد شديد ·· المعسكر تحول الى بحيرة ·· جلسنا فى حجراتنا فى حبس اختيارى نلعب البريدج والبوكروندخن السجائر ونحلم بالعودة ·· استدعونا ·· مجموعة من القيادات وبعض الرواد وقليل جدا من الضباط الصغار جلسنا فى قاعة واسعة ·· الميكروفونات الكثيرة فى صدر القاعة ·· عدد كبير من الضباط يروحون ويجيئون ··· قائد المخابرات يعلن علينا بأن السيد الوزير سيزورنا اليوم ·· رجل طويل أبيض ذو عصابة سوداء على عينه يرتدى ملابس مدنية بسيطة بنطلون فاتحة رمادى فاتح وجاكت شمواه اخضر زيتونى ·· وقميص أبيض بدون كرافت ·· حركاته خليط من الاعتداد

www.alkottob.com

بالنفس ومحاولة التبسط ·· ليس مرعبا او مخيفا يتكلم الانجليزية بلهجة أو كسفورد ·· ابتدأ يتكلم بلغة عربية ركيكة ·· « انا لا اعرف العربى كويس حتكلم انجليزى هل تحتاجون لمترجم » ·· قال المترجم سيادة الوزير بيقول انه لا يعرف العربية ··· فضحكنا خجل المترجم وسكت ·· قال كلاما كثيرا يدور حول الثلاث نقاط السابقة ·· السلام والمفاوضات المباشرة ·· وعدم جدوى الحرب ··· ولكنه فى النهاية أطلق قنبلة دعائية ·· فقال ·· إنا اعرف أنكم رجال عسكريون ··· والرجل العسكرى ينفذ الاوامر وستعودون لبلادكم ·· وسيأمرونكم بالحرب ضدنا ثانيا · لن الومكم على هذا ·· بل أتمنى لكم حظا أحسن فى المرة القادمة وأن تؤدوا واجبتكم بطريقة افضل ··· وسكت قليلا بين علامات الدهشة ثم استطرد ·· ولكن اذا حاربتمونا ·· فسنحاربكم وأذا أعتديتم علينا سنقاوم ولاخر رجل ·· واعتقد أنكم لا تستطيعون أن تحرمونا حقنا فى الدفاع عن انفسنا !! ·· بالمنطق المقلوب ··· أصبحنا نحن المعتدين ·· نحن الاسرى الذين حاربناهم ولذلك حضرنا الى هنا ·· نحن الذين يتسببون فى الحرب · وهم مجرد مدافعين ·· عن انفسهم ·· ولنكن رياضيين مثله ولا نمنعه من الدفاع المشروع عن النفس ·· هكذا ·· وهكذا هو المنطق الاسرائيلى ·· وهذه هى دعايتهم ·· وهذه هى طريقتهم فى التأثير على الاخرين ·· كلمات معسولة منطقية منمقة رائعة ولكن عند تطبيقها تتحول الى رصاص ونوم على الارض وجوع وتشرد وقنابل ونابلم ·· وتهديد باسلحة اكبر واقوى واكثر تقدما ···

بشرنا لقد نجح العميد فى أن نصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات ثم أعلنا رسميا باننا سنعود الى مصرنا ·· وقسمنا ثلاث دفعات ·· وابتدات بشائر العودة تظهر ·· ولناخذ يوما من هذه الايام ···

عقليت الساعه ٧ صباحا ··· احد ايام شهر يناير ···

- المطر ينهمر بشدة ···
- ثلاثة أيام بهذا الشكل ···
- المفروض الدفعة الاولى تمشى بكره ···
- بيقولوا الهواء قفل الطريق بالرمل فى سيناء ولذلك ستتاجل ··
- حتى ربنا بيحاربنا ·· حتى الطبيعة ···
- عندما يوافق المصريون ·· يرفض اليهود ·· عندما يوافق اليهود يرفض المصريون ·· عندما يتفقان ·· ترفض الطبيعة ···
- يارب بس احنا عملنا ايه ···
- لا تتعجلوا كله بأمر الله ·· من تحمل مائتى يوم ·· يستطيع ان

www.alkottob.com

أن يتحمل يومين زيادة ٠
ـ لا مش مئتـان ٠٠ مئتـان وثلاثة وثلاثون ٠٠ انا كاتبهم خلفى فى الخريطة ٠٠ كل يوم اشطب عليه ٠٠٠
ـ شفت الحـريقة دى ٠٠٠
ـ ايه الحكاية ٠٠٠ !!!
ـ جمعوا السجاير اليهودى اللى صرفناها من اسبوع ووضعوها فى كوم ثم حرقوهـــا ٠٠٠
ـ لا يصح هذا ٠٠ سيغضب الناس ٠٠ ماذا يقولون عنا ٠٠ ؟؟
ـ يا أخى قول لهم يبطلوا لعب العيال بتاعهم ٠٠٠
ـ نسيت عندما كدت أن تموت من أجل واحده منها ٠٠٠
ـ خـلاص حنرجع للكيلوباترا والبلمونت ٠٠٠
ـ شفت موشى ديان قال ايه ٠٠٠
ـ آه ٠٠ فى منتهى الذكاء ٠٠ رجل معقول جدا ٠٠ مش زى حنغرقهم ٠٠٠ حنضربهم ٠٠ وحنرميهم فى البحر ٠٠٠
ـ شـفت كان لابس ايه ٠٠٠ !!
ـ شيك جدا ٠٠ مش زى الصور اللى بنترسم له ٠٠٠
ـ احنا يا سيد كنا مغمضين ٠٠ انت تعرف ايه عن العالم الخارجى ٠٠ كل معلوماتك عن طريق الجرائد والمجلات والاذاعة ٠٠ وكلها هدفها عمـل غسـيل مـخ لك ٠٠٠
ـ انا مش فاهم ليه احنا بالذات بلدنا مقفلة كده ٠٠ شـوف عنا مليون راى ومليون واحد يتكلم وكله بيقول ٠٠ هل يعطلهم هـذا ٠٠ بالعكس جعلهم أكثر تقدما ٠
ـ عملت لى الشـنطة بتاعتى ٠٠٠
ـ هات البطانية وانا اعملها لك ٠٠٠
ـ إما شفت حتة شنطة فى الاوده ٠٠ رائعة ٠٠ من الفوط والبطاطين ومنجدة بالخشب والقش ٠٠٠!
ـ يا جماعه حرام عليكم تقطعوا البطاطين بتاعة الخلق ٠٠ خللى عندكم اخـلاق ٠٠
ـ انا شخصيا عملت من البطانية صديرى يدفينى مش شنطة ٠٠٠
ـ انت عندك ٤ شنط اعطينى واحدة ٠٠
ـ العميد عبد العزيز طلب واحدة حبعتها له والباقى على قد مهماتى ٠٠
ـ صمم لى بادج أحطه على الشنطة ٠٠ بس الوانه من الخـيط اللى فى الفوطـة دى ٠٠

www.alkottob.com

ـ أصوات من الخـارج تعلو ٠٠ فى غنـاء ٠٠٠
والنبى يامه ٠٠ قولى لابويه ٠٠ يديلى ريـال ٠٠ او نصـف ريـال ٠٠ اشـــترى ٠٠٠
ـ ايه ده ٠٠ !!!
ـ شوف عاملين ازاى رابطين الفوط حول رءوسهم وشـايلين الرائد بهـام وعمالين يزفوه ٠٠٠
ـ أصله من الدفعة الاولى يا بخته ٠٠٠
ـ تهريج ٠٠ فرحانين قوى ٠٠ والله اليهود بيضحكوا علينا ٠٠ بقى ده رائد بالذمه لو واحد من اللى بيهللوا حواليه خدم معاه بعد كـده حيعمـــل ايه ٠٠٠
ـ ياعم خلاص ٠٠ انت فاكر فيه واحد من دول ينفع يخدم فى الجيش بعد كده مستحيل تفضـلوا فى القوات المسلحة ٠٠٠
ـ تحصل والله ٠٠ انت عارفهم بيفكروا ازاى ٠٠ اذا كان سبونا عنا نشـوف قد ايه علشـان ثلاثة جواســيس ولا أربعة ٠٠ الإردنيون مشيوا ٠٠ واحنا كرامتنا لا تسمح بمبادلة خمسة الاف وخمسمائة مصرى ٠٠٠ بثلاثة جواسـيس ٠٠
ـ الفطار يا ســادة ٠٠
ـ افتح لنا علبتين فول ياهلال ٠٠ وعليه المربى خلصت أفتح واحدة ثانيـة ٠٠
ـ السخان خسر ٠٠ سخنهم فى الاوده ٤ سخانهم كويس ٠٠٠
ـ اشتريت البطانية دى بكام ٠٠٠
ـ بقاروصة حيلوبترا ٠٠
ـ ايه رايك بطانية كويسـة ٠٠٠
ـ أنت عارف انها اسرائيلى ٠٠ اشتراها الصليب الاحمر من هنا ٠٠٠
ـ فضل عندك كام علبه سجاير سويسرى ٠٠٠
ـ ثلاثة ٠٠ ومجمـع الباقى ٠٠ الحقيقـة سـجاير ممتازة بدلتهـا بسجاير كيلوبترا ٠٠٠
ـ الشـــمس طلعت ٠٠ آه الحمد لله ٠٠ خللى الطـــريق ينضـف ونسافر ٠٠٠
ـ انت عارف انى خايف ارجع ٠٠٠
ـ انا كمان عندى الاحساس ده ٠٠ بس مش عارف ليه ؟؟ ٠٠٠
ـ مش عارف اذا كنت حقدر اعيش هناك ٠٠ ام ٠٠ لا ٠٠ !! كيف سيستقبلوننا فى مصر ٠٠ هل سـيعاملوننا على اننـا مصـــدر خطر ٠٠ على اننا جواسيس ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ انا خايف من نفسى ٠٠ لقد أصبحت فنى ٠٠ يخيـل لى أننى
ـ سأكل حتى أموت من التخمة ٠٠ ولا السجاير ٠٠ ولا النسوان ٠٠٠
ـ نرجع بس ٠٠ وبعد ذلك نموت نعيا فى وسط اهالينا ٠٠٠
وسرحت ٠٠ ترى ماذا يحدث فى بلدنا حقا ٠٠ هل انضـجتنا التجربة ؟؟ هـل تخلصـنا من عيوبنـا ؟ ٠٠ هـل هزتنـا الهزيمة من جـذورنا ٠٠ لابد وأن بذور التغييـر قد نضـجت ٠٠ بالتأكيد ٠٠ ما علينا الا المشـاركة الان ٠٠ لابد وأن بذور التغيير قد نضجت ٠٠ لميبق الا المشـاركة ٠٠
ـ آخر الاخبار يا حضرات ٠٠ ابتدأوا فى اصـلاح الطريق ٠٠ والدفعة الاولى بعد يومين ٠٠ ثم الثانية والثالثة مباشرة ٠٠٠
ـ من قال لك ٠٠٠
ـ سمعت فى الاستجواب ٠٠ الاسـماء قد جهزت ٠٠ وانا فى الدفعة الثـانية ٠٠٠
ـ وأنا والنبى ٠٠٠
ـ معرفش ٠٠ لم يقل لى غير ما قلته ٠٠٠ !!
ـ أول م حوصل ٠٠ ساجرى الى منزلنا ٠٠٠
ـ لا ياعم هناك معسكر فى المعادى ينتظرك ٠٠ للاستقبال ٠٠٠
ـ المعسكر فى الهاكستب ٠٠ قالوا لنا ٠٠٠
ـ وما الذى ادراهم ٠٠٠
ـ لا يخفى شىء عنهم ٠٠ تصور بيقولوا انهم بيعملوا هناجر طيران فى الماظه وفى المقطم وعلى طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ٠٠٠
ـ تفتكر متى سينتهون من اصلاح الطريق ٠٠٠
ـ يومين ثلاثة ٠٠٠
ـ انتم تصلحونه فى يومين ثلاثة ٠٠ اما هم فيصلحونه فى سـاعتين ثلاثة ٠٠ فاكر مواسـير المياه فى بئر سـبع ٠٠٠
ـ طيب يا سيدى يارب ٠٠٠
ـ عايزين نلعب بارتيته بوكر ٠٠٠
ـ فى مصر بقى بالفلوس ٠٠ والله م حد حيشوفكم ٠٠٠
ـ نبقى خايفين العيش والملح ٠٠ معقول الواحد ينسى الايام دى ٠٠ أو يلسـاكم ٠٠
ـ نشرة الاخبـار ٠٠٠
ـ هو يارنج اللى حيحلها ٠٠ بس على الله م نجمدش مخنا ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ المفروض ان تحـل ٠٠ يكفى هـذه السـنين ٠٠ فهـم لا يريدون سيناء ٠٠

ـ يبقولوا حيعملوا دولة فلسطين من غزه والضفة الغربية ٠٠ ويتركوا لها ممرا فى وسط اسرائيل ٠٠ على شرط أن تكون منزوعة السلاح ٠٠ وممكن تدخل فى اتحاد فيدرالي مع اسرائيل ٠٠٠

ـ لا اللي سمعته انهم عايزين يعملوا من الاردن واسرائيل ولبنـان اتحاد فيدرالى ودولة واحدة ٠٠٠

ـ وهل يرضى بهـذا ٠٠ هل تسـتطيع أن ترفع رأسـك ٠٠

ـ بطـلوا الانشـــا دى اللى طلعت عنينـا ٠٠ لا ترفـع رأســك ولا تنزلها ٠٠ السـياسة مخ يا سـيد ٠٠ م ودناش فى داهية الا الشعارات الجوفاء بتاعتكم دى ٠٠٠

ـ سامع الضحك ٠٠٠

ـ فى مسرح المرايس ٠٠٠ تعال نتفرج ٠٠٠

ـ سامع الاغانى ٠٠٠

ـ يا امزراحى اعمل السندوتشات يلى ٠٠٠ هى ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠٠

ـ الليلة فيه حتة سـهرة فى الاوده (١) ٠٠

وهكذا كانت تمـر الايام الاخـيرة وللمـلاحظة اختلطت المواعيد ٠٠ فأصبح السهر طول الليل والنوم نهـارا وقد يمر يوم او يومان ولا ننام سوى ساعات قليلة ٠٠ الارق ٠٠ الدخان أحلام اليقظة الخوف من قوى مجهولة ٠

وكنا قد استوعبنا الدرس ٠٠٠ لقد كانت الحرب التي خضناها ضـد اسرائيل ضوءا أحمر يضيء لنا ليشعرنا أننا نعيش فى مجتمع متخلف حضاريا وان الطرف الاخر استعمل أقصى الاشكال العلمية تطورا للقتال واهمها كان التطبيق العلمى للحرب النفسية وهو السلاح الفاصل الذى انتصروا به فى حرب ١٩٦٧ ولقد طبقوه علينا نحن الاسرى أحسن تطبيق ٠

وكان علينا أن نواجه العذاب ٠٠٠ لقد صبغونا بصورتهم وتركونا بين اهالينا ٠٠ نشعر بأننا خوفة منفصلين مصبوغين نردد دعاية العدو ٠٠ وبين ما تعلمناه طول حياتنا قبل الحرب وما أملى علينا كنا فى صراع وتمزق وهو الشكل الذى عدنا به الى وطننا ٠

www.alkottob.com

الفصل الخامس

رحـلة العـــودة

نقلت لكم الفصل السابق من مذكرات صديقنا كما هى تماما ٠٠ واعتقد انكم ستلاحظون الفرق بين طريقته فى كتابة ذلك الفصـــل وحواره معنا فى الفصول السابقة ٠٠

لقد ظل على هذه النغمة العنيفة والحادة الممتلئة بالكلمات المتضخمة عن الامبريالية والحرب الشعبية وما أخذ بالقوة لا يسـترد الا بالقوة ٠٠ وخيانة البرجوازية والصراعات الدموية ٠٠ والبيروقراطية والكومبرادورية ٠ كلمات لا اعرف من أين استعارها ٠٠ والشىء الغريب انه كتب هذا فى تقرير عن التميز الطبقى فى القوات المسلحة واثره فى الهزيمة العسكرية والتف حوله عديد من الافراد يقرأون ويتكلمون ويلعنون ٠٠ واصبح صديقا لعديد من الشبان المنتشرين فى الجامعات يكتبون مجلات الحائط ويتجمعون فى المدرجات ويصدرون المنشورات وينظمون المظاهرات ويســتفزون كل من حولهم ٠٠ بل كان يمكنك مشاهدته فى مثل هذه الاجتماعات يرقب ٠٠ ويتكلم ٠٠ وفى بعض الاحيان ينفعل ويسخط ٠٠ كان يرى انه لابد وان تقوم حرب شعبية تعبىء الجماهير ٠٠ وتحركها ٠٠ وكان ينتقد بكل شدة اى تهـــاون او تراخ يراه حوله ٠٠ حتى الطبيعى ٠٠ ويثور ٠٠ ويسب فى بعض الاحيان لاســـباب قد تكون تافهة ٠٠ واحبه كثيرون وتحاشـــاه كثيرون ٠٠ حتى اكتوبر ٧٣ ٠٠ زرته فى منزله يوم السادس من اكتوبر ٠٠ وجدته قابعـــا امام التليفزيون يراقب الاحداث بصـــمت ٠٠ ســـألته عن رأيه ٠٠ كان متحفظا ٠٠ لا يستطيع ان يتحمس ٠٠ ولا يستطيع ان يرفض ولكن بعد يومين كان ثائرا للغاية ٠٠ لمـاذا ٠٠ ! لمـاذا لم نندفع حتى الممرات انهـا الحد الادنى للدفاع ٠٠ بغير الوصـــول اليها ٠٠ لا يمكن الدفاع عن شريط رفيع من الارض ٠٠ لقد فقدنا بذلك العمق الاســـتراتيجى ٠٠ وبعد ذلك بايام ٠٠ رأيته هادئا ٠٠ قال ٠٠ لم نكن نستطيع فعلا ان نفعل اكثر مما كان ٠٠ لقد كانت الحبابات الامريكية تنزل من الطـــائرات مزودة بالوقود ومعمرة بالذخيرة ومستعدة للاشـتباك ٠٠٠٠ ولو وسعت المســـافة بين

www.alkottob.com

الجيشين كان من الممكن استخدام الاسلحة النووية .. ثم لانت لهجته .. وابتعد أو تباعد عن اصدقائه .. وغرق فى تفكير عميق لعدة ايام .. ثم قال .. معركتنا الان أن نعمل .. أن نتقدم .. أن نتعلم .. أن نداوى الجراح وننطلق .. وشعرت أنه كان بحاجة لانتصار حتى يتوازن نفسيا .. وعندما توازن ابتدأ يفكر بشكل متحضر .. لا يحبذ سفك الدماء والتدمير .. وانما يتطلع لمستقبل يبنى فيه الوطن بجهد حقيقى لابنائه لامتلاك لغة العصر وادواته الحضارية ...

اليوم سيرحلون .. اكيد .. لا شيء اكيد فالشهور القسمة الماضية شككتهم فى كل شيء .. ورغم أن كل الظواهر كانت تبشرهم بالعودة الا ان شكهم كان أقوى ... ردت الامانات .. والسندوتشات أعدها امزراحى وتفاصيل اعدادها عندهم اولا بأول لقد كان يقطع الخبز الى شرائح وبالفرشاة المغموسة فى المربى أو الجبن يطلى وجها من وجهيها .. ومن خلال راديو رد مع الامانات استمعوا الى اذاعة القاهرة .. كان جسده يرتعش مع سماع الكلمات « هنا القاهرة » رغم البلوفر الجديد الذى ارسلته له أمه والفانلة الصوف التى ارسلتها حكومته ..

وانحبست الدموع فى عينيه كلما تذكر أنه بعد ايام سيكون طليقا فى شوارع مدينته وبين أهله .. يستمتع بدفء الشمس .. وسحر النيل .. ويزاول حياته فيستطيع أن يذهب الى السينما او المسرح او الكازينوهات واستكثر على نفسه كل هذه السعادة . حمام دافىء .. وأكل نظيف ..وسرير منظم له وحده .. ترى هل سيرجعون ... مستحيل لماذا كل هذا العذاب .. ولماذا تركتموهم كل هذا الزمن .. الوجوه حوله متوتره .. ابتسامات .. ضحكات يشوبها القلق والترقب .. الخوف من المجهول اصبح طابعا لجميع تصرفاتهم .. لو حدث أى عامل جديد يغير الموقف .. كأن يسد الطريق او تندلع الحرب .. او يختلفوا فلن يتحملوا الموقف .. يجمعون بطاطينهم ... واوانيهم لتسليمها .. يحدون شنطهم .. لقد اصبح لديهم حصيلة من المتلكات سواء ما وصلهم عن طريق الصليب الاحمر او ما اعتبروه ملكا لهم .. الاسرائيليون يبتسمون يردون عليهم الابتسامة بمثلها .. قامت بينهم عشرة طويلة الرائد صفوت يسلمه لفافة بها بيانات مفصلة عما حدث .. عدد مرات الاستجواب .. المحاضرات التى القيت سلوكيات الافراد ..خاف أن يحملها فيفتشوه ويحصلوا عليها ..

يضيعون الوقت بالحركة .. يدخنون بشراهة .. لا يأكلون .. الجو جميل اشعة الشمس رائعة تحتفل بهم .. اغانى ام كلثوم .. على بلد المحبوب وديني .. يحاولون أن يلعبوا كوتشينه .. لا يستطيعون .

www.alkottob.com

ـ احدهم يسال ... مستعد تحاربهم تانى ..

ـ معرفش .. جليز ... لأ ... معرفش ..

يجل الظلام .. انه اطول يوم فى عمرهم .. يبتسم عندما يتصور أن يوما من عمره القصـــير المحدود يرجوه أن يتحـــرك وينتهى ويتفلسف متسائلا .. ترى كم يوما من عمره قضاه فى الانتظار وتمنى أن ينتهى !! ترى هل سيعيش بعد ذلك اياما يرجوها ان تبطىء فى سيرها وهل سيستطيع تعويض هذا اليوم الذى مل انتظار نهايته .. وتشرد افكاره .. فلم يعد يستطيع أن يقودها .. هل هناك يوم حلو .. ويوم مر .. وما المقياس .. وما هى السعادة .. أين هى .. متى .. وكيف ... !! هل رجوعه لوطنه هو الســعادة .. أم هروبه بعيدا عن رعب الموت ورعب الـذل والســجن والقرف وقسوة الحياة ... ترى كيف سيستقبلونه ؟؟ هل القــاهرة والاهل والمنازل والاطفال والحدائق والشوارع والحياة بنفس الشكل الذى تركها عليه ؟؟ مستحيل بعد حرب انهزم فيها الجيش الذى لا يقهر واهتز الزعيم الذى لم يهتز ابدا أن تبقى الاشياء كما هى ... هل واجه الشعب نفسه ؟ هل تغيرت المقاييس أو على الاقل بذرت بذرة التغيير ؟؟ كيف تلقوا نبـأ الهزيمة ؟؟ ما الذى دفعهـم للخروج يوم ٩ ، ١٠ يونيو ؟؟ هــل غيرتهم التجربة ؟؟ هل لا يزال الفــلاحون يبــذرون الحب ولا يكترثون بما يدور حولهم ؟ ماذا يقال لهم ؟ وما تفسيراتهم ؟ أى الافلام فى دور السينما ؟ هل استعاد مجلس الامة سلطاته التى قدمها هدية ؟؟ الجيش !! أين هو الان ؟ هل استعوض سلاحه ؟ وهل يتم تدريبه ؟ هل مازالوا يطلقون البروجى للواء عند دخوله المعسكر وترفرف الاعلام فى مقدمة عربته ؟؟ هل تغيرت الوجوه ؟ هل سيقابلونهم بالترحاب أم بالحذر والخوف ؟ كان يتجول فى حجرات المعسكر بدون هدف .. بعضهم كتب شعارات الثار على الحوائط ... عائدون لفلسطين .. لن ننسى شهداءنا ..

الظــلام يحــل .. لم يعد انذارا بدخول العشش .. اصبح ابذانا بالرحيل ... جبل الكرمل فى قمة جمالة .. الاشعة الحمراء والبرتقالية والصفراء الناتجة عن الغروب تلقى ظلالا طويلة عليه .. والمصابيح الصغيرة المتناثرة تتلألا فى وســط خضرة زيتونية رائعة .. نسمة هــواء باردة منعشة ...

ينادون عليهم يتجمعون فى صفوف كل منهم يتســلم بطاقة يتجه الطابور عبر الطرقات الضيقة يمرون على معسكرات مهجــورة كانت مكان الجنود تصدر منها روائح كريهة ناتجة من طفح المجارى وتكوم الزبالة . الضباط يتدافعون لتكون لهم اولوية النخول للاتوبيس المتدافعون يدخلونهم

www.alkottob.com

لاخر الاتوبيس يركب صديقنا آخر الضباط يجلس فى أول كرسى ... نفس المكان الذى حضر فيه الى بئر سبع . شعور مكبوت لا يستطيع تحديده ... الستائر تسدل .. ولكن من فتحة صغيرة يستطيع أن يشاهد عربة جيب فوقها لمبة تنبيه زرقاء تجرى بجوارهم وحذائهم .. ثم تسرع لتسبقهم وتبطىء ليسبقوها قول الاتوبيسات يتحرك .. ها هم فى طريقهم الى وطنهم الحارس فقد توتره .. يشرب خمرا من زجاجة صغيرة ويقضم سندوتشا ... يتكلم كلاما غير مفهوم رغم أنه باللغة العربية عن معاملة اليهود ورأيهم فى الحرب ومتى سيعيشون فى سلام .. وأنه يريد أن يترك السلاح ويرقص .. أصبحوا فى غزة .. الشوارع خالية .. يقوم بالحراسة فى نقط المرور فتاة حلوة ... ترتدى زيها بأناقة وتحمل السلاح .. آثار الهدم واضحة على المنازل.خان يونس .. رفح .. مبنى أشرف على اقامته بشد انتباهه وحدة صحية سابقا .. أصبحت ثكنة عسكرية مرفوع عليها العلم الاسرائيلى .. نوافذه مكسرة .. يشعر كما لو كان قد ترك فى الاسر أبنا له .. الاتوبيس يمر سريعا .. طالما عبروا هذا الطريق محملين ببضائع غزة .. الشيخ زويد لديه ابن آخر هنا يبحث عنه حتى يجده وحدة صحية اخرى لم يتممها .. وها هى مكتملة .. ولكنها محبوسة .. العريش .. عاش فيها لمدد طويلة فى خداثة تخرجه .. كان مهندسا للاسكان والمرافق بها .. وله أبناء كثيرون وتوقفوا أمام واحد منهم مدرسة الصناعات .. نزلوا من العربات لقضاء حاجتهم أخرا ذكرى يتركها فى سيناء .. وكلمته الارض .. وكلمه المبنى .. كانوا يبكون .. استنجدوا به .. ودار بينه وبينهم حديث طويل .. حديث عن ومن الارض المحبوسة .. وود لو بقى .. وود لو عاد مهندسا يبنى ويخطط ويعمر .. ولكن صوت الحارس كان أعلى من صوت الارض .. كان عليه أن يغادرها .. على أمل .. وظهر الفجر وهم يسيرون على طريق العريش ـ القاهرة أطلت الشمس من بين النخيل .. طالما أطلت عليه فى عربته العسكرية اثناء المناورات .. أو عربة الاسكان وهو يخطط لبناء جديد .. كان يجب أن يراها دائما من هذا المكان .. وكان يود دائما أن يرقد لاخر عمره على الرمال البيضاء الشديدة البياض بشاطىء العريش .. تحت نخلة .. ترعى حوله الماعز فى سلام ... انتهى آخر ليل يقضيه فى الاسر .. وشعر بانقباض ترى هل هم متجهون فعلا للقاهرة أم سينقلونهم لمعسكر آخر .. وهمه هذا الخاطر حتى أنه لم يودع ابنا آخر له فى بئر العبد حيث كان يشترى السمك البورى المشوى والسمان .. الاعراب يلوحون لهم ... وهو لا يستطيع أن يقف ليفاصلهم فى ثمن البورى والبيض والسمان .. الاعراب

www.alkottob.com

يشيرون الى أفواههم ٠٠ جيـــاع ٠٠٠ ترى من اين ياكـــلون ٠٠ وكيف يتكسبون من قوات الاحتلال ٠٠ المثلث ٠٠ من هنا الطريق للقنطرة يعـرفه جيدا ٠٠ هنا كشك المرور ٠٠٠ ولكن لا وجود له الان ٠٠ التحصـــينات العسكرية تملأ المنطقة ٠٠ ما هم قد وصلوا القنطرة ٠٠ هذا الطريق يوصل الى الجمرك ٠٠ او ما كان جمركا ٠٠ هنا كانوا يضعون ايديهم على قلوبهم حوما من المغالاة ق الجمارك ٠٠ والان تدق قلوبهم فبلدهم على بعد خطوات المـربات تقـف فى قول واحـدة خـلف الاخـرى ٠٠ والحراس يلتقطـون الصور التذكارية ٠ هنا القاهرة ٠٠ « الناس والشتاء » ويستمعون بشـغف للبرنامج رجل عجوز من أهل القنطرة يركب حمارا ويضع على ساعدة علامة رجال الامن ٠٠ عجوز يريد ان ياكل ٠٠٠ العربات تتحرك وتعود بالاسرى اليهود ٠٠ واحدا فى كل عربة ٠٠ شـعرة طويل ٠٠ ذقنة كثيفة ٠٠

وتذكر عندما سأل سكرتير حزب المباى عن عدد الاسرى اليهود فقـال سترونهم عندما يتم التبادل وتعرفون انهم لم يتجاوزوا العشرين ٠ العربة تقترب من المعدية ٠٠ مبنى الجمرك تحول الى مركز قيادة مرفوع عليه العلم الاسرائيلى ويتحرك منه واليه عدد من الجنود والمجندات الاسرائيليات ٠٠٠ ثم تستدير العربة لتقف ٠٠ لا يصدق نفسه الشاطىء الاخر ها هو واضح ٠٠ لا يصدق ٠٠ جمهور من مصورى التليفزيون والمصورين الصحفين يلتقطون لهم الصور ٠٠ يزم شفتيه يتماسك من أجل المصورين ٠٠ لنش من عيئة القناة يقوده مصريون ٠ يخطو داخل اللنش ٠٠ لا يستطيع أن ينظر خلفه ٠٠ صيحات التهليل والسلامات من اليهود ٠٠٠ مع السلامة ٠٠٠ مع السلامة ٠٠٠ شالوم ٠ يجلس على دكة فى مواجهة شاطئنا حلما كان قريبا من شاطىء مصر كلما كان افضل ٠٠ مازال متماسكا ٠٠٠ زاما شفتيه ٠٠٠ الارض المصرية تحت قدميه ٠ ٠ جنود بملابس الشرطة العسكرية المصرية ٠٠ لواء مصرى سمين يقف لتحيتهم ٠٠ الحمد لله على السـلامة ٠٠ كيس به سندوتشات ٠٠ علبه سجائر زجاجة كوكاكولا ٠٠ اهلا ٠٠٠ ما اسمك ٠٠٠ يبكى بشدة لا يستطيع ان يمنع دموعه ٠٠ انهار التماسك التمثيلى ٠٠ يبكى على حضـن امه ٠٠ هنا يستطيع البكاء ٠٠ ولاول مـرة ٠ أحدهم يربت على كتفه ٠٠ معلهش ٠٠٠ يبكى ٠٠

احدهم يساله ٠٠٠ ـ ماذا تريد ٠٠٠ ؟

ـ اريد نظارتى ٠٠٠

ـ ايـن هـى ٠٠٠

ـ اخذها اليهود منى يوم قبض على ٠٠٠ آآ

www.alkottob.com

وحتى الان مازال صديقنا يبكى كلما قص علينا هذا الموقف لقد أهدته عائلته عشرات النظارات واشترى عشرات اخرى على احدث طـراز ٠٠ ولكنه كلما تذكر نظارته يبكى ٠٠٠ لقد كان دائما يعتبرها الشىء الشخصى الذى سرق منه ولم يستطع أن يدافع عنه ٠٠٠ حتى ولو بكلمة احتجاج ٠٠ كان يردد دائما ان اقسى درجات المهانة أن يغتصب شخص ما اشياءك أمامك ولا تستطيع الاحتجاج سواء كان هذا الشخص عدوك ٠٠ أو من بنى وطنك ٠٠ أو غريبا وحتى الان مازال يستفزه جدا لو مد اى شخص يده الى شىء يخصه واخذه دون اذنه حتى ولو كانت سيجارة من علبته ٠٠٠٠

ركبوا اتوبيسا آخر فى طريقهم الى القاهرة ٠٠ كان يرافقهم رائد بحرى ٠٠ وأمطره زملاؤه بأسئلتهم ٠٠ اما هو فقد كان يبكى ٠٠

٠٠٠٠ ـ كيف حـال الجيش ٠٠

ـ عال عظيم

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دمـوع ٠٠ دمـوع

ـ ما قصـة الباخرة أيلات

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دمـوع ٠٠ دمـوع ٠٠ القاهرة ٦٠ كيلو متر

ـ ردت لنا ثقتنا زوارق الطوربيد ٠٠

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دمـوع ٠٠ دمـوع ٠٠ القاهره ٥٠ كيلو متر ٠

ـ كيف كنا سننتصر ٠٠ هل هذا معقول

دموع ٠٠٠ دموع ٠٠٠ القـاهرة ٢٠ كيلو متر

وتظهر مشارف القاهرة ٠٠ المصانع ٠٠ المطار ٠٠ الطريق للكلية الحربية

ـ الى ايـن ٠

ـ الى الكلية الحربية ستقضون بعض الوقت هنـاك ٠

ـ كثيـرا ٠

ـ لا من أجـل الحجر الصحى فقط ٠٠٠

وهكذا وصلوا الكلية الحربية ٠٠ وقذفت المخابرات الاسرائيلية الكرة الى المخـابرات المصرية مجمـوعة من الرجـال الممـزقين اجـريت عليهـم تجارب الحرب النفسية الحديثة ٠٠ القت فيها المخابرات الاسرائيليه بكل ثقلها فى معالجتهم ووثقت مما فعلت ٠٠

وابتدأ الجانب الاخر يتعامل بحذر مع طرد المتفجرات القادمة له من النشـط البعيـد ٠٠٠

www.alkottob.com

الكلية الحربية من الباب الخلفى ·· ضباط من دفعات الاسرى السابقين يجلسون يستمتعون بالشمس ···

فرقه موسيقى الجيش تقف فى الفناء فى مواجهة المبنى تعزف

« يا حبايب بالسلامة ·· رحتم ورجعتم لنا بالسلامة ··· »

« الله أكبر ·· الله أكبر ·· الله أكبر فوق كيد المعتدى »

« بلادى ·· بلادى ·· بلادى ·· لك حبى وفؤادى »

الدموع لازالت تملأ عينيه ·· جسده يهتز بشدة ·· يشعر بالقشعريرة ·· ··· تفضلوا يا حضرات ·· فوق من فضلكم ·· الحمد لله على السلامة ·

··· تفضلوا يا حضرات فوق

··· تفضلوا يا حضرات

··· تفضلوا ·····

عندما حضر صديقنا للعلاج بالمستشفى لاول مرة ·· تعاملنا معه كحالة خاصة جدا ·· كان هادئا منطويا على نفسه ·· يرفض الخروج من المستشفى حتى ولو لنزهة قصيرة ·· كان يتكلم عن الوحوش بالخارج فى الاتوبيس والشارع والمنزل والعمل ·· وكان لا يقبل العلاج ·· فلقد اكتشفنا بعد مدة انه لا يتناول الاقراص المهدئة الا قليلا ·· عندما ناقشته فى ذلك ·· كان رده انه ليس مريضا بل نحن المرضى لاننا لا نستطيع أن نرى ما يراه الاعمى بوضوح ·· القيادة لم تتغير حتى القيادة التكتيكية ·· ولازالت تتخبط بنفس الدرجة ·· والتعليمات المهزوزة والمترددة لازالت ·· ونحن نتحرك نحو كارثة لا يستطيع أن يشارك فيها على الاطلاق ·· وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يقاومها لذلك فهو يفضل أن يبقى بين المجانين فى مستشفى عن أن يعاشر هؤلاء الخطرين المطلق سراحهم أعداء أنفسهم وأعداء البشر ···

وكان لا يفعل شيئا الا الاسترخاء والقراءة والاستماع للموسيقى وفى بعض الاحيان الحديث مع المرضى باهتمام شديد ···

ولقد قمنا بعلاجه بطريقة حديثة كانت تطبق لاول مرة بالقوات المسلحة ·· وهى طريقة المجموعة ·· أى تجميع عدد من المرضى ثم ادارة حوارات منظمة بينهم وتصحيح الاتجاهات الفكرية وتنمية رغبتهم فى الحياة بزرع الامل والحب والاهتمام بالاخرين ليحصدوا حبا واهتماما ·· وتحسن وعاد الى عمله فى وحدة جديدة من الوحدات التى انشئت بالقوات المسلحة من المتعلمين وخريجى الجامعات ·· كان سعيدا بوحدته الجديدة ·· وكان يقول لاول مرة اقف امام طابور لا يوجد به أمى واحد · وكان قائد وحدته الجديدة حكيما ·· عندما تقابلا لاول مرة فاجأ صديقنا بانه لن يعمل ···

www.alkottob.com

ولن يشارك فى جرائم قتل الابرياء عن طريق قيادة ممزقة ٠٠ فطلب منه الاخر أن يبقى فى حجرته ويكتفى بمساعدته فى ارشاد هؤلاء الصغار قليلى الخبرة حتى يصلب عودهم ٠٠ فقط الارشـــاد ٠٠ اســتخدمه كاستشارى ٠٠ وبمرور الوقت اندمج فى الحياة الجديدة ووجد صدى لجهده ٠٠ كان يحاول أن يصب فى رجاله كل خبرته الســابقة واعطى لوحدته كل وقته وجهده ٠٠ والتف حوله الشباب ٠٠ كانوا يحبونه ويحترمونه الى درجة كبيرة ٠٠ وتكونت واحــة وارفة الظلال داخل صحراء حياته ٠٠٠ خاف عليها ودافع عنهــا بكل قوته ٠٠ حتى كان يوم ٠٠ صدرت الاوامر فيها للجيش بالانتشار وسط المدنيين وفى الشوارع والحقول وانتكست حالة صديقنا ٠٠ اصيب بالرعب كان يقول أن القيادة لا تدرى ماذا تفعل وسيغرقون جزيرتى فى بحـرهم الفاسـد ٠٠ وعاد الينا فى المستشفى أكثر ثورة وتوترا كان يقول هل فقدت مصر كل رجالها الاكفاء ٠٠ ألا يوجد الا هذا ليصبح وزيرا للحربية وقائدا للقوات المسلحة كان يحمل بغضا متزايدا لقيادته وعدم ثقة فى مقدرتهم ٠٠ وبالتالى لم يكن أمامنا الا عرضه على القومسيون الطبى ٠٠ فى ذلك اليوم دخل علينا متوترا للغاية كانت كفاه تتضحان عرقا غزيرا ٠٠ وكان قلبه يدق بسرعة ٠٠ وعيناه غير مستقرتين تماما ٠٠ وكان لا يزال يتكلم عن الوحوش والغابة بكلمات غير مترابطة وكان يقص علينا أحلاما كابوسية عن الطوفان والزلازل والبراكين ٠٠ وقرر الاطباء عدم صلاحيته للخدمة العسكرية لاصابته بعصاب حرب مزمن ٠٠ ثم احيل الى المعاش بعد ذلك بأيام ٠٠

تدافعوا الى الحنبر الطويل المرصوص به اسرة ذات دورين ٠٠ على كل سرير بيجاما واوفرول ٠٠ وغيار داخلى ٠٠ وزجاجة كولونيا ٠٠ وعدة حـلاقة ٠٠ وعلبه سجائر صغيرة ٠

وطلب منهم خلع ملابسهم وارتداء المـلابس الجديدة وبسرعة تمهيدا لحضور مؤتمر مع السيد اللواء صادق مدير المخابرات الحربية ٠٠

وكان أحد الضباط يتحرك بينهم يسالهم هل مع احدكم نقود كثيرة ٠٠ وبالطبع أجاب بأن معه مائتا جنيه تخص كانتين الوحدة استطاع الاحتفاظ بها فطلب منه الاحتفاظ بها حتى يمر عليه بمكتبه لتسليمها ٠٠

ذهبـوا الى مكان المؤتمر خيمة كبيرة بهـا مناضـد وكراسى ودكك وفى نهايتها مكتبة وبيك آب واسطوانات وسماعات ٠ القاعة مضـاءة اضاءة قوية ويقف فى صدرها امام الميكرفون لواء طويل اصلع يتكلم ٠٠٠

ـ اتفضلوا ٠٠ الحمد لله على ســلامتكم ٠

ـ مساء الخير يا حضرات ٠٠ الحمد لله على سلامتكم ٠٠ كنا فى شوق اليكم وكنا نتمنى أن تكونوا بيننا من مدة طويلة ٠٠ الاوراق التى امام سيادتكم

www.alkottob.com

نحن آسفون بطلب كتابتها بسرعة ٠٠ ولكن عندما تقرأونها ستعرفون مدى أهميتها وستقدرون سبب سرعة طلبها ٠٠ ارجو ان تملأوها بعناية شديدة ودقة ٠٠ بكل ما لديكم من وطنية ٠٠ بكل ما لديكم من حب لبلدكم نرجو ان تكتب بصراحة مطلقة لكى يمكن الاستفادة منها ٠٠ اكتب كل شىء ٠٠ لا تترك شيئا ٠٠ لن نحاسبكم على أى تصرف مادمتم تكتبونه فى هذه الورقات خلص نفسك ٠٠ وامسح جميع اخطائك ٠٠ بالكتابة بصراحة ٠٠

اوامر السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربيه بالا يحاسب احدكم على ما فعل مهما كان مادام قد ادلى بمعلوماته فى استمارة البيانات ٠٠٠ ارجوكم لا تتركوا شيئا ٠٠٠ سوف نملأ الاستمارة الان لكى تكون الوقائع لازالت ماثلة فى أذهانكم ٠٠ كلما انتهينا سريعا كلما كان فى مقدورنا أن نسمح لكم بالخروج والعودة لمنازلكم ان شاء الله ٠٠ نقرأ البيانات مع بعض ٠٠٠

الاسم : بالطبع اسم سيادتك تكتبه فى الخانة الفارغة امامه

السن : الرتبة ٠٠٠ **العنوان** ٠٠٠ بالطبع عنوانك هنا فى مصر ، او فى البلد اللى حتقضى فيها اجازتك ٠٠٠ **المهنه** اذا كنت سيادتك احتياط او لك شغل آخر ٠٠٠

باقى البيانات ٠٠٠ وحدتك ٠٠ بالطبع قبل الاسر ٠٠ انا بتكلم وانتم بتكتبوا ٠٠ معانا ٠٠

بيانات عن الاسر : متى ٠٠ ؟ أين ٠٠ ؟ كيف ٠٠ ؟

بيانات عن التصرفات : من حاول الهروب ٠٠ من تعاون مع العدو ٠٠ هى مش فتنة يا سادة او عمل لا اخلاقى ان تقول ولكن المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار تاكدوا يا حضرات اننا لن نحاسب ايا منكم على ما حدث هناك ٠٠ كل منكم يتكلم بصراحة ٠٠ نحن نعلم انكم كنتم بين ايدى العدو ٠٠ وكان من الممكن ان تفعلوا اى شىء ولذلك نرجوكم الكلام بصراحة ٠٠

آى ملاحظات لك اثناء رحلة العودة : اكتب فى الخانه القادمة اى معلومات تحب ان تكتبها يوجدورق اضافى فارغ لتكتب فيه اذا لم يكن الورق كافيا نرجو الا تهمل اى شىء مهما كان صغيرا ٠٠ كل شىء سنستفيد به خلاص ٠٠ كل واحد من فضلكم يحضر لنا الورقة هنا ٠٠ لا تخرجوا يا حضرات سندردش قليلا ٠٠ عشر دقائق ٠٠ احضرنا لكم فيلما ظريفا ستتشاهدونه فى الصالة السفلية ٠٠ اما العشاء وتناول الطعام فسيكون فى هذه الصالة ٠٠ احنا هنا رجالة بلدكم ٠٠ وبنعمل لمصلحتكم ولحمايتكم وكما قلت من قبل لن يحاسبه اى فرد على اى عمل بدر منه فى الاسر الورق هنا يا حضرات ٠٠ اتفضلوا ٠٠ خلاص كل الورق موجود هنا ٠٠ نتكلم فى موضوعنا الان ٠٠ ثانيا :-

www.alkottob.com

الحمد لله على السلامة ٠٠ البلد كلها مصر ٠٠ الجيش ٠٠ السيد الرئيس والسيد الفريق يهنئونكم بسلامة الوصول وان شاء الله بعد ما تستريحون قليلا سيحضر سيادة الفريق فوزى للقائكم نحن نعلم جميعا أننا قد خرجنا من نكسة وهزيمة عسكرية لكن الحمد لله الشعب فى الداخل والجيش على الحدود أخذا موقفا صلبا ومنعا الهزيمة من ان تصل الى أهدافها ٠٠ العدوان كان موجها للحكم أساسا وبالتالى فى عدم سقوطه عدم تحقيق لهدف العدوان ٠٠ أعرف أنكم لديكم اسئلة كثيرة وأنهم قالوا لكم معلومات كثيرة عن الفوضى بالداخل والانهيار الاقتصادى والحمد لله انتم شفتم خلال حضوركم أن الجيش صامد يحتل مكانه والحقيقة أن هناك رخاء أقتصاديا بعد الدعم العربى لمؤتمر الخرطوم ٠

كيلو اللحمة النهاردة بستين قرشا ٠ وجايز بخمسة وخمسين ومتوفر فى السوق ٠٠٠ حقيقى بعد النكسة مباشرة زادت الاسعار قليلا ٠٠ ولكنها عادت لما قبل يونيو ٦٧ ٠٠٠ والحمد لله حققنا الصمود العسكرى وأظنكم تعرفون قصة المدمرة أيلات ٠٠ بعد العدوان مباشرة كما قال سياده الرئيس كان الطريق مفتوحا للقاهرة ٠٠٠ لا يوجد جندى واحد قادر على الحرب ٠٠ اليوم الحمد لله الجيش صامد ٠٠ وكل ما نرجوه أن تتعاونوا معنا ٠ الجهاز تغير ٠٠ الجيش تغير ٠٠ القيادات أصبحت أصلب سيادة الفريق فوزى سيادة الفريق عبد المنعم رياض وقيادته التى تكلم عنها العدو قبل الصديق فى الاردن ٠٠ الغلطات القديمة تم اصلاحها وحدثت تغيرات كثيرة ان شاء الله سوف تروفها عندما تعودون الى وحداتكم ٠٠٠ لا اريد أن أثقل عليكم ٠٠ ويمكنكم أن تسألوا أى اسئلة ٠٠٠ لا تخافوا ٠٠ ها اتفضلوا ٠٠ أيه مفيش أسئله ؟؟ ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ المشير انتحر ٠٠ أخذ مواد سامة ٠٠ والنائب العام قرر أنه لا يوجد فعل جنائى

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ كانت هناك مؤامرة فعلا بعض الضباط رجعوا من سيناء خافوا من المحاكمة وهم أمام محكمة عسكرية عادلة ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ الاسرى فعلا اليهود اقل من عشرين ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ لم نأسر أحدا كاملا كانوا من الضفادع البشرية وبعض الطيارين ٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

www.alkottob.com

ـ أيوه ضربوا الزيتيه ٠٠ والان هناك تهجير لاهالى مدن القنال ٠
ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠
ـ الجمـاهير خرجت تنادى ببقـاء الرئيس يوم ٩ و ١٠ يونيو ٠٠ ايـام خـالدة ٠
ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠
ـ لن يحدث لكم أى شىء ٠٠ لن يفصل اى اسير ٠٠ وستعودون بعد اجراءات بسيطة ٠٠ كلما تعاونتم معنا كان ذلك اسرع ٠
بالمناسبة وفد منكم سيزور مقابر الشهداء ٠٠ باكر ٠٠ استريحوا ٠٠ نحن فى خدمتكم لا مقابلات مع المدنيين وأرجو الا تحرجونا ٠٠٠
كل واحد له عشرة جنيهات من التأمينات هدية من السيد حسين الشافعى لحن اخوانكم حاولوا مسـاعدتنا ٠
ـ ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
ـ توجد ترتيبات للمحافظة على الطيران ولن يتكرر ما حدث ثانية ٠
ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠
ـ القيادة كانت مهزوزة وحدث ارتباك لهـا ٠
ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠
ـ اليوم أحسن بالطبع ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ لا تخافوا ٠٠ زملاء لكم يقومون بواجبهم على الحدود بمجهود فوق طاقة البشر ٠
ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠
ـ نعم كل سـاعة طيارة محملة بالسـلاح فعـلا ٠٠ لقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مشرفا ٠٠
ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠
ـ لم تضربنا الطـائرات الامريكية ولكنهم كانوا مستعدين لدخـول الحرب لو انتصرنا تصبحوا على خير ٠٠٠ ايوه البترول زى ما هو سنأخذ ثمنه لنشترى به سـلاحا ٠٠٠
ـ كل الدول العربية موقفها مشرف ٠٠ تصبحوا على خير ٠٠ الحمد لله على السـلامة عارفين انكم تعبتم ٠٠ وصلتنا أخباركم ٠٠ اعمـال عظيمة حقا ٠٠ كلنا فخورون بموقفكم هناك ٠٠ حاضر ٠٠ حاضر ٠٠ تصبحوا على خير ٠٠ العشـاء بعد نصف ساعة ٠٠٠ تقدروا سيادتكم تتفضلوا ٠٠
كان صديقنا يراقب بالدهاش ٠٠ لم يكن قد استوعب بعد انه لم يعد فى عتليت ٠ ٠ ولم يفهم لمـاذا العجلة الشديدة لهذا المؤتمر ٠٠ كان يشعر بان هناك شيئا غامضا فى البطء الشديد الذى تكلم به اللـواء فى بدايه الحديث

www.alkottob.com

ثم السرعة الغريبة التى كان يرد بها فى نهاية الحديث هل تعرف احساسك عندما تقف أمام حاوى يخرج الارانب والحمام من أماكن فارغة أو لا يمكن تصديقها ٠٠ ولكنك أمام الحمام الذى يطير لا تستطيع تكذيبه وفى نفس الوقت تشعر انه قد ضحك عليك كان هذا شعوره ٠٠ ولم يهدأ الا بعد أن عرف السبب عندما عاد الى العنبر الذى ترك فيه أشياءه البسيطة فوجد انهم قد فتشوا كل شنطهم وأخذوا ما بها ٠٠ بداية غريبة لعدم الثقة ٠٠تركت لديه شعورا بالمرارة والرغبة فى عدم التعاون مع هذه الاجهزة البوليسية التى لازالت لا تحترم أبسط حقوق الانسان وآدميته ٠٠ وثاروا جميعا ٠٠ شعروا بالمهانة لقد استولوا على خطاباتهم وسجائرهم ٠٠ أدوات الحلاقة ٠٠ الملابس ٠٠ الاحذية ٠٠ حتى السجاير السويسرى التى اهداها لهم الصليب الاحمر وسجاير الكليوباترا ٠٠ بعد أن دبروا الهاءهم فى هذا المؤتمر واستسلموا اهكذا المخابرات فى اى مكان ؟؟؟

وانتشروا فى المعسكر يكتشفونه ٠٠ بعضهم عرف أن الفيلم الذى سيعرضونه هو السمان والخريف ٠٠ وآخرون اكتشفوا انهم قد اعدوا لهم تليفونا للاتصال باهلهم واحدهم جاء يحمل قصة غريبة ٠٠ لقد وقف الدكتور قدرى يصلى جماعة ٠٠ وفجأة بدلا من أن يركع وقف يخاطب ربنا ٠٠ ليه كده يا ظالم !! ٠٠ هو ده عدلك آ واخذ يهذى بكلام غريب حتى نقلوه للمستشفى ٠٠ وخاف كل منهم على نفسه أن يفقد عقله وابتدأوا ينصحون بعضهم بعضا لا تغضب الدنيا لا تستحق ٠٠ لقد انهينا أصعب مرحلة ٠٠ الحمد لله ٠٠ كان من الممكن أن تموت فى اى مرحلة من المراحل السابقة ٠٠

وقف أحدهم يتكلم مع أسرته من خلال التليفون ٠٠ كان منفعلا الى درجة كبيرة وهو يخاطب الطرف الاخر ٠

ـ انا ياستى جوزك ورجعت

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ ايه نسيتينى ولا ايه !!

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ مش متجوزة يعنى ايه !! أمال أنا ايه ٠٠ !

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ياستى انا رجعت مصر ٠٠٠ انا بكلمك من مصر ٠٠٠

ثم التفت باستسلام للاخرين وقال ٠٠ تصوروا قفلت التليفون فى وشى وضج الجميع بالضحك وقف خجلا يرجوهم أن يسمحوا له بمحاولة أخرى ٠٠ لعلها تتصور أنه يعاكسها ٠٠٠

www.alkottob.com

ـ الو ... انت قفلت ليه .. انا جوزك ورجعت .

ـ ... .

ـ رجعت من الاسر .. انا فى الكلية الحربية ..

ـ ... .

ـ نمرة كام .. ؟؟

ـ ... .

ـ ياسمى دى نمرة بيتى .. هم غيروها ولا ايه !!

ـ ... .

ـ ازاى نمرة بيتكم من خمس سنين ..

ـ ... .

ـ طيب متأسف ...

وقف بجوار الحائط يفكر .. ثم صاح .. آه .. لها حق .. تصوروا نسيت نمرة بيتى .

قرب نهاية فترة الاسر تبادل الاصدقاء ارقام تليفوناتهم .. وخاف هذا الصديق لحرصه على نفسه واسرته أن تقع هذه الارقام فى ايدى الاسرائيليين .. فتغلب عقله الباطن على عقله الواعى بأن غشه واعطاه رقما خاطئا .. حتى اذا وقع هذا الرقم فى ايدى عدوه نجا هو .. وظل محتفظا بهذا الرقم فى ذاكراته متخيلا أنه الرقم الصحيح حتى انكرته زوجته .. وقد يكون خوفه من مقابلة عائلته بشخصيته المزقة الجديدة هى السبب فى أنه اخطا رقم تليفون منزله ...

ذهب صديقنا لمشاهدة « السمان والخريف » منذ مدة لم يشاهد فيلما ناطقا باللغه العربية حتى قبل الحرب ... قصة الفيلم تشد انتباهه لها .. فالتمزق الذى يعيشه بطل الفيلم هو نفسه تمزقه .. ووحل ما قبل الثورة هو نفسه الوحل الذى عاد منه ... يبكى .. الحرب التى فى نهاية الفيلم تترك شعورا بعدم الراحة لديهم .. بعضهم لا يفهم الرمز فى الفيلم بعودة بطله الى تمثال سعد زغلول .. ينفعل يفسر لهم تمثال سعد رمزا لنقاء الوفد وثوريته .. وهو يعود له دائما عندما يشعر بالتمزق او التناقض ليستمد منه العزاء ..

ـ آه زى الرمز اللى خرج من اجله شعب ٩ و ١٠ يونيو رافضا الهزيمه .

ـ تمام ...

www.alkottob.com

ـ مش مقتنع ..

وضع الاكل على بوفيه العشاء بكميات كبيره جدا .. لحوم .. فـراخ .. كشك .. ارز بالكبد والكلاوى .. ومطبوخ بشكل جيد .. كانوا جوعى منذ تسعة اشهر .. آكلوا بشراهة مرعبة .. كان كل منهم يود لو كان لديه أكثر من فم وأكثر من معدة .. علق احدهم فى النهاية .. أجمل ما فى هـذا العشاء .. اننى لن اغسل الاوعيه بعد ذلك .

هكـذا انتهى يـوم رحـــلة العـــودة .. راوا فجـــره فى مخرج او مدخـــل العريش تظهـر شـمسه من بين النخيـــل الكثيـف تشـهد الى متى يظل الانســان دائبا على ظلم أخيه الانســان يقتـله ويسـجنه ويعذبه وينفيه ويدمره ؟؟ .. وانهوا ليله فى معسكرات الكلية الحربية ياكلون بشراهة منقطعة النظير أكلا معدا بصورة جيدة وبكميات كبيرة ومتنوعه .. والاهم أنهم لن يغسلوا الاوانى بعد الطعام ولن يتمم عليهم الجنود الاسرائيليون ويقفلوا عليهم الابواب بالاقفال ولن يسـتيقظوا باكر على صـوت المذيعـة الاسرائيلية السـاعة شيش بمعنى الساعة السادسة .

www.alkottob.com

www.alkottob.com

الفصل السادس

مصـــر

لقد كانت فترة الحضانة التى قضاها أصدقاؤنا فى الكلية الحربيـة فترة لازمة وضرورية لعمل نقلة موضوعية لهم ٠٠ والا خرجوا للعالم كالوحوش

ورغم ذلك فلقد اكتسب صديقنا بعض العادات التى مازالت تصاحبه حتى الان ٠٠ فهو لا يتحرك ابدا الا ومعه أكثر من علبة سجائر ولا يعتبر نفسه قد تناول طعاما ان لم يحتو على كميات غير طبيعية من اللحوم ٠٠ ولا يستطيع أن يقاوم زجاجة مياه مثلجة ومغبشة من فعـل الرطوبة خاصة لو كانت برتقالا او ليمونا ٠٠٠ وهكذا حياتنا جميعا اغلب عاداتنا اكتسبناها فى ظروف ومناسبات قد لا نذكرها ٠ وأثرت هذه العادات على شكله وسلوكه وعلاقته بالعالم فصديقنا الذى كان رياضيا لا يزيد وزنه عن الستين ابدا ٠٠ أصبح نتيجة لشرهه انسانا سمينا ذا كرش مترهل ووزنه يزيد على الثمانين

اكثر غرابة علاقاته بالجنس الاخر ٠٠ عـلاقة حسية شرهة لا تمـل التغيير والتبديل ابدا ٠٠٠ كذلك لم يعد يستقر فى عمل فهو دائما قلق متوتر متعجـل ٠٠ ترى عينـاه العيـوب بسرعة شديدة فيهتـاج ويقاوم بضراوة لا تتناسـب مع الموقـف ٠

لقد أصبح صديقنا خطرا فلديه الامكانات والذكاء والامانة والتحمس والانسانية والخلق الذى يجعله جذابا لعديد من البشر وفى نفس الوقت كان حادا مدمرا بشكل غير انسـانى لمـن يخالف وجهة نظـره ورأيه وقيمه ٠٠ والعالم لا يحتمل الابيض والاسـود الان وانما هو مجموعة من الرماديات المختلفة ٠٠ لذلك فلقد كان مثارا لدهشه المتعاملين معه احداهن أطلقت عليه لقب مصاص الدماء ٠٠ وآخرون كانوا يقولون انه مرعب ٠٠ شديد الجاذبية ٠٠ شـديد الخطـر ٠٠

يا صباح مصر ٠٠ يا صباح مصر ٠٠ الحمد لله على السـلامة ياسادة ٠٠ لديكم اليوم اعمال كثيرة ٠٠ التطعيم ٠٠ وعمل بطاقات شخصية ٠٠ والتقاط بعض الصور ٠٠ وتعديل الافرولات لدى الترزى ٠٠ والحـلاقة ٠٠ ومجالس تحقيق الاسر ٠٠ مقابلة المستجوبين ٠٠

www.alkottob.com

هنا ايضا مستجوبون ... وضحكوا جميعا ..

وتحركوا جميعا فى نشاط كل منهم يؤدى عملا من الاعمال التى يجب ان ينهيها قبل الخروج الى العالم . وعند الحلاق وجد صديقنا احدهم يحلق .. لم يكن قد قابله من قبل .. سأله .. هل كنت معنا .. اجاب بالايجاب . ولكنى لم أرك من قبل .. ابتسم بمرارة وقال .. لقد اعتبرونى جاسوسا .. وليس اسيرا .. ثم استطرد .

بعد حرب يونيو . . كان هناك تشوين ذخيرة ومفرقعات قرب رمانة ... طلب منه ومن زميل آخر نسف هذه التشوينات .. وقاما بنسفها لدرجة ان الاخرين على الشاطىء البعيد تصوروا أن الصاعقة فجرت قنبلة ذرية . بعد ذلك ذهب فى دورية تصوير مطار حربى .. كان بالملابس المدنية ومعه الات تصوير .. سلمه العربان للاسرائيليين فاعتبروه جاسوسا .. سجنوه سجنا انفراديا وزاولوا معه كل أنواع التعذيب .. ثم حكموا عليه بالاعدام .. حتى أنه كان متخيلا وهو عائد لمصر أنه ذاهب لتنفيذ حكم الاعدام .. وهذا هو السبب فى تأخر تسليم الاسرى . فاليهود اعتبروه جاسوسا ورفضوا تسليمه والمصريون اصروا على استلامه ضمن الاسرى .. كان شابا رقيقا وسيما يحب الموسيقى ويعزف على الجيتار ويرقص ويرسم ومن أسرة معظمها فنانون .. رياضى متحمس بتهور .. ورغم كل ما عاناه كان معتزا بنفسه لدرجة كبيرة فلقد كان يجد سببا مقبولا لديه لتحمله العذاب وبالتالى لا تناقض .. لا تمزق .. ولا يعادى نفسه لقد كان وجها آخر تماما لما يمكن ان يكون عليه شباب مصر عندما يعتنى بتربيتهم وعندما يجدون الهدف الواضح ...

تم عمل مجالس تحقيق أسر لاصدقائنا .. تحقيق صورى واجراءات روتينية .. أين سلاحك ؟ ! .. كيف وقعت فى الاسر !! .. لماذا ؟؟ .. منح السلامة ..

ثم استجوابه : شاب صغير السن ذو تقاطيع حلوة .. يلبس نظارة ريبان ويسوى شاربه الاصفر بعناية ويتكلم بكسل شديد وملل ..

اسمك .. عنوانك .. سنك .. رتبتك . . ملأت الشيت ؟؟ عندك حاجة عايز تقولها !!

ـ ... .

ـ آه عارف

ـ ... .

ـ عارفين احنا الكلام ده .. غيره

www.alkottob.com

ـ آه ٠٠ آه ٠٠ احنا كنا متتبعينه

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ اشكرك جدا ٠٠ تيقى فكرة معقولة ٠٠ اكتبها وهاتهالى وارسم خريطه للكيبوتزات انت مهندس ٠٠ وعليها التحصينات العسكرية٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ مش كتبت الحكاية دى خلاص ٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ تفتكر يعنى نعمل ايه نشنقهما ٠

ـ ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ مش قلتلك كتبتها خلاص ٠٠ مل ممكن تتصور اننا نسيب اليهود على الجبهة ونجرى نشوف مين اللى ترك كتيبته ومين اللى هرب ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ الجيش كله ترك معداته وسلاحه يعنى على معدات كتيبة مهندسين٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ المهم حاولوا يجندوك ٠٠ ولا لأ ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

ـ والفلوس فين طيب سلمها فى قيادة المعسكر ٠٠

ـ اتغيرنا خالص ٠٠ الجهاز كله اتغير ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ هذا إجراء يجب ان نتبعه انت كويس ٠٠ غيرك ممكن يكون جاسوس وتاكد مفيش حاجة حتفوت مننا ٠٠ متشكرين ٠٠ تقدر تتفضل ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ آه ٠٠ آه م أنا عارف ٠٠ عارفين احنا كل حاجة ٠٠ متشكر ٠٠ مع السلامة ٠٠

فى نهاية اليوم وجد صديقنا من يبحث عنه ٠٠ فهناك من يقف فى الشارع ينتظره ٠٠٠ جرى فى اتجاه سطح الكلية الحربية المطل على شارع جانبى ليجد أهله ٠٠ أبوه ٠٠ أمه ٠ أخته ٠٠ خالته ٠٠ وانزعج ان يكون اول لقاء بينهم بهذه الصورة ٠٠ كان يود أن يدفن راسه فى صدر أمه ٠٠ ويشعر بتربيت كف والده على ظهره ويقبلهم جميعا يلمسهم بيديه يشم رائحتهم ٠٠ يبكى امامهم فيمسحوا دموعه وتعبه وآلامه ٠٠ جرى كالمجنون يبحث عن وسيلة ليقابلهم وجها لوجه ٠٠ ليتحدث معهم عن قرب

www.alkottob.com

.. تناقش مع الضباط والصف ضباط حتى سمحوا بمقابلتهم على البوابة ..

ـ ازيك يا أبنى ..

ـ ... .

ـ عامل ايه واحشنى .. صحتك وحشه كده ليه .

ـ ... .

ـ عذبـوك ...

ـ ... .

ـ كانت بتوصلك جواباتى ..

ـ آه

ـ هل كان معه حقيقى ثلاثمائة جنيه ...

ـ ... .

ـ أخـذوها منك ..

ـ لا أحضرتهـم ..

ـ والله كويس .. تعال سلم على أمك وخالتك ..

وطلب منهم صديقنا العودة على أمل لقاء اخر .. وافهمهم أن ذلك مخالف لتعليمات المعسـكر .

كان عائدا مفعما بالعواطف .. لقد أجهضوا اللقاء .. ولكنها أمه يعرفها جيدا لابد وأنها بكت وقالت ابنى على بعد خطوات واحرم منه .. أم مصريه..

ذهب ليشكر قائد المعسكر .. ويسلمه النقود التى معه .. اخذها الاخر وشكره .. عندما خرج تذكر أنه لم ياخذ ايصـالا فعاد ليجد أحدهم يقص عليه ما حدث على البوابة ويشككه فى أن المبلغ الذى سلمه صديقنا غـير صـحيح ...

وكالقشة التى قصمت ظهر البعير انفجر صديقنا .. هذه اهانة .. هذه ليست معاملة . تتدخلون على أشيائنا بدون علمنا .. ثم ترسـلون الجواسيس خلفنا .. وتشككون ايضا فى ذمتنا ..

ـ كان الاخر يحاول أن يسكته .. طيب يا أبنى متزعلش .. خـلاص متزعلش نفسـك ...

ـ استطرد الاخر ... لو كان اليهود اخذوها مش كان افضـل ...

حاول اكثر من طرف تهدئته ... كان يتحرك فى المعسكر مستفزا

هل هذا جزاؤه .. المثل هذا الموقف حافظ على النقود ..

وهكـذا اصـبح صـديقنا بعـد ذلك يسـتفز لاتفه الاشـياء متخيلا ان العالم يجب ان يسـير كما يتخيـل هو فى دقة .. وانتظام .. ولا يسمح لاى خطأ الا الاخطاء التى يرتكبها هو .. وعادة ما تكون مبررة له .

www.alkottob.com

زاروا بعد ذلك مقابر الشهداء ·· وقف يستمع لنوبة صـــحيان ··
ثم تحرك حول المقابر يقرأ أسماء شـــهداء ٤٨ وشهداء ٥٦ وشهداء اليمن كان من الممكن ان تكون هنا رفاته تحت عنوان شهداء ٦٧ ·· يجد أم أحد الشهداء بملابس الحداد تبكى ابنا لها من شهداء ٥٦ ·· أحد عشر عاما ولم تنسى ··ـى من أجله ·· دمعت عيناه ··· وقف بجوارها وربت على رأســها ·· نظرت له بحب شديد ·· وكأنها ترى ابنها يخرج من القبر ···

وأخيرا زارهم الفريق محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام جلسوا فى قاعة واسعة فى نفس القاعة تقابلا يوم تخرجه وكان قائدا للكلية الحربية ·· كان لا يحبـــــه ولا يرتاح لطريقة كلامه ·· يوم تخرجه قـــــال لهم احترموا البدلة التى ترتدونها ·· لا تشـــتر فجلا وطعمية وتتحرك بها ·· ولا تحمل طفلك وانت تلبسها ·· واستنضفوا لما تتجوزوا مش تتجوزوا واحدة بملاية لف وتمشى معاها بالبدلة ·· شـــعر يومها بالقرف كان يقول عنه أن جنون العظمة يقتله ·· لذلك فلقد اندهش عندما عرف أنه أصبح وزير حربية ما بعد النكسة ·· علق أحد الزملاء سيدير الجيش كما لو كان الكلية الحربيه !! ·· قال لهم ستتشكلون وحدة قتالية من الاسرى ·· وشعر بمغص فى معدته من القرف ما هذا التفكير الرومانسى السخيف ·· لقد قالوا لكم انكم لن تخدموا فى القوات المسلحة وانا اقول لا بل ستعودون لمواقعكم ثانية ·· قارن بينه وبين ما قاله موشى ديان ·· وشعر بالمرارة والحزن · لقد قررنا ان نمنحكم اجازة شهـرا ثم تعودون لعملكم ·

الجو صحو ·· وشوارع القاهره كما هى ·· بل اكثر جمالا ·· والشمس الدافئة القوية تضىء المنازل والشوارع والاشجار · ارتفعت الفساتين والجونلات فوق الركبة كثيرا شاب يربى شعره يتبع فتاة مرسلة شعرها وتلبس الميكروجيب وتقفز فى شوارع مصر الجديدة · اعلانات السينما ·· ود لو قبل كل شىء ·· كل من حوله ·· العربة تدخل مدينة نصر وتقف أمام منزلهم ·· رصـــفوا الشارع الذى أمامهم أهلة يقفون فى البلكونه يلوحون ينزلون لاستقباله ·· أخته ابنة خالته الوجوه كلها سعيدة وتبللها الدموع ··· الجيران يفتحون الشبابيك اصوات الزغاريد تطلقها خالته ·· عائد من الموت ·· أمه تقف على باب الشقة تحضنه ·· صوت صباح « والله واتجمعنا تانى يا قمر ·· » والله واتجمعنا واحلو السهر « ·· الزغاريد تعاود ثانية ·· يدخل الحمام ·· امه تدخل خلفه تريد أن تساعده ·· لقد نسى هذا من مدة طويلة ولكن ابنها ولد من جديد بيجاما جديدة ·· بلوفر جديد ·· قميص جديد ·· والده يعود من عمله ·· يحتضنه ويلتفون حوله ···

www.alkottob.com

كنتم بتاكلوا ايه ٠٠ ضربوكم ٠٠ عذبوك يا بنى ٠٠ كنت بتنام ازاى ٠٠ وحشتنا ٠ ٠ وتنهال عليه القبلات ٠٠ أمه تجلس بجوارة تطعمه ٠٠ تعرف ما يحب وتضعه فى فمه ٠٠ كل يا بنى ده أنت محروم ٠٠ الله يجازيهم أبوه يقول وهو يبكى ٠٠ يا بنى تموت مش مهم ٠٠ أنا وأنت وكل شباب ورجال ونساء مصر فداها ٠٠ ولكن فى سبيل موقف مش لعب العيال ده ٠٠ لو مت فى هذه المهزله لبكيتك طول عمرى ٠

كانت لحرب ٦٧ والاسر الاثر الاكبر فى شخصية ونفسية صديقنا بعد ذلك اذ ورغم أن هذا شىء لا يمكن ملاحظته لاول وهله كان يحكم شخصيته عاملان هما افتقاد الشعور بالامن والشىء الغريب الذى قد تدهشون له ٠٠ الشعور بالنقص ٠٠ وكان افتقاده للشعور بالامن يجعله حذرا دائما يضع البدائل بأستمرار لا يثق فى أى مخلوق أو اى تصرف على الاطلاق ودائم التغيير لا عواطف له ٠٠ جاءنى فى يوم يشكو من أن احدى صديقاته أشارت الى حائط مقابلهم وقالت لو كان هذا الحائط يشعر فستشعر أنت ٠ واصبح لا يستطيع أن يبقى فى مكان واحد لمدة طويلة ٠٠ وكان شعوره بالنقص يدفعه لتغطيته بطبقات سمكية من التصرفات والمظاهر ٠٠ فيلبس افضل الملابس ٠٠٠ ويدقق فى اختيار الالوان ويتحرك كالطاووس يسب كل شىء وينتقد كل شىء ٠٠ ينفق ببذخ وفى بعض الاحيان بأسراف شديد ٠٠ وكان يثقف نفسه كثيرا ويقتنى اللوح والمجلات والتماثيل والاسطوانات الكلاسيكية ويستعرض معلوماته وبشكل مستمر ويتعامل مع الناس بتعال وقرف شديد ٠٠ ولكنك ورغم كل هذا لا تملك الا ان تحبه ٠٠

فى المساء كانوا يحتفلون بعودته ٠٠ تجمع الاهل والاقارب والاصدقاء والمعارف والجيران ٠٠ كل منهم يسلم عليه ٠٠ يحضنه ٠٠ يساله ٠٠ كانوا يصدرون ضجة شديدة اصواتا عالية ٠٠ ضحكات ٠٠ وصوت الاسطوانة المشروخه من كثرة الاستعمال يعلو ولا احد يستمع اليها ٠٠ الطشت قاللى ٠٠ الطشت قاللى ٠٠ قام بتكاسل ٠٠ دخل الى حجرة جانبية ٠٠ امسك كوبا من الويسكى ثم جلس على كرسى مريح مادا ساقيه الى كرسى مقابل ٠٠ واخذ ينظر لقطرات الويسكى وهى تتخلل مكعبات الثلج من خلال فاصل ضبابى كونته قطرات الندى المتجمعة على جدران الكوب وضع الكوب بجواره ٠٠ ادار الريكوردر وابتدأ يستمع الى النغمات الاولى من كونشرتو التروبيت لارتنيان ٠٠ خفت الضجة حوله بعد ان اغلق الباب ليحل محلها الاصوات القوية للالات الموسيقية والتى اسلمته للحن خفيف مريح اشاع الخدر فى جسده ٠٠ ظل يتابعة لمدة ٠٠ ثم شرد مركزا عينيه على صورة له مرتديا فيها الزى العسكرى ٠٠

www.alkottob.com

فتح الباب بهدوء وجلس بجواره • ثم ربت على فخذه وقال ••
ـ يا راجل روق •• ولا تحمل هم •• ده يومك النهارده ••
ـ لا ••• ••• ولا حاجة ••
ـ هم عذبوك كتير ••
ـ لا •• مش قوى ••
ـ كانوا بياكلو كم ـ أظن مش قوى ـ طنط بتقول كانوا بيحوكوا على العشاء بصلاية او خيارية او طماطماية ••
ـ آه فى الاول ••
ـ علشان كده خاسس •• أظن حتاكل لغاية متعوض اللى فات ••
ـ اسمع •• اسمع اللحن ده •• ثم رمق مدخله مع الموسيقى ليلفت نظره •••
ـ آه كويس •• إنت بتحب الموسيقى ••
ـ أحبها جدا ••
ـ وياترى كانوا بيسمعوها لكم هناك ••
ـ أحيانا ••
ـ وشفت اسرائيل طنط بتقول انك زرتها •
ـ آه ••
ـ حلوة اظن حتة من أوروبا •• متقدمة •• رربت ايه !! تل أبيب ••
ـ لا •• خذ سيجارة محاولا أن يشغله عله يتركه فى حاله او لينسى • اخذ السيجارة وظل يديرها بين أصابعه ثم أمســـكها بطريقة • توحى أنه لا يدخن وانما يعفر أحيانا على حد تعبيره ••
ـ ونسوانهم حلوة ••
ـ آه ••
ـ اشـــعل السيجارة ثم نفخ دخانها فى الهواء ••
ـ وكانوا بيدوكوا سجاير طنط بتقول كانت مقرفة ••
ـ فعلا ســـيئة ••
ـ زى البلمونت كده ••
ـ لا زى السجاير العربى واسوأ ••
ـ يا سلام وكنتم بتعملوا ايه ••
ـ ولا حاجة لم نمت ••
ـ لكن كان مسموح بهدايا من هنـــا • مش كده •• كانوا بيدوكوا السجاير ولا سرقوها • وارتفع صوت الكونشرتو فى أفضل وأحب جـــزء

www.alkottob.com

الى نفسه ٠٠ فاعتدل فى جلسته ليستوعبه ٠٠٠ ثم قال هـــذا العمـــل لموسيقار معاصر ٠٠ ومع ذلك من أجمل الالحان التى سمعتها فى حياتى ٠٠٠

ـ رد عليه ـ يا أخى أقفل الدوشه دى ٠٠ خلينا نعرف نتكلم ٠٠

طقطق بشفتيه ٠٠ أى اسكت ٠٠

ـ انت أيه اتجننت ٠٠ جرى لك أيه ٠٠ هو مفيش حد اتأسر غيرك ٠٠

فى الحرب العالمية الثانية ناس أتأسرت بالثلاث والاربع سنين وفى كل حرب الناس بتتأسر ده حتى حظك كويس انك ممتش وهنا قفز من فوق الكرسى ٠٠ ضغط على أصبع الايقاف للريكود وواجهه قائلا ٠٠ يا سيدى العزيز أنت لن تفهمنى ابدا ٠٠ فأنت لم تصل الى شفا الموت ٠٠ الى شفا الجنون ٠٠ ولن تفهم ما معنى الموت وما معنى الجنون ٠٠ أو حتى ما معنى الحياة ٠٠ أرجوك أتركنى فى حالى ٠٠

كان صديقنا يشعر بالغربة لقد تخيل لليالى طويلة ماذا سيفعل بالقاهرة ولكنه وبمجرد وصوله الى منزله ٠٠ وجد نفسه يسقط فى بئر الفراغ ٠ أمامه اختيارات كثيرة وليست لديه القدرة على أن يفعـل شـــيئا غير أن يبقى فى حجرته يستمع الى الموســيقى ويحـــاول أن يرمم نفسه ٠٠ لم يكن ليتكلم الا مع والده فلقد كانت هناك رابطة غريبة بينهما كل منهما يشـــعر أنه امتداد حقيقى للآخر ٠٠ قال له : خرجنا فى الشارع زى المجانين مصر ٠٠ مصر ٠٠ كانت المنازل تقذف سكانها الى الحوارى فالشوارع ٠٠ وامتلأت الشوارع بالناس بالبيجامات والجلاليب والشباشب رجال ٠٠ أطفال ٠٠ نساء ٠٠ شباب ٠٠ خرجت أنا وخالتك وأختك نهتف ناصر ٠٠ ناصر ٠٠ مصر ٠٠ مصر ٠٠ أحســسنا بالهزيمة فى هذه اللحظة فقط ٠٠ لم يكن من اجله ٠٠ صدقنى ٠٠ كان من أجل بلدنا ٠٠ من الذى سيقود فى هذه الازمة غيره ٠٠ يتخلى عنا فى لحظة الضيق ٠٠ وأطلقت صفارات الانذار لم نهتم ٠٠ أطفئت الانوار لم نهتم ٠٠ أطلقوا المدفعية رقدنا على الارض ثم قمنا ثانيـة ننادى ناصر ٠٠ ناصر ٠٠ ناصر ٠٠٠

قالت له وهى تشد الجونلة الاكثر من قصيرة فى محاولة لتغطية جزء من فخذيها بعد أن لاحظت نظراته الشرهة لها ٠٠ « البلاك كوتس يتقـــدم شويجنن » وقف فى وســـط الحلقه يراقبها امتدت يدها الى الامام بعنف ثم بسرعة الى أعلى والى أسفل واهتزت رأسها الى اليمين واليسار بشدة مطلقة فى الاتجاه المضاد خيوط شعرها الاسود الطويل الحائر من اهتزازات صاحبته المتتالية وترفع جسدها الفارع للأمام والخلف ثم صاحت مع الجموع التى تصيح « شامب » كان ينظر الى عينيها المغمضتين وأطرافها المتشنجة

www.alkottob.com

الصفراء من شدة الانفعال ويحاول أن يجاوبها ولكن يا للذكرى اللعينة لا تريد ان تبارح خياله ...

دقات الموسيقى العالية تذكره بالقنابل وطلقات الصواريخ ..

أزيز الاورج يذكره بالطائرات المنخفضة الساقطة تقذف لهيبها .... وحتى هذا السمين الذى يأكل البفتيك يذكره بالكلاب التى كانت تنهش الجثث المضروبة بالنابلم ...

كم تغيرت القاهرة فى هذه الشهور القليلة .. فتحت عينيها لتجده مرتبكا وسط الحلقة ابتسمت شجعته .مدت اليه يديها بدلال لنمسك بيده ويستمر .

زادت دقات الموسيقى وحشية .. ووصل الانفعال الى قمته .. الاجساد تهتز هزات غير متسقة .. كل منهم فى عالمه .. وعلى وجهه احساساته الخاصة . رائحة العطور المستوردة المختلطة برائحة العرق تثيره وابتسم .. تذكر زميله الذى لكزه .. وقال له من فضلك قل للزميل الذى أمامنا ان يلبس حذاءه ووضع أصابعه على أنفه . من منهم لم تكن رائحته أقذر من رائحة عفن الموتى المتناثرين فى الصحراء . زادت الاضاءة وغلب عليها الالوان الحمراء والصفراء والبرتقاليه .. وارتفعت درجة الحرارة بالصالة وتصبب عرقا .. زميلته تقفز ..الجميع يجلسون يقفون ..يصيحون ..كان يجلس معهم ويضع يديه فوق رأسه تقلده .. يقلدونها يقفون ثم يجلسون مقرفصين واضعين أيديهم فوق رءوسهم يحاول ان يوقف تيار الذكريات . الموسيقى تتوقف فجأة الكل ينظر فى اتجاه الفرقة . عازف الجيتار اسماعيل الحكيم يتمتم بالفرنسية ثم الانجليزية ثم العربية هنا القاهرة الراقصون يرددون صيحته بصيحة جماعية ...

كان ينظر حوله فيجد أن كل شىء قد تغير الملابس ألوانها .. العطور .. تسريحات الشعر .. كلها مستوردة .. حتى الثورة والانفعال مستوردان .. له حق ابن الحكيم أن يذكرهم أنهم ما يزالون فى القاهرة .. القاهرة المهزومة.

تخفت الموسيقى وتهدأ .. ويأخذ زميلته فى حضنه .. يرقصان .. خده يلامس خدها ..وصدرها يخترق صدره ..وساعداها متشبثتان برقبته. وكفاه يعبثان بظهرها .. ويهدأ فى داخل الحضن الانثوى المكتمل .. يهدأ . يهدأ .. يتحرك ببطء .. وينتهى الله .. يتخدر .. ويدمن المخدر .. ثم يزيد الجرعة .. مرة تلو الاخرى .. ويغرق .. يغرق ..يغرق ..

منذ ذلك اليوم اعتاد صديقنا أن تكون له اكثر من صديقة ليضمن مخدره دائما وكانت تغلب عليه لغة الجيش فيقول خط أول وخط ثانى

www.alkottob.com

واختياطى تكتيكى واحتياطى تعبوى واحتياطى استراتيجى واحتياطى عام ٠٠ وكان كل مرة يحدث حركة تنقلات لتأخذ كل واحدة مكان الاخرى ٠٠ كان فى البداية مرتبكا ثم أصبح محترفا ٠٠ سىء السمعة ومع ذلك لم يكف ابدا رغم الالام والعذابات التى سببها للاطراف الاخرى ٠٠٠ كان مثل ضَوء مبهـر ٠٠ وكانت الفراشات دائما تقتربن منه ليحترقن ٠٠ كم تغير صديقنا كما تغيرت قاهرته ٠٠٠

وضع اسطوانة السيمفونية التاسعة لبيتهوفن فوق البيكب ثم أدار الجهاز ٠٠ وتهادت اليه أصوات الشيلومات وهى تعزف اللحن الرئيسى كان جالسا على كرسيه مادا ساقيه للامام فى لامبالاه ٠٠ناظرا الى بخار الماء المتصاعد من كوب الشـاى الساخن ٠٠ وانتهت الحركة الاولى والثانية والثالثة ٠٠ وابتدات الحركة الرابعة ٠٠ اللحن الاساسى بدأ يتكون ويتكثف أكثر ٠٠ الالات جميعها تنطلق مرددة للحن وأصوات الكورال تأتى متصاعدة ٠٠ عندما فتح والده الباب مبتهجا وكأنه عاد اليه شبابه ٠٠ قال بصـوت عال جعـله يوقف الاســطوانة ٠٠

ـ معرفتش ايه اللى حصـل ٠٠ ثم اكمل دون انتظار لاجابة ٠٠ أضرابات فى الشارع الشباب ٠٠ الشباب يا سلام بلدنا لسه فيها الخير ٠٠ أنا مشيت فى الاضراب بنفسى رغم شيبتى دى ٠٠ وشجعتهم فى الحقيقة وعى مش معقول ٠٠ كانوا عاملين لجان للمحافظة على النظام حاول بعض الاولاد ضرب عربية المطافى منعوهم ٠٠ اضراب فى مصر فين من خمس عشرة سنة لم يحدث هذا ٠٠ الشباب مازال فيهم الامل ٠٠ أكمل استماعه الى التسجيل ٠٠ فلقد خاف عليهم منه ومنهم عليه ٠٠ ظلت هذه الرغبة تؤرق صديقنا طويلا ٠٠ حتى شارك بعد ذلك فى عديد من المظاهرات والندوات وكانت أكثرها اثرا فى نفسه عندما اعتصم الشباب فى نهاية ٧٢ وبدايات ٧٣ فى صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة٠٠ وذهب لمقابلتهم ٠ كان يقول أن جو الحرية فى هذا المكان فى هذا الوقت كان يمكنه أن يحرك القلب المريض المنهار ٠٠ مئات من أفضل شبابنا يجلسون معـا فى حوار آخنيارى يناقشون كل مشاكل الامة ٠٠ ويكتبون مجلات تضرج بالحرية والشجاعة يقولون فيها كل ما يخطر على البال وأى شىء حتى ولو كان خطأ ٠٠ ثم يناقشونه ويتحمس ٠٠ وايجابية ٠٠ ويتفقون ويختلفون ٠٠ كانت لهم قيادة منهم احتلت المنصة ورغم صغر سنهم الا أنهم أداروا حوارا راقيا بديموقراطية متقدمة للغاية ٠٠ فى ذلك اليوم ذهب وفد منهم الى مجلس الشعب ليناقش ٠٠ واتفقوا معهم على أن يذيعوا بيانا لهم فى نشرة الاخبار وجاءوا ممسكين بعضهم بيد بعض فى طابور طويل على جانبى ممرات القاعة من الباب

www.alkottob.com

الخارجى حتى المنصة ·· منشدين بـلادى ·· بـلادى ·· بـلادى ·· لك حبى وفؤادى ·· كان يجلس بينهم مستمتعا بجو الحرية ·· والحماس ·· وتجمعوا حول المذياع ·· ولكن خلف مجلس الشعب وعده ·· وجلسوا فى حسرة واضعين أيديهم تحت خدودهم ·· بعد فترة كان الامن المركزى يتجمع فى الخارج ·· ثم هاجم القاعة امسكهم جميعا ·· شبانا وشـابات فى عمر الزهور ممتلئين حماسا وطاقة ووطنية ·· يريدون ان يفهموا فقط ·· وخرجوا ينشدون اصحى يا مصر ·· أصحى يا مصر ·· احنا ولادكم احنا أخواتكم احنا ·· بنعمـل كده علشـانكم ··

يوم آخر اعتصم فيه الشباب فى ميدان التحرير ·· حول النصب التذكارى الذى اعد فى يوم ما ليحمل الخديوى اسماعيل· ·وتوقفت الحركة فى الميدان احتلوه ·· كانت لهم بعض الاسئلة والمطالب ·· كانوا يبحثون عن الحرية ويحاولون ان يتنفسوا بعد أن طال الاحتلال ·· ثم هاجمهم الخيالة فى الفجر وقبضوا عليهم

لم يكن صديقنا يتصور بالطبع أن اجتماعات هؤلاء الشباب أو منشوراتهم أو مظاهراتهم سوف تغير الاوضاع أو تحرر سيناء ولكنه كان يأمل أن يوجـه هذا الحماس وهذه الايجابية فى اتجاهها الصـحيح فلقد أصـبح يؤمن بأن الديمقراطية والحرية وتعدد الاراء وصراعهـا هو الامن والامان للمسـتقبل وأن علينا أن نشجعهما حتى ولو حدثت أخطاء ·,·,·

دعى صديقنا الى قرية صغيرة من قرى الوجه البحرى ليلقى محاضرة وندوة والتف حوله مجموعة من مثقفى الريف وبعض الفلاحين ومن خلال دخان الفرن الذى اشـعل لعمـل الفطير فملأ حجرات المنزل المتواضع دار حوار ···

ـ لكن يا عم محمد لـماذا لا تحلون هذه المشكلة بشكل ذاتى ·· يعنى بدلا ما يقطع كل منكم الخمسة كيلو مترات لاحضار المياه ·· تذهب مجموعة كل يوم بالدور محملة بعدد من الفناطيس تملأ ميـاه ·· وتفرغها فى فنطـاس أو اثنين فى وسـط القرية تستخدمونه جميعا ···

ـ يا أستاذ لازم الحكومة تدخل ·· أيه يعنى لـما يمدوا لنا خطا لغاية عنـدنا ·

ـ انت عارف ان الموضوع بالدور وبتحكمه ميزانية محدودة ·· ولو ذهبنا لرئيس المدينة وقلنا له عزبة أبو غفار ·· حيقول وباقى العزب ··

ـ وايه يعنى يا أستاذ حتتكلف الميه لكل العزب كام الف ·· الفين بدل الجنايين واعمده النور والزواق نمد ميه الاول نشرب وبعدين نزوق ·

ـ ولغايه ميمدوا خطوط حتشربوا منين·· م تحلوا الموضوع بشكل جماعى

www.alkottob.com

ـ يا بيه انت متعرفش احنا عايشين ازاى انت فكرك الفلاحين بيحبوا بعض وطيبين ومتعـاونين بيقولوا كده فى المدرسـة والجرنال ٠٠ والنعمة دى ولام أوعى اكلها ٠ كنا حنقتل بعض على شـوية تبن ٠٠ العزبة دى ما انت عارف ملك الدكتور حشاد بتاع الرمد اللى فى البندر ومأجر لكـل واحد فدان ولا اثنين ٠٠ وفى وسط العزبة الشونة اللى قدام سعادتك دى ٠٠ قلت أوضبها وادخل التبن جواها وازرع الشبرين دول بينفعوا برضه ٠٠ الغيرة اكلت قلبهم راحوا يشتكونى لصاحب الملك ٠٠ تقوم تقولى نملا سوا ٠٠٠ لا يابيه الحكومة تمد لنا ايه ٠٠

ـ يا عم محمد احنا فى حالة حرب والبلد كلها مشغولة ٠٠

ـ يعنى يا بيه حالة الحرب على الغلبان اللى زى حلاتى ٠٠ ربنا ينصره عبد الناصر وملعون ابوهم اليهود ٠٠ قصدى الصهاينة لتقولوا علينا متعصبين لكن برضه نفضل من غير ميه ٠٠٠

فكرة غريبة سيطرت على عم محمد أن كل من لبس بنطلون وقميص وقدم من البندر اصبح من السلطة ٠٠ وعليه ان يحل له مشكلته الشخصية ٠

عندما يحل الليل يشعر صديقنا بالانقباض فالحبس فى حجرة مغلقة ذات اربعة جدران أصبحت تسبب له ضيقا ٠٠لذلك فلقد طرق ابواب جميع دور العرض فى القاهرة ولفت نظره ظاهرة غريبة ٠٠ أن جميع الافلام المعروضة تقريبا افلام جنسية ٠٠ فلنراجعها ان لم تخنى الذاكرة ٠٠ سينما مترو فيلم «انفجار» فيلم عن الضياع واغراقه فى اللذة الجنسية سينما رمسيس « الحياة للحياة » فيلم يدعو للانطلاق والحب وتحويل المشاكل العامة والحروب الى تسلية مع الغرق فى اللذة الجنسية ٠٠ سينما أوبرا « الحب اقدم مهنة فى التاريخ » فيلم يحكى قصة وتاريخ الدعارة وتطورها ٠٠ سينما كايرو « الزواج وحبوب منـع الحمل ٠ ما معنى هذا هل هناك خطة مسبقة لدعوة الشعب المصرى لان يغرق همومة وثورته فى مجموعة الانفعالات الجنسية وماذا كان رد فعل ذلك ٠٠ !! امتلأت السنريوهات والملاهى بالشبان والشابات يرقصون اسما ويمارسون الجنس باشكال غريبة ٠٠ فى بعض الملاهى شاهد صديقنا من خلال الاضواء الخافتة جدا بعضهم يزوال الجنس ٠٠ وانتشرت الدعارة وطوقت شرائح واسعة ومختلفة من الناس ٠٠ وهكذا بعد الحروب ٠٠ تتحلل جميع الاشياء والقيم ٠٠ والافكار ٠٠ ولم ينج احد ٠ ٠

بعد أيام زار صديقنا مندوب من المخابرات الحربية ٠٠ ثم اخذه معه فى عربة سوداء طويله عليها ستائر ٠٠ ركب فى الخلف بين رجلين من المخابرات مسلحين وفى الامام كان آخر وسائق ٠٠

www.alkottob.com

ـ الى اين ..

ـ لا نعـرف ..

ـ ماذا تريدون ..

ـ لا نعرف ..

ـ من الذى امركم بذلك ..

ـ لا نعرف .. فصمت حتى وصلوا الى مبنى صغير بخـل احدهم قفل جميع الابواب ثم قاده الى حجرة صغيرة وخرج وقفل الباب خلفه .. الحجرة بها سرير صغير ومرآة ومنضدة بكرسيين وستائر على الشبابيك المغلقة ..

الزمن يمر ببطء خمس دقائق .. عشرة .. ربع ساعة .. نصف ساعة ..ساعة ... ويدخل احدهم يضـع امامه مجموعة من الاوراق وقلم هـذه وثيقه تعارف ارجو ان تملأها بعناية ستحاسب على كل حرف تكتبه .
ويساله محاولا تخفيف الموقف بإبتسامة .

ـ هل تتهمونى بشىء ..

ـ لا مجرد اجراء روتينى ..

احدهم يدخل حاملا كوبا من الشـاى يضعه امامه ويخرج .
يملأ الوثيقة وهو يتاملها بعناية ببيانات متشعبة ينتهى منها ومن شرب الشاى .. ويجلس ينتظر .. يصفر بفمه .. يرقد على السرير .. يعيد قراءة الوثيقة .. ينظر الى المرآة ويلعب حواجبه وتمضى ساعتان قبل ان يحضر احدهم يدعوه لمقابلة الرائد ..

ـ رجل سمين ابيض الوجه احمره .. إبتدا الصلع يزحف على شـعره المرتب بعناية خليق الذقن راض .. يدخن سيجارة طويلة من علبة. علبة سجائر تشبه علب السجائر السويسرية التى اخـذوها منهم يوم حضورهم .. مازالوا يدخنون منها حتى الان .. وأبتسم .

ـ صباح الخـير

ـ مشغول فى قراءة اوراق أمامه .. ثم ينظر له ويبتسم .

ـ اهلا .. اهلا .. اتفضل يا فندم .. أحنا اسفين جدا للتعطيل .

ـ لا .. لا يهم ..

ـ آه

ـ شوف يا فندم .. انت هنا فى بلدك وبين اهلك وموقفك من مخابرات العدو يخالف موقفك الان .. نحن نحاول قدر جهدنا ان نستفيد منكم

www.alkottob.com

•• وأيضا ان نؤمنكم والان امامك الفرصة الحقيقية لكى تصبح صفحاتك بيضاء •• وهى ان تقول كل ما تعرف •• وكل ما حدث••

ـ انا قلت فى الورق اللى كتبناه يوم أن حضرنا •

انا قراته كلمة •• كلمة •• ممكن تقوللى •• احب اسمع منك •• قصـــتك •

ـ اى قصـة •

ـ قصه أسرك •

ـ كنا كتيبة مهندسين الفرقة

ـ باختصار من فضلك فين اتاسرت ••• !!

ـ قرب مطـار المـليز •

ـ اسرتكم دورية اسرائيلية مش كده •

ـ آه

ـ ونقلوكم للمطـار •

ـ آه

ـ مين كان معـاك ؟

ـ كتير •• فلان وفلان وفلان

ـ آه

ـ اخذوا منكم حاجتكم مش كده •• انت ليه مشربتش حاجة يا سلام•

ـ آه الا مائتى جنيه احتفظت بهـا ••

ـ يا سـلام مائتى جنيه •• ازاى كانوا بتوع ايه •

وهنا ابتدأ صديقنا يفهم لماذا احضروه فابتدأ يجس النبض

ـ أيه حاجة غريبة انى ارجع بمائتى جنيه •

ـ لا •• لا ابدا لكن احب افهم ازاى رجعت بنيهم ؟

فقص عليه القصة كاملة •• بشهودها •• بتواريخها •• بجميـع التفاصـيل علق الاخـر •

ـ انت عارف يا فندم لم يحدث فى تاريخ المخابرات أن فر منا جاسوس لنا قصص كثيرة معهم •• جاســوس كان •• وجاســوس اخر •• وجاسوس اخرَ ورغم كل الاشكال العلمية والنوعية من المخابرات الاسرائيلية الا انهم سقطوا فاهم •

وهنا غلى الدم فى رأس صديقنا واعتبر ذلك اتهاما وتهديدا فرد

ـ وما دخل هذا بى •،•،• !!

www.alkottob.com

ـ مجرد معلومات عامة يمكن تحب تقول حاجة تانية ٠

مد صديقنا ساقيه على الكرسى المقابل واستعد للصراع ٠٠ بعد التصريح الواضح للاخر فســاله ٠

ـ انت بتشــك فيه كام فى الميه ٠

يفاجأ الاخر ويرد بسرعة

ـ انا لا اشك فيك ولكن هذه الاحتياطات لمصلحتك ٠٠ ثم يستطرد احنا عندنا هنا تسجيل كامل لكل تصرفاتكم اثناء الاسـر ٠

يبتسم الاخــر ويسال بخبث

ـ ياه وكيف حصلتم عليها ؟

يرد الاخــر بتباهى

ـ لنا بالطبع رجالنا هناك ٠٠ ويمكن اللى كان بيستجوبك هناك منهم ٠

ضحك الاخر بصوت عــال ورد

ـ ولكن هــذا شىء خطير

امتعض وأجاب ـ لمــاذا ؟؟

رد الاخر بخبث ـ لان بالطريقة دى ما الضمان بان من يستجوبني الان ليس من رجــالهم ٠٠٠

اصفر وجه الاخر ونظر له بشراسـة ٠

فأكمل ليخفف الموقف ـ يا فندم التسجيلات التى عند سيادتك انا اللى حملتها من اسرائيل حتى هنا ٠٠ والرائد صــفوت سجلها وخاف يحملهــا كان هذا كافيا لرد كرامته امام رجل المخابرات الذى يشك فيه ٠ ولكنه تمادى٠

ـ السجائر التى امامك دى كويسه ٠٠ طعمها كويس ٠٠

رد الاخــر ٠

ـ آه اتفضــل ٠

ـ لا ٠٠ اصلها سجايرى وانتم صادرتموها ٠٠

ـ رد الاخــر ٠

ـ احنا آسفين جدا لكن انت منفعل ليه كده ٠٠ انا أؤدى واجبى هنا ٠٠ وكان من الممكن الى تكون انت مكانى واكون انا مكانك ٠٠ الموضوع وظيفة وخدمة ودور ٠٠٠ وكما ترجو ان تؤدى دورك بصورة جيدة لا تستبعد أن يؤدى الاخرون دورهم ٠٠ ويجب أن تعطينى الفرصة كاملة لذلك فالمصلحة فى النهاية مصلحة وطننا ٠٠ وعموما انا مقدر ظروفك لكن هل تعلم أن من ضمن خمسمائه ضابط أسير حاولت المخابرات الاسرائيلية تجنيد حوالى ثلاثمائة وأن هناك

www.alkottob.com

اكثر من مائة ضابط استجابوا لها وجندتهم ولولا اعترافهم لما استطعنا أن نساعدهم .. هل أنت راضي الان ؟

قام الاخر وسلم عليه بحرارة محاولا الاعتذار عن لهجته الحادة وقال

ـ ولكن لم يحدث لي هذا ..... شكرا ...

خرج صديقنا مندهشا ... كيف يحدث هذا .. كيف يجرؤ انسان ما على دعوة آخر لان يخون بلده ... مجرد دعوة .. فما بالك بأن يستجيب ولماذا لم يدعوه لذلك ..ان هذا يتوقف على مدى الذعر والسقوط الذى حدث للضابط بحيث توجه له مثل هذه الدعوة .

اجتمع بهم بعد ذلك نائب مدير السلاح .. كانوا مجموعة المهندسين المسائدين من الاسر .

قال ـ انتم أخر من ترك السلاح .. الذين عشتم التجربة حتى نهايتها ورأيتم العدو رأى العين .. ولذلك فسنستفيد من خبرتكم الطويلة .

سأله احدهم ـ ما حال الجيش اليوم .

ـ فى أحسن حال .. بعد الهزيمة حدث انهيار ولكننا عوضنا اليوم اكثر من سبعين فى المائه من خسائرنا .. وطعمنا صفوفنا بجنود مؤهلات عليا سيعود كل منكم لوحدته فيجد تغييرا كبيرا .

ـ . . . . . .

الفريق مرسى فقط .. وحل محله سيادة اللواء جمال محمد على . والقيادات اصبحت افضل .

ـ سيادتك بتقول القيادات . الم يزل قائد كتيبتى ورئيس عملياته اللذان هربا من المعركة قادة .. ؟؟

ـ لا..لا..انتم اعصابكم تعبانة .. من قال لك انه لم يحدث تحقيق .

ـ انا اعرف

ـ يابنى لا تكن مندفعا هكذا كل القيادات هربت .. سلاحنا أحسن سلاح .

ـ ولذلك لا تعلنون ما تم ليبقى سلاحنا أحسن سلاح .

ـ هذا مخالف للواقع .

ـ اسمح لى انتم القيادات الكبيرة يغطى بعضكم على بعض .

لا .. لازم تعرف انك لسه ضابط وانه يمكن محاسبتك على مثل هذا الكلام سأقدر مدى تعبك ولكن قبل أن تتكلم فكر فى مستقبلك .

www.alkottob.com

ـ .. .. .. صمت طويل

ـ الحمد لله على السلامه أن شاء الله نشوفكم فى وحداتكم قيادات جيدة تطور الجيش المصرى وشكرا ..

لا شك ان حرب ٧٣ بعد ذلك كانت حرب سلاح المهندسين فالسلاح هو الذى ابتكر هدم السائر الترابى بإشاشات الماء .. وهو الذى متسح الثغرات وهو الذى أنشأ الكبارى والمعديات وهو الذى أمن الطرق فى الارض المفتوحة وأزال الالغام ورص الغاما جديدة ولقد حدث هذا من خلال تدريب شاق .. وكان نائب مدير السلاح له الحق .. ولكن صديقنا كان مطعونا .. لانه لم يجد اى اذن تصغى له وتفسر .. هل يمكن أن يهرب قائد من المعركة ويترك رجاله بدون أوامر أو تعليمات ولا يحاسب .. ولو بشد اذنيه .. ولقد اعترف بعد ذلك صديقنا .. وندم أن صبرة قد نفذ مبكرا فلم يصمد مع القوات المسلحة حتى تحقق نصر ٧٣ . فلقد كان ومازال لا ترى عيناه الا الاخطاء .. ولا يستطيع أن يميز الخيوط البيضاء الرقيقة فى الرقعة المظلمة .. وهذا حال اغلبنا بعد النكسة فماذالت ارواحنا محبوسة ..

حملت له سؤالى هذا ـ الم يحن الوقت الان لكى تتحرر الارض المحبوسة داخلنا ؟

قال : هذا السؤال أوجهه لك بصفتك طبيبى .. هل هناك امل لان تتحرر الارض المحبوسه داخلى ؟

وانا انقل لكم هذا السؤال أعزائى القراء هل هناك امل لان تتحرر الارضى المحبوسه داخلنا منذ ٦٧ .. ؟

انتهت بعد خمسة ايام من تحرير
الأرض المحبوسة فى سيناء
ابريل ١٩٨٣

www.alkottob.com

المؤلف :

ـ محمد حسين على يونس
ـ من مواليد االقاهرة ٣/٣/١٩٤٠ .
ـ حاصل على بكالوريوس العماره ١٩٦٢
ـ عمل بالقوات المسلحة حتى اكتوبر ١٩٧٠
ـ رائد بالمعـــاش .

مؤلفـــات

ـ احاديث عن الغوله	مجموعة قصص قصيرة
ـ طعام لنا بدلا من طعام الالهه	مجموعة قصص قصيره
ـ جدى الملك الاله	مجموعة قصص قصيرة
ـ على شفا الموت على شفا الجنون	قصـــة طويلة
ـ اجمل الكلمات لم اقلها بعد	قصـــة طويلة
ـ خطوات على الارض المحبوسة	قصـــة طويلة

رقم الايداع ٨٣/١٨١٥

دار الكلمة للطباعة والنشر

امام سنترال الهرم ـ المطالبية ـ جيزة ـ ت : ٨٥٦٨٢٠

www.alkottob.com

www.alkottob.com

خطوات على الأرض المحبوسة

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الايام الستة التى عرفت بأيام النكسة ... وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب والاسر الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى أنذاك ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته لكثير من السلبيات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للأنسان المصرى والعربى .

كتب الكتاب بأحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ويلفحها بالكرباج حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل

دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

www.alkottob.com